مقامات الحريري

أبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري

مؤسسة قطر
Qatar Foundation

إطلاق قدرات الإنسان.
Unlocking human potential.

مقامات الحريري

"Maqamaat Al-Hariri"
(The Assemblies of Al-Hariri)

أبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري
حوالي القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي
مكتبة قطر الوطنية، المجموعة التراثية – رقم ٩٥٠

Abi Muhammad Al-Qasim ibn Ali ibn Muhammad
ibn Uthman Al-Hariri Al-Basri
C. 12th Century A.H, 18th Century A.D
Qatar National Library, Heritage Collection
No.950

تضم مجموعة التراث التابعة لمكتبة قطر الوطنية عددًا من مخطوطات "مقامات الحريري". يعود تاريخ هذه النسخة التي بين يديك على الأغلب إلى حوالي القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي).

مؤلف نص مقامات الحريري هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري الذي ولد سنة ٤٤٦ هـ (١٠٥٤ م) وتوفي سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م). كان الحريري شاعرًا ولغويًا، عاش في البصرة في منطقة تدعى بني حرام. تعلم الحريري على يد أهم علماء اللغة في البصرة مما أدى إلى تميزه في صناعة اللفظ والنثر والشعر، وهو ما يظهر جليًا في مقاماته.

- والمقامة فن من الفنون الأدبية كالشعر والنثر تأتي على شكل قصص قصيرة تسرد بأسلوب أدبي أنيق. وتحتوي مقامات الحريري على ٥٠ مقامة وتبدأ كل مقامة باسم الراوي "الحارث بن همام"، وتدور القصص حول رجل يدعى أبو زيد السروجي وما يلاقيه من أحداث في عدد كبير من المدن الإسلامية مثل صنعاء وبغداد ونجران، وغيرها. ويعتبر نص مقامات الحريري من أكثر النصوص شهرة في العصور الإسلامية الوسطى وهذا ما يفسر وجود عدد كبير من مخطوطات مقامات الحريري في العديد من مجموعات المخطوطات العربية حول العالم.

The Qatar National Library's Heritage Collection has a number of manuscripts of "Maqamaat Al-Hariri".
This copy probably dates back to the 12th Century A.H (c. the 18th Century A.D).

The author of "Maqamaat Al-Hariri", Abu Muhammad Al-Qasim ibn Ali ibn Muhammad ibn Uthman Al-Hariri Al-Basri, was born in 446 A.H (c. 1054 A.D) and died in 516 A.H (c. 1122 A.D). He was a poet and a scholar of the Arabic language and lived in Basra in modern-day Iraq, in a place called Bani Haraam. Al-Hariri was taught by the most outstanding scholars of the Arabic language in Basra at that time, which resulted in his becoming the distinguished writer of Arabic poetry and prose that is so clearly reflected in his "Maqamaat".

The "Maqamah" (the singular of "Maqamaat"), like poetry and prose, is a literary art which takes the form of linked anecdotes told in rhymed prose. "Maqamaat Al-Hariri" consists of 50 "Maqamah", each starting with the name of the narrator, which is "Al-Harith bin Hammam". The stories are about a man called Abu Zayd Al-Saruji and the events he encounters in a large number of Islamic cities, such as Sana'a, Baghdad, Najran, and others.

This literary work is one of the most famous texts in the Middle Islamic period, and this explains why there are so many copies of it in existence in the large number Arab manuscript collections around the world.

مقامات الحريري

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنا نحمدك على ما علّمت من البيان وألهمت من التبيان كما نحمدك على ما أسبغت من العطاء

وأسبلت من الغطاء ونعوذ بك من شرّة اللسن وفضول الهذر كما نعوذ بك من معرّة

اللكن وفضوح الحصر ونستكفي بك الافتتان بإطراء المادح وإغضاء المسامح كما

نستكفي بك الانتصاب لإزراء القادح وهتك الفاضح ونستغفرك من سوق

الشهوات إلى سوق الشبهات كما نستغفرك من نقل الخطوات إلى خطط الخطيئات

ونستوهب منك توفيقاً قائداً إلى الرشد وقلباً متقلباً مع الحق ولساناً متحلياً

بالصدق ونطقاً مؤيداً بالحجة وإصابة ذائدة عن الزيغ وعزيمة قاهرة هوى

النفس وبصيرة ندرك بها عرفان القدر وأن تسعدنا بالهداية إلى الدراية

وتعضدنا بالإعانة على الإبانة وتعصمنا من الغواية في الرواية وتصرفنا

عن السفاهة في الفكاهة حتى نأمن حصائد الألسنة ونكفى غوائل الزخرفة

فلا نرد مورد مأثمة ولا نقف موقف مندمة ولا نرهق بتبعة ولا معتبة

ولا نلجأ إلى معذرة عن بادرة اللهم فحقق لنا هذه المنية وأنلنا هذه البغية

المغبن ولا تقصنا من ظلك السابغ ولا تجعلنا مضغة للماضغ فقد مددنا اليك

يد المسئلة وبخعنا بالاستكانة لك والمسكنة واستنزلنا فقد مددنا اليك

يد المسئلة كرمك الجم وفضلك الذي عم بضراعة الطلب وبضاعة الامل ثم

بالتوسل بمحمد سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر الذي ختمت به النبيين

واعليت درجته في عليين ووصفته في كتابك المبين فقلت وانت اصدق

القائلين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين انه لقول رسول كريم ذي قوة

عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين اللهم فصل عليه وعلى آله الهادين

واصحابه الذين شادوا الدين واجعلنا لهديه وهديهم متبعين وانفعنا

بمحبته ومحبتهم اجمعين انك على كل شيء قدير وبالاجابة جدير فانه جرى

ببعض اندية الادب الذي ركدت في هذا العصر ريحه وخبت مصابيحه ذكر

المقامات التي ابتدعها بديع الزمان وعلامة همذان وعزى الى ابي الفتح

الاسكندري نشأتها والى عيسى بن هشام روايتها وكلاهما مجهول لا يعرف

ونكرة لا تتعرف فاشار من اشارته حكم وطاعته غنم الى ان انشئ مقامات

اتلو فيها تلو البديع وان لم يدرك الظالع شأو الضليع فذاكرته بما قيل

فيمن الف بين كلمتين ونظم بيتا او بيتين واستقلت من هذا المقام

الذي فيه يحار الفهم ويفرط الوهم ويسبر غور العقل وتتبين قيمة

المرء في الفضل ويضطر صاحبه الى ان يكون كحاطب ليل او جالب خيل

وقلما سلم مكثار او اقيل له عثار فلما لم يسعف بالاقالة ولا اعفي من المقالة

لبيت دعوته تلبية المطيع وبذلت في طاعته جهد المستطيع وانشات على

ما اعانيه من قريحة جامدة وفطنة خامدة وروية ناضبة وهموم ناصبة خمسين

مقامة تحتوي على جد القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله وغرر البيان ودرره وملح

الادب ونوادره الى ما وشحتها به من الايات ومحاسن الكنايات ورصعته فيها

من الامثال العربية واللطايف الادبية والاحاجي النحوية والفتاوى اللغوية

والرسايل المبتكرة والخطب المحبرة والمواعظ المبكية والاضاحيك الملهية مما

املیت جميعه على لسان ابي زيد السروجي واسندت روايته الى الحارث بن همام

البصري وما قصدت بالاحماض فيه الا تنشيط قاريه وتكثير سواد طالبيه ولم اودعه

من الاشعار الاجنبية الا بيتين فذين اسست عليهما بنية المقامة الحلوانية

واخرين توامين ضمنتهما خواتم المقامة الكرجية وما عدا ذلك فخاطري

ابو عذرته ومقتضب حلوه ومره هذا مع اعترافي بان البديع سباق

غايات وصاحب ايات وان المتصدي بعده لانشاء مقامة ولو اوتي

بلاغة قدامة لا يغترف الا من فضالته ولا يسري ذلك المسرى الا بدلالته

ولله در القائل فلو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل

التندم ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم وارجو ان

لا اكون في الهذر الذي اوردته والمورد الذي توردته كالباحث عن حتفه بظلفه

... فالحق بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في
الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً على أني وإن أغمض لي الفطن المتغابي
ونضح عني المحب المحابي لا أكاد أخلص من غمر جاهل أو ذي غمر متجاهل يضع
مني لهذا الوضع ويندد بأنه من مناهي الشرع ومن نقد الأشياء بعين المعقول
وأنعم النظر في مباني الأصول نظم هذه المقامات في سلك الإفادات وسلكها
مسلك الموضوعات عن العجماوات والجمادات ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات
أو أثم رواتها في وقت من الأوقات ثم إذا كانت الأعمال بالنيات وبها انعقاد
العقود الدينيات فأي حرج على من أنشأ ملحاً للتنبيه لا للتمويه ونحا بها منحى
التهذيب لا الأكاذيب وهل هو في ذلك إلا بمنزلة من انتدب لتعليم أو هدى
إلى صراط مستقيم على أني راضٍ بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا عليّ ولا ليا
وبالله أعتضد فيما أعتمد وأعتصم فيما يصم وأسترشد إلى ما يرشد فما المفزع
إلا إليه ولا الاستعانة إلا به ولا التوفيق إلا منه ولا الموئل إلا هو عليه توكلت
وإليه أنيب **المقامة الأولى** حدث الحارث بن همام قال لما اقتعدت غارب
الاغتراب وأنأتني المتربة عن الأتراب طوحت بي طوائح الزمن إلى صنعاء
اليمن فدخلتها خاوي الوفاض بادي الإنفاض لا أملك بلغة ولا أجد في جرابي مضغة
فطفقت أجوب طرقاتها مثل الهائم وأجول في حوماتها جولان الحائم
وأرود في مسارح لمحاتي ومسايح غدواتي وروحاتي كريماً أخلق له ديباجتي

وابوح اليه بحاجتي او اديبا تفرج رؤيته غمتي وتروي روايته غلتي حتى ادتني خاتمة

المطاف وهدتني فاتحة الالطاف الى ناد رحيب محتو على زحام ونحيب فولجت غابة

الجمع لاسبر مجلبة الدمع فرايت في بهرة الحلقة شخصا شخت الخلقة عليه اهبة السياحة وله

رنة النياحة وهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه وقد احاطت

به اخلاط الزمر احاطة الهالة بالقمر والاكمام بالثمر فدلفت اليه لاقتبس من فوائده والتقط

بعض فرائده فسمعته يقول حين خب في مجاله وهدرت شقاشق ارتجاله ايها السادر

في غلوائه السادل ثوب خيلائه الجامح في جهالاته الجانح الى خزعبلاته الى م تستمر على

غيك وتستمرئ مرعى بغيك وحتام تتناهى في زهوك ولا تنتهي عن لهوك

تبارز بمعصيتك مالك ناصيتك وتجترئ بقبح سيرتك على عالم سريرتك وتتوارى

عن قريبك وانت بمراى رقيبك وتستخفي من مملوكك وما تخفى خافية على

مليكك اتظن ان ستنفعك حالك اذا آن ارتحالك او ينقذك مالك حين

توبقك اعمالك او يغني عنك ندمك اذا زلت قدمك او يعطف عليك معشرك

يوم يضمك محشرك هلا انتهجت محجة اهتدائك وعجلت معالجة دائك وفللت

شباة اعتدائك وقدعت نفسك فهي اكبر اعدائك اما الحمام ميعادك فما اعدادك

وبالمشيب انذارك فما اعذارك وفي اللحد مقيلك فما قيلك والى الله مصيرك فمن

نصيرك طالما ايقظك الدهر فتناعست وجذبك الوعظ فتقاعست وتجلت

لك العبر فتعاميت وحصحص لك الحق فتماريت واذكرك الموت فتناسيت وامكنك ان

تواسى فلما سبت تورث بلسانا توعبر على ذكر تعبير تختار قصرا تعليه على بر توليه

وتصدف عن هاد تستهديه وتغلب حب ثوب تشتهيه على ثواب تشتريه

يواقيت الصلات أعلق بقلبك من مواقيت الصلاة ومغالاة الصدقات

آثر عندك من موالاة الصدقات وصحاف الألوان أشهى إليك من صحائف

الأديان ودعابة الأقران آنس لك من تلاوة القرآن تأمر بالعرف وتنتهك حماه

وتحمي عن النكر ولا تتحاماه وتزحزح عن الظلم ثم تغشاه وتخشى الناس والله أحق أن

تخشاه ثم أنشد يا طالب الدنيا تنئي إليها انصبابة ما تستفيق غراما بها وفرط

صبابة ولو دري لكفاه مما يروم صبابة ثم إنه لبد عجاجته وغيض مجاجته واعتضد

شكوته وتأبط هراوته فلما رنت الجماعة إلى تحفزه ورأت تأهبه لمزايلة مركزه أدخل كل

منهم يده في جيبه فأفعم له سجلا من سيبه وقال اصرف هذا في نفقتك أو فرقه على رفقتك

فقبله منهم مغضيا وانثنى عنهم مثنيا وجعل يودع من يشيعه ليخفى عليهم مهيعه

ويسرب من يتبعه لكيلا يعرف مربعه قال الحارث بن همام فاتبعته مواريا عنه عياني

وقفوت أثره من حيث لا يراني حتى انتهى إلى مغارة فانساب فيها على غرارة فأمهلته

ريثما خلع نعليه وغسل رجليه ثم هجمت عليه فوجدته مثافنا لتلميذ على خبز سميذ

وجدي حنيذ وقبالتهما خابية نبيذ فقلت له يا هذا أيكون ذاك خبرك وهذا مخبرك

فزفر زفرة القيظ وكاد يتميز من الغيظ ولم يزل يحملق إليّ حتى خفت أن يسطو

عليّ فلما أن خبت ناره وتوارى أواره أنشد لبست الخميصة أبغي الخبيصة وأنشبت

شصّي في كل شيصة وصيّرت وعظي أحبولة أريغ القنيص بها والقنيصة وألجأني

الدهر حتى ولجت بلطف احتيالي على الليث عيصه على أنني لم أهب صرفه ولا نبضت لي

منه فريصه ولا شرعت بي على مورد مدنس نفسي نفس حريصه فلو أنصف الدهر

في حكمه لما ملّك الحكم أهل النقيصه ثم قال لي ادنُ فكُل وإن شئت فقم وقُل فالتفت

إلى تلميذه وقلت عزمت عليك بمن تستدفع به الأذى لتخبرني من ذا فقال هذا

أبو زيد السروجي سراج الغرباء وتاج الأدباء فانصرفت من حيث أتيت وقضيت

العجب مما رأيت

المقامة الثانية

المقامة الحلوانية

حكى الحارث بن همام قال كلفت مذ ميطت

عني التمائم ونيطت بي العمائم بأن أغشى معان الأدب وأنضي إليه ركاب الطلب

لأعلق منه بما يكون لي زينة بين الأنام ومزنة عند الأوام وكنت لفرط اللهج

باقتباسه والطمع في تقمص لباسه أباحث كل من جل وقل وأستسقي الوبل

والطل وأتعلل بعسى ولعل فلما حللت حلوان وقد بلوت الإخوان وسبرت الأوزان

وخبرت ما شان وزان ألفيت بها أبا زيد السروجي يتقلب في قوالب الانتساب

ويخبط في أساليب الاكتساب فيدعي تارة أنه من آل ساسان ويعتزي مرة

إلى أقيال غسان ويبرز طوراً في شعار الشعراء ويلبس حيناً كبر الكبراء بيد أنه

مع تلون حاله وتبين محاله يتحلى برواء ورواية ومداراة ودراية وبلاغة

رائعة وبديهة مطاوعة وآداب بارعة وقدم لأعلام العلوم فارعة فكان

لمحاسن آلاته يُلبس على علاته ولسعة روايته يُصبى إلى رؤيته ولخلابة عارضته

يرغب عن معارضته ولعذوبة ايراده يسعف بمراده فتعلقت باهدابه

لخصائص آدابه ونافست في مصافاته لنفائس صفاته فكنت به اجلو همومي

وبان طلق الوجه ملتمح المحيا ارى قربه قربة ومغناه غنيمة ومرآه بشرى

ومحياه لي حيا ولبثنا على ذلك برهة ينشئ لي كل يوم نزهة ويذرو من قلبي

شبهة الى ان حدت به يد الاملاق كاس الفراق واغراه عدم الارفاق بتطليق

العراق ولفظته معاوز الارفاق الى معاقل الآفاق ونظمته في سلك الرفاق

خفوق رايات الاخفاق فتجهز للرحلة غراء عزمته وظعن يقتاد بازمته شعب

فما راقني من لاقيته بعده ولا شاقني من سامني ابعاده ولا لاح لي من يحتذي حذوه

لفضله ولا من يعلي القلب مثل علله واستمر عني حينا لا اعرف له عرينا ولا اجد

عنه مخبرا فلما ابت من غربتي الى منبت شعبتي حضرت دار كتبها التي هي منتدى

المتأدبين وملتقى القاطنين منهم والمتغربين فدخل ذو لحية كثة وهيئة

رثة فسلم على الجلاس وجلس في اخريات الناس ثم اخذ يبدي ما في وطابه ويعجب

الحاضرين بفصل خطابه فقال لمن يليه ما الكتاب الذي تنظر فيه فقال ديوان

ابي عبادة المشهود له بالاجادة فقال له هل عثرت له فيما لمحته على بديع استملحته

فقال نعم قوله كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد او برد او اقاح فانه ابدع في

التشبيه المودع فيه فقال له يا للعجب ولضيعة الادب لقد استسمنت يا هذا

ذا ورم ونفخت في غير ضرم اين انت من البيت النادر الجامع مشبهات الثغر

ثم يغني الغناء بالتغريد فيقتبس ونالزمسشع ناهيك عن شنب يفتر عن

لؤلؤ رطب وعن برد ومن اقاح ومن طلع ومن حبب فاستجاده من حضر

واستحلاه واستعاده غير واستملاه وسئل لمن هذا البيت وهل لكم حي

ام ميت فقال ايم الله للحق احق ان يتبع وللصدق حقيق بان يستمع انه يا

قوم لجليسكم هذا اليوم قال فكان لجماعة ان تابت تعزيهم وانبت مصدق دعوتهم

فتوجس ما هجس في افكارهم وفطن لما بطن من استنكارهم وحاذر ان يفرط اليهم

بخرم فغيرة ان بعض الظن اثم ثم قال يا رواة القريض واساة القول المريض ان

خلاصة الجوهر تظهر بالسبك ويد الحق تصدع رداء الشك وقد قيل فيما غبر

من الزمان عند الامتحان يكرم الرجل او يهان وها انا قد عرضت خبيئتي للاختبار

وعرضت حقيبتي على الاعتبار فابتدر احد من حضر وقال اعرف بيتا لم ينسج

على منواله ولا سمحت قريحة بمثاله فان آثرت اختلاب القلوب فانظم على هذا

الاسلوب وانشد شعرا فامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب

بالبرد فلم يكن الا كلمح البصر او اقرب حتى انشد فاغرب شعرا سألتها من زارت

نضو بقيعها القاني وابدت سنى الحب كبرا فرجعت شقّقا عتى سائره

وساقطت لؤلؤا من ختام عطر حمائلها الحاضرون ابياته واعترفوا بنزاهته

فلما انس استئناسهم بكلامه وانصبابهم الى شعب اكرامه اطرق كطرف العين

ثم قال ودونكم بيتين آخرين وانشد شعرا فتلت ما بين عبد الله في حللي

سوء تغص بنان النادم بحصر ندامة لما على جبح أثلها عض وضرمت البدر

بالندرة فحينئذ استبق القوم بشره واستغزروا دره وأجملوا عشرته

وجملوا قشرته قال الحارث بن همام فلما رأيت تلهب جذوته وتألق جلوته

أمعنت في توسمه وسرحت الطرف في ميسمه فإذا هو شيخنا السروجي وقد أقمر

ليله الدجوجي فهنأت نفسي بوروده وابتدرت استلام يده وقلت له

ما الذي أحال صفتك حتى جهلت معرفتك وأي شيء شيب لحيتك

حتى نكرت حليتك فأنشأ يقول وقع الشوائب شيب والدهر

بالناس قلب إن دان يوماً لشخص ففي غد يتغلب فلا تثق بوميض

من برقه فهو خلب واصبر إذا هو أضرى بك الخطوب وألب فما على التبر

عار في النار حين يقلب ثم نهض مفارقاً موضعه واستتبع القلوب

المقامة الثالثة الدينارية روى الحارث بن همام قال نظمني وأخداناً لي نادٍ

لم يخب فيه منادٍ ولا كبا قدح زناد ولا ذكت نار عناد فبينما نحن نتجاذب

أطراف الأناشيد ونتوارد طرف الأسانيد إذ وقف بنا شخص عليه سمل

وفي مشيه قزل فقال يا أخاير الذخائر وبشائر العشائر عموا صباحاً

وأنعموا اصطباحاً وانظروا إلى من كان ذا ندي وندى وجدة وجدا

وعقار وقرى فما زال به قطوب الخطوب وحروب الكروب وشر

الحسود وانتياب النوب السود حتى صفرت الراحة وقرعت الساحة

وعفا المربع من المرتع واقوى المجمع واقض المضجع واستحالت الحال
واعول العيال وخلت المرابض ورحم الغابط واودى الناطق والصامت
ورثى لنا الحاسد والشامت وآل بنا الدهر الموقع والفقر المدقع الى ان
احتذينا الوجى واغتذينا الشجى واستبطنا الجوى وطوينا الاحشاء
على الطوى واكتحلنا السهاد واستوطنا الوهاد واستوطأنا القتاد
وتناسينا الاقتاد واستطبنا الحين الجائح واستبطأنا اليوم المتاح
فهل من حر آس او سمح مواس فوالذي استخرجني من قيلة لقد امسيت اخا
عيلة لا املك بيت ليلة قال الحارث بن همام فاويت لمفاقره ولويت
الى استنباط فقره فابرزت له دينارا وقلت له اختبارا ان مدحته نظما
فهو لك حتما فانبرى ينشد في الحال من غير انتحال اكرم به اصفر راقت
صفرته جواب آفاق ترامت سفرته مأثورة سمعته وشهرته قد اودعت
سر الغنى اسرته وقارنت نجح المساعي خطرته وحببت الى الانام غرته كانما
من القلوب نقرته به يصول من حوته صرته وان تفانت او توانت عترته
يا حبذا نضاره ونضرته وحبذا مغناته ونصرته كم آمر به استتبت امرته
ومترف لولاه دامت حسرته وجيش هم هزمته كرته وبدر تم انزلته بدرته
ومستشيط تتلظى جمرته اسر نجواه فلانت شرته وكم اسير اسلمته اسرته
انقذه حتى صفت مسرته وحق مولى ابدعت فطرته لولا التقى لقلت جلت قدرته

سطيه فقال انجز حر ما وعد وسح خال اذ رعد فنبذت الدينار

خذه غير مأسوف عليه فوضعه في فيه وقال بارك اللهم فيه ثم

اء بعد توفية الثناء فنشأت لي من فكاهته نشوة غرام

سهلت علي ائتناف اغترام فجردت دينارا اخر وقلت هل لك في ان

ثم تضمه فانشد مرتجلا وشدا عجلا تبا له من خادع مماذق اصفر

ذي وجهين كالمنافق يبدو بوصفين لعين الرامق زينة معشوق ولون

وحبه عند ذوي الحقائق يدعو الى ارتكاب سخط الخالق لولاه لم

يمين سارق ولا بدت مظلمة من فاسق ولا اشمأز باخل من طارق

شكا الممطول مطل العائق ولا استعيذ من حسود راشق وشر ما فيه من

ان ليس يغني عنك في المضايق الا اذا فر فرار الآبق واها لمن يقذفه

ومن اذا ناجاه نجوى الوامق قال له قول المحق الصادق لا رأي

لي ففارق فقلت له ما اغزر وبلك فقال والشرط املك فنفحته

الثاني فقلت له عوذهما بالمثاني فالقاه في فيه وقرنه بتوأميه

يحمد مغداه ويمدح النادي ونداه قال الحارث بن همام فناجاني

بو زيد وان تعارجه لكيد فاستعدته وقلت له قد عرفت

في مشيك فقال ان كنت ابن همام فحييت باكرام وحييت

فقلت انا الحارث فكيف حالك والحوادث فقال اتقلب في الحالين

بؤس ورخاء وانقلب مع سحابين نحو رخاء فقلت كيف ذهب العرج

وما شأنك من هذا فاستشرى بشره الذي كان تجلى ثم أنشد وقد ولى

تعارجت لا رغبة في العرج ۔ ولكن لأقرع باب الفرج ۔ وألقي حبلي على غاربي

وأسلك مسلك من قد مرج ۔ فإن لامني القوم قلت اعذروا ۔ فليس على أعرج

من حرج المقامة [illegible] حكى الحارث بن همام قال ظعنت إلى دمياط عام هياط

ومياط وأنا يومئذ مرموق الرخاء وموموق الإخاء أسحب مطارف

الثراء وأجتلي معارف السراء فرافقت صحبا قد شقوا عصا الشقاق

وارتضعوا أفاويق الوفاق حتى لاحوا كأسنان المشط في الاستواء

وكالنفس الواحدة في التئام الأهواء وكنا مع ذلك نسير النجاء ولا نرحل

إلا كل هوجاء وإذا نزلنا منزلا أو وردنا منهلا اختلسنا اللبث ولم نطل

المكث فعن لنا إعمال الركاب في ليلة فتية الشباب غدافية الإهاب

فأسرينا إلى أن نضا الليل شبابه وسلت الصبح خضابه فحين مللنا

السرى وملنا إلى الكرى صادفنا أرضا مخضلة الربى معتلة الصبا

فتخيرناها مناخا للعيس ومحطا للتعريس فلما حلها الخليط وهدأ بها

الأطيط والغطيط سمعت صيتا من الرجال يقول لسميره في الرحال

كيف حكم سيرتك مع جيلك وجيرتك فقال أرعى الجار ولو جار وأبذل

الوصال لمن صال وأحتمل الخليط ولو أبدى التخليط وأود الحميم ولو جرعني

على الحميم وافضل المشفق على الشقيق وافي للعشير وان لم يكاف بالعشير

واستقل الجزيل للنزيل واغمر الخليل بالجميل وانزل سميري منزلة اميري

واحل انيسي محل رئيسي واودع معارفي عوارفي واولي مرافقي مرافقي

والين مقالي للقالي وادِيم تسآلي عن السالي وارضى من الوفاء باللفاء

واقنع من الجزاء باقل الاجزاء ولا اتظلم حين أظلم ولا انقم ولو لدغني الارقم

فقال له صاحبه ويك يا بني انما يضن بالضنين وينافس بالثمين لكني

لا آلو عن اخواني ولا اسيم لغاتي مراعاتي ولا اصافي من يأبى انصافي

ولا أواخي من يلغي الأواخي ولا أمالي من يخيب آمالي ولا أبالي بمن

صرم حبالي ولا أداري من جهل مقداري ولا أعطي زمامي من يخفر ذمامي

ولا ابذل ودادي لأضدادي ولا أدع ايعادي للمعادي ولا اغرس

الأيادي في ارض الاعادي ولا اسمح بمواساتي لمن يفرح بمساءتي ولا

ارى التفاتي الى من يشمت بوفاتي ولا اخص بحباتي الا احبابي ولا

اسقطت لذاتي عن اودآتي ولا املك خلتي من لا يسد خلتي ولا

اصفي نيتي لمن يبغي منيتي ولا اخلص دعائي لمن لا ينعم وعائي ولا

أفرغ ثنائي على من يفرغ انائي ومن حكم بان أبذل وتخزن وألين

وتخشن واذوب وتجمد لا والله بل نتوازن في المقال وزن المثقال

ونتحاذى في الفعال حذو النعال حتى نأمن التغابن ونكفي التضاغن ولا

فلا أعلك ونعلني وأقلك وتستقلني وأخرج الك وتحرجني وأسرح لسك

وتسرحني وكيف يجتلب الغضاب بضيم وأني تشرق شمس مع غيم ومحق

وذو تعسف وأي حرز في خطر حسب والله أبو الحب يقول شعر حبيب

من أعلن لي وده جزاء من يبغى على أسه وكلت للخل كما كان لي على وفاء الكيل

أو بخسه ولو أختره وشر الورى من بوده أحتر من أسه وكل من يطلب

عندي جني فمالك الأجر غرسه لا أبتغي الغبن ولا أنثني يصفقة المغبون

في حسه ولست بالموجب حقا لمن لا يوجب الحق على نفسه ودبت مقالة

المعرى فالني أصعد الود على لبسه وما دري من جهله أنني أقضي غريمي

الدين من جنسه فاجرى استغناك بحال الغني وصيرك المحمود في رمسه

والبس إن في وصل لبسه ثمار من يرغب عن أنسه ولا ترتج الود ممن يرى

أنك محتاج إلى فلسه ثم لا أرى فلما مادار بينهما تقتالى أن أعرف

عقبيهما فلما لاح ابن ركاب والحقت لحق الضياء غدوت ملا استقلالا الركاب

ولا اقتداء الغراب وجعلت استقري صوبا صوت الليلي والوشم الدقيق

بالنظر الحالي إلى أن لحت بأزيد وابن سجاد ثان وعلمهما بدأن رثانا فعلت

أنهما جبا ليلي وصاحبا رواني فقصدتها قصد كلف بدما ثتهما مات

لرثاثتهما وجبتهما التحول إلى دعلي والتحكم في كرى وتلى وطفقت

أستبين الستارة فضلهما وأمتر الإعلاء والمرة لهما إلى أن تحرا النجاء

ن والتحذر من الخذلان وكنا نجتزئ من غيثتي منذ بنيان القرى ونقنو بنيران

القرى فلما رأى ابو زيد امتلاء كيسه وانجلاء بؤسه قال لي ان بدني قد

اتسخ ودرني قد رسخ افتأذن لي في قصد قرية لاستحم واقضي هذا المهم

فقلت اذا شئت فالسرعة السرعة والرجعة الرجعة فقال ستجدني مطلع عليك

اسرع من ارتداد طرفك اليك ثم استن استنان الجواد في المضمار وقال لابنه

بدار بدار ولم نخل انه عرج على طلب الفرار فلبثنا نرقبه رقبة الاعياد ونستطلعه

بالطلائع والرواد الى ان هرم النهار وكاد جرف اليوم ينهار فلما طال امد

الانتظار ولاح الشمس في الاطمار قلت لاصحابي قد تناهينا في المهلة وتمادينا

في الرحلة الى ان اضعنا الزمان وبان ان الرجل مان فتأهبوا للظعن ولا تلووا

على خضراء الدمن ونهضت لاحدج راحلتي واتحمل لرحلتي فوجدت ابا زيد قد كتب

على القتب يا من غدا لي ساعدا ومساعدا دون البشر لا تحسبن اني نأيت

عن ملال او اشر لكنني مذ لم ازل ممن اذا طعم انتشر قال فاقرأت الجماعة

القتب ليعذره من كان عتب فعجبوا من خرافة قصته وتعوذوا من آفة شره ثم انا ظعنا

ولم ندر من اعتاض عنا المقامة الكوفية حكى الحارث بن همام قال سمرت

بالكوفة في ليلة اديمها ذو لونين وقمرها كتعويذ من لجين مع رفقة غذوا

بلبان البيان وسحبوا على سحبان ذيل النسيان وما فيهم الا من يحفظ عنه ولا يتحفظ

منه ويميل الرفيق اليه ولا يميل عنه فاستهوانا السمر الى ان غرب القمر وغلب السهر

طارقة الليل البهيم ولم يبق الا التهويم سمعنا من الباب نبأة مستنبح ثم تلتها صكة

مستفتح فقلنا من الملم في الليل المدلهم فقال يا اهل ذا المغنى وقيتم شرا ولا لقيتم

ما بقيتم ضرا قد دفع الليل الذي اكفهر الى ذراكم شعثا مغبرا اخا سفار طال واسبطر

حتى انثنى محقوقفا مصفرا مثل هلال الافق حين افتر وقد عرا فناءكم معترا وامكم

دون الانام طرا يبغي قرى ومستقرا فدونكم ضيفا قنوعا حرا يرضى بما احلولى

وما امرا وينثني عنكم ينث البرا قال الراوي فلما خلبنا بعذوبة نطقه وعلمنا ما وراء

برقه ابتدرنا فتح الباب وتلقيناه بالترحاب وقلنا للغلام هيا هيا وهلم ما تهيا

فقال الضيف والذي احلني ذراكم لا تلمظت بقراكم او تضمنوا لي الا تتخذوني

كلا ولا تجشموا لاجلي اكلا فرب اكلة هاضت الآكل وحرمته مآكل وشر الاضياف

من سام التكليف وآذى المضيف وخصوصا اذى يعتلق بالاجسام ويفضي الى الاسقام

وما قيل في المثل الذي سار سائره خير العشاء سوافره الا ليعجل التعشي ويجتنب

اكل الليل الذي يعشي اللهم الا ان تقد نار الجوع وتحول دون الهجوع فكانه اطلع

على ارادتنا فرمى عن قوس عقيدتنا لا جرم انا آنسناه بالتزام الشرط واثنينا على

خلقه السبط ولما احضر الغلام ما راج واذكى بيننا السراج تاملته فاذا هو ابو زيد

فقلت لصحبي ليهنكم الضيف الوارد بل المغنم البارد فان يكن افل قمر الشعرى فقد

طلع قمر الشعر او استسر بدر النثرة فقد تبلج بدر النثر فسرت حميا المسرة

فيهم وطارت السنة عن مآقيهم ورفضوا الدعة التي كانوا نووها وثابوا الى

ولما شرا الكهير بعد ما طوى ها وابو زيد مكب على اعمال يديه حتى اذا استرفع ما لديه

قلنا اطرفنا بأغرب غرائب اسمارك او عجيبة من عجائب اسفارك فقال لقد

عن عجائب ما لم تره الراؤون ولا رواه الراوون وان من اعجبها ما عاينته الليلة

قبيل انتيابكم ومصيري الى بابكم فاستخبرناه عن طرفة مرآه في مسرح مسراه

فقال ان مرامي الغربة لفظتني الى هذه التربة وانا ذو مجاعة وبؤسى وجراب

كفؤاد ام موسى فنهضت حين سجا الدجى على ما بي من الوجى لارتاد مضيفا

او اقتدح رغيفا فساقني حادي السغب والقضاء المكنى ابا العجب الى ان وقفت

على باب دار فقلت على بدار شعر حييتم يا اهل هذا المنزل وعشتم في خفض عيش

خضل ما عندكم لابن سبيل مرمل نضو سرى خابط ليل أليل جوي الحشى

على الطوى مشتمل ما ذاق مذ يومان طعم مأكل ولا له في ارضكم من موئل

وقد دجى جنح الظلام المسبل وهو من الحيرة في تململ فهل بهذا الربع عذب المنهل يقول

لي الق عصاك وادخل وابشر ببشر وقرى معجل قال فبرز الي جؤذر عليه شوذر

وقال وحرمة الشيخ الذي سن القرى واسس المحجوج في ام القرى ما عندنا لطارق

اذا عرى سوى الحديث والمناخ في الذرى وكيف يقري من نفى عنه الكرى

طوى برى اعظمه لما انبرى فما ترى فيما ذكرت ما ترى فقلت ما اصنع بمنزل

قفر ومنزل حلف فقر ولكن يا فتى ما اسمك فقد فتنني فهمك فقال اسمي

زيد ومنشاي فيد ووردت الى هذه المدرة امس مع اخوالي من بني عبس فقلت

ثم دعا ايضا لما ناداك السر صالحا عشت ونعشت فقال اخبرتني ام برة
وهي كاسمها برة انها نكحت عام الغارة بماوان رجلا من سراة سروج وغسان
فلما آنس منها الاثقال وكان باقعة على ما بنال ظعن عنها سرا وهلم جرا فما
احس هو بقي فيتوقع ام اودع اللحد البلقع قال ابو زيد فعلمت بصحة العلامات
انه ولدي وصدفني عن التعرف اليه صفر يدي ففصلت عنه بكبد مرضوضة
ودموع مفضوضة فهل سمعتم يا اولي الالباب باعجب من هذا العجاب فقلنا
لا ومن عنده علم الكتاب فقال اثبتوها في عجائب الاتفاق وخلدوها بطون
الاوراق فما سير مثلها في الآفاق فاحضرنا الدواة واساودها ورقشنا
الحكاية على ما سردها ثم استطلعنا عن رأيه في استضمام فتاه فقال اذا ثقل
ردني خف علي ان اكفل ابني فقلنا ان كان يكفيك نصاب من المال الفناه لك
في الحال فقال وكيف لا يقنعني نصاب وهل يحتقر قدر النصاب قال الراوي
فالتزم كل منا قسطا وكتب له به قطا فشكر عند ذلك الصنع واستنفد في الثناء
الوسع حتى انا استطلنا القول واستقللنا الطول ثم انه نشر من وشي السمر
ما ازرى بالحبر الى ان اطل التنوير وجشر الصبح المنير فقضيناها بالبلاغ
شوائبها الى ان شابت ذوائبها وكمل سعودها الى ان تفطر عودها ولما ذر
قرن الغزالة طمر طمور الغزال وقال انهض بنا لنقبض الصلات ونستنض
الحوالات فقد استطارت صدوع كبدي من الحنين الى ولدي فوصلت جناحي

حتى سئمت هاجرتي فاحتفاء العين في صرعة بعثت سائر بن سريرة فلا

تحرّيت خبراً عن خطأ قد منيت وإنه خلفي عليك فقلنا ربما أشبهك

شاهد ولدك النجيب وأنا ضنّ لكي يجيب فنظر إلى نظرة الخادع إلى المخدوع

وضحك حتى تغرغرت مقلتاه بالدموع ثم أنشد شعراً من نظم الترابيّة

تشبّثت للذي نويت ما خلت أن يستتر مكري وأن يصل الذي عنيت

ونقد ما يرة بعرسي ولا لي ابن به اكتنيت وإنما لي فنون سحر ابتدعتها

فنديت لم يحكها الأصمعي فيما حكى ولا حاكها الكميت تخذتها وصلة

تجتني كفي متى اشتهيت ولو تعاطيتها لحالت حالي ولم أحو ما حويت

فمهّد العذر وسامح إن كنت أجرمت أو جنيت ثم إنه ودّعني ومضى وأودع

المقامة السادسة المراغية

حكى الحارث بن همام قال حضرت ديوان النظر

بالمراغة وقد جرى به ذكر البلاغة فأجمع من حضر من فرسان اليراعة وأرباب

البراعة على أنه لم يبق من ينقّح الإنشاء ويتصرف فيه كيف شاء ولا خلف

بعد السلف من يبتدع طريقة غرّاء أو يفترع رسالة عذراء وأن المفلق

من كتّاب هذا الأوان المتمكّن من أزمّة البيان كالعيال على الأوائل ولو

ملك فصاحة وائل وكان بالمجلس كهل جالس في حاشية الناس عند مواقف الأشهاد

فكان كلما شطّ القوم في شوطهم ونثروا العجوة والنوى من نوطهم ينبئ

تخازر طرفه وتشامخ أنفه أنه مخرنبق لينباع ومجرمّز سيمدّ الباع وقانص

بيدي البنان ورابع يبقي المفضل فلما تملك الكبان ونامت السكان وقد

الزمانع وكفت المانع أقبل على الجماعة فقال جمتم شيئاً إذا وجرتم من

المصبحة وعظائم العظام الرفات أو أفتنتم في المبالي من فات وبعضهم

الذين فيهم منتدى الأدب ومعهم انعقدت الحوذات والسنتهم بإجماع

النقد وموابيه لكل العقد ما أبرمته طوارق القرائح وتعثر الخلع

على القبائح من العبارات المهذبة والاستعارات المستعذبة والرسائل

الموشحة والأساجيع المستملحة وهل للقدماء إذا انعم النظر من خير الجا

المطرفة الموائد المعسولة الشوارد المأثورة منهم لتقادم المولد لا

الصادر على الوارد وإني لأعرف الآن من إذا انشأ وشى وإذا عبر حرر وإن

أسهب نعت وإن أوجز أعجز وإن بده شده ومتى اخترع خرع فقال له ما

الديوان ومعين أولئك الأعيان فريع هذه الصفاة وصريح هذه الصفات

فقال أنا قرين مجالك وقرين جدالك وإذا شئت خرمت عجيباً وادعي عجيباً

لتري عجيباً فقال له ما هذا إن البغاث بأرضنا لا يستنسر والتبر عندنا بين

المعسر والمعسر متبر وقل من استهدف للنضال فخلص من الداء العضال

أو استثار نقع الامتحان فلم يقذ بالامتهان فلا تعرض عرضك للفاضح

ولا تعرض من نصاحة الناصح فقال كل امرئ أعرف بوسم قدحه وسيتفرى

الليل عن صبحه فتناجت الجماعة فيما يسبر به قليبه وبعد غور تقليبه فقال أحد

احمدتم ذرعه وحصرتم الارتياح بحجر يضيق فانها عضلة العقد ومحك المنتقد

فقلدوه في هذا الامر الزعامة تقليد الخوارج ابا نعامة فاقبل على الكهل وقال

اعلم اني اوالي هذا الوالي وارجي حالي بالبيان لحالي وكنت استعين على

اودي في بلدي بسعة ذات يدي مع قلة عددي فلما ثقل حاذي ونفد

رذاذي اممته من ارجائي برجائي ودعوته لاعادة رواتي وارواء فهش

للوفادة وارتاح ووعد بالافادة وراح فلما استأذنته في المراح الى المراح على

كاهل المراح قال لقد ازمعت الا ازودك سبانا ولا اجمع لك شتاتا او تنشئ

امام ارتحالك رسالة تودعها شرح حالك حروف احدى كلمتيها يعمها النقط

وحروف الاخرى لم يعجمن قط وقد استأنيت بيانك حولا فما احار قولا ولا نبهت

فكري بسنة فما ازداد الا سنة واستعنت بقاطبة الكتاب فكلهم قطب

وتاب فان كنت صدعت عن وصفك باليقين فأت بآية ان كنت من

الصادقين فقال له لقد استسعيت يعبوبا واستسقيت اسكوبا واعطيت

القوس باريها واسكنت الدار بانيها ففكر ريثما استجم قريحته واستدر

لحمه وقال له الق دواتك وخذ اداتك واكتب الكرم ثبت الله

جيش سعودك يزين واللؤم غض الدهر جفن حسودك يشين والاروع

يثيب والمعور يخيب والحلاحل يضيف والماحل يخيف والسمح يغذي

والمحك يقذي والعطاء ينجي والمطال يشجي والدعاء يقي والمدح ينقي

والحر يجزي والالطاط يخزي واطراح ذي الحرمة غي ومحرمة بني الامال

بغي وما ضن الا غبن وما غبي الا اضن ولا خزن الا شقي ولا قبض كفه

تقي وما فتى وعدك يفي وآراؤك تشفي وحلمك يغني وهلالك يضيء

فآلاؤك تغني واعداك تغضي وحسامك يمضي وسؤددك يربي وظلالك

يجتبى ومادحك يقتني وساحتك تخصب وسؤالك يحبث ودرك يبض

ودرك يبض ومؤملك شج حكاه في ولم يمن لريث اتاك يظن حرصه

يثب ومنحك يخصب محموها غب ومرامه يحف ولواصه تثبت واطراده

يجلب وملامه تجتنب وقراره صفقت منهم شظف وحصتهم جنف

وعيشهم ضنك وهو في دمع يصب وداء يذيب وهم تضيف وكبد تنقب

لامول خيب وامال شيب وعدو نيب وهوى يغيب ولم يرع وده

فيغضب ولا خبث عوده فيقضب ولا نفث صدره فيقتضي ولا لشر وصله

فيبغض وما يقتضي كرمك نبذ حرمة ينبث امله بخشيف لم ينبث حمدك

بين عالم ينبث لا مأمله يخيب واعطاؤه يشيب ومعاداه يحيق ومرآة يعني

دوحه لا يخفق وسهم عفو ما غشي معهد عفي او خشي ولم يعني والسلام

فلما فرغ من املاء رسالته وجلا في مجال البلاغة عن بسالته ارضته الحاضر

ون قولا وفعلا واوسعوه حفاوة وطولا ثم سئل من اي الشعب نجاره وفي

اي الشعاب وجاره فقال غسان اسرتي الصميمة وسروج تربتي القديمة

[illegible] شرانى ومن البسيمة والربيع كالفردوس مطيبة ومنزهة

[illegible] ما لعيش كان لى بها ولذات عيشة ايام يطرب فى روضها ماطخ

[illegible] فى برد الشباب واخطى النعم والسيئة لا اتقى نوب الزمان

[illegible] فلو ان كريما متلف لتلفت من كرب عيشة او بقيت على

[illegible] تنجى الكريمة فالموت خير للفتى عيش البهيمة نقتاد [illegible]

[illegible] لحصيمة وبنى السباع مع شيخها ابى الضباع المستضيمة والذ

[illegible] فيها المرتب شيمة ولو استقامت كانت الاحوال فيها

[illegible] فى الوالى فلا ذاه بالدلالى وساحران يضوى الى احشائه قد

[illegible] فحسبه لها وطلقه عن الولاية الا ان الراوى وكنت

[illegible] حرة فبلا بناح شرة نكبت ابيه على علوقته قبل استناره

[illegible] جفنة الا اجرد عضبه من جفنه فلما خرج بطن لحج و

[illegible] شعشة فاضياحق النابة ولاحيا له على رمش الولاية فاعرض

[illegible] منزلنا سعر بجوب للبلاد مع العزيمة احب الى من المرتبة

[illegible] وعشيرة بالها معشرة وما فيهم من يرب الصنيع ولا

[illegible] غلبة عند لوح السراب ولا نات امرا اذا ما اشتبه

[illegible] وادركم الموت لما انتشر الفاما التابعون ونحن بالبعيدة

[illegible] قال ورفعت الشخوص من بر فهيد ومن تعلمت برق عبيد

فكرهت الرحيل عن تلك المدينة أو أشهد بها يوم الزينة فلما أظل العيد بفرضه
ونفله وأجلب بخيله ورجله اتبعت السنة في لبس الجديد وبرزت مع من برز
للتعييد وحين التأم جمع المصلى وانتظم وأخذ الزحام بالكظم طلع شيخ في شملتين
محجوب المقلتين وقد اعتضد شبه المخلاة واستقاد لعجوز كالسعلاة فوقف
وقفة متهافت وحيا تحية خافت ولما فرغ من دعائه أجال خمسه في وعائه
فأبرز منه رقاعا قد كتبن بألوان الأصباغ في أوان الفراغ فناولهن عجوزه
الحيزبون وأمرها بأن تتوسم الزبون فمن آنست ندى يديه ألقت رقعة
لديه فأتاح لي القدر المعتوب رقعة فيها مكتوب لقد أصبحت
موقوذا بأوجاع وأوجال وممنوا بمحتال ومختال ومغتال وخوان من الإخوا
ن قال لي كالقالي وأعمال من العمال في تضليع آمالي فكم أصلى بإنحال وإمحال
وإقلال وكم أخطر في بال ولا أخطر في بال فليت الدهر لما جار أطفال
أطفالي فلولا أن أشبالي أغلالي وأغلالي لما جهزت آمالي إلى الآل ولا آلي
ولا جرت أذيالي على مسحب إذلالي فمحرابي أحرى بي وأسمالي أسمى لي فهل حر
يرى تخفيف أثقالي بمثقال ويطفي حر بلبالي بسربال وسربال قال الحارث
بن همام فلما استعرضت حلية الأبيات تقت إلى معرفة ملحمها وأم علمها فناجاني
الفكر بأن الوصلة إليه العجوز وأفتاني بأن حلوان المعرف يجوز فرقبتها
وهي تستقري الصفوف صفا صفا وتستوكف الأكف كفا كفا وما إن نجح لها

لها سناءٌ ولا يرشح على بابها اناءٌ فلما اكدى استعطافها وكدها مطالها عاودتها

بالاستجداء وقالت الى نجاح الرقاع وانشأها الشيطان ذكر وبعثني فلم انجح

الى بعضٍ وامتُ الى الشيخ باكبر الحرمان شاكياً مخاض الزمان فقال انا لله

وافوّض امري الى الله ولا حول ولا قوة الا بالله ثم انشد شعر لم يبق صاحبٌ

ولا مصافٍ ولا معينٌ ولا معانٌ وفي المساوي بدا التساوي فلا امين ولا

ثم قال لها هاتِ النفس نسيبها واعمي الرقاع بعدها فقالت لقد عودتها لما

فوجدت بدا القضاء فقالت اجدى الرقاع فقال نغشاك بالكلام اخرى وفجأت

القفص ملجأ الذو والقفص والنار انها الصنعة على بالرة فما استفتيت منهجها

فلما دانتني ورأيت ان تعزز دونها وتطير فقلت لها ان رغبت في المتوف المعلم

واشرت الى المهم منوحي بالستر لبهم وان ابيت ان تشرحي تحدثي القطيعة

واسرحي قالت الى اصحاب من ابناء التم ولا ابلج الهم فقالت دع جدالك و

عنادك فاستطلعتها طلع الشيخ وبلده والشعر وناسج برده فقالت

ان الشيخ من اهل سروج وهو الذي وشّى الشعر المنسوج ثم خطفت الدهم

خطف المباشق ومرقت مروق السهم الراشق فخالج قلبي ان ابا زيد هو المشار

اليه وثاج كربي لمصابه بناظريه واثبت ان اخبره فانا خبير لا يجعو دفراسه

بيد وما كنت لاصل لينا لا يخطى رثاب لجمع المهم عندي الشيخ وعقلت ان باد

ب ... اولئيها الى لوم فشدكت مكاف وجعلت مختصر شعابي الى ان انفضت

لخبزه وحنت الى وشله فحففت اليه وتوسمته على الطعام حضيرًا فاذا المعنيّ

المعتمر ابن عباس معه اسود فراسه ابلس عن شرح عشقي واثرت اجتنفه

واصبت به الى مرعى موحش لغارعون يعرفني ولبحي دعوه رغيفك وانطلق

وبدي بناسمر وطلق عامر والعجوز ثالثة الاثافي والريب الذي لا يخفى عليه

خافٍ فلما استطاب وكتفى واحضر عجالة مكتفي قال يا حارث امعنا ثالث

فقلت ليس الا العجوز قال ما دونها سر محجوب ثم فتح كريمتيه فاذا بهما

كأنهما سراجا وجهه يتقدان كانهما الفرقدان فتعجبت بسلامة بصره وعجبت

من غرائب سيره ولم يلفني قرار ولا طاوعني اصطبار حتى سألته ما دعاك الى

التعامي مع سيرك في الفيافي وجوبك للموامي وايغالك في الفلوات فتظاهر باللكنة

وتشاغل باللهنة حتى اذا افضى وطره التفت الي ونظر وانشد شعرا وما انشد

الدهر فهو ابو الورى عن الرشد في انحائه ومقاصده تعاميت حتى قيل اني اخو

عمى ولا غرو ان يحذو الفتى حذو والده ثم قال انهض الى المخدع فأتني بغسول يوفق

الطرف ويجلي الكف وينعم البشرة ويعطر النكهة ويشد اللثة ويقوي المعدة

وليكن نظيف الظرف ارج العرف فتي الدق ناعم السحق يحسبه اللامس ذرورًا

ويخاله الناشق كافورا واقرن به خلالة نقية الاصل محبوبة الوصل تستقر الاكل

مدعاة الى الاكل لها نحافة الصب وصقال العضب والة الحرب ولدونة

الغصن الرطب قال فنهضت بها لا لاحدو عند الغدر لم اهم الى الترضني

ان يجزع بادخال الجذع ولا انظنيذا فرحتو من الرسول في سد عار الخلال لرما

...عبث بالمليس في ازيبجن ثم يج لنفس وعبث بحق منه لا هو الشيخ فلا جعلك

ستنصت من مكي عضنا ذا وعلنف في ثوبه طلبا فكان كن غمس في الماء اوصح

او عهاد السماء والمقابر ... واجرا الحارث بن همام قال

...بت من عاجيب الزمان ان تقدم خصمان الى قاضي معرة النعمان احدهما قد ذهب

...ا الاطيبان والاخر قضيب البان فقال الشيخ ابا الله القاضي كابدا بر المقاضي اقر

كانت لي مملوكة يرشفها الفتى اسيل الخد صبور على نكب تخت حياتها كالنهد وجه

هوي في المهد يحدق مورس البرد ذات عقل بعنان وعتق ستان كبير

بنان ونبر بالاسنان تلبع بلسان نضناض وبرفل في ذيل فضفاض ويجل في

سواد وبياض ويسقى ولكن من غير حياض ناصحة منعم حباة ظلم مطوعة

على لسعة مسطوا عرف لطيق والسعر اذا قطعت وصلت وبين نصلتها

عنك نفصلت فطالما خدمتك فجلت فتقاجنت عليك فلت وقلت ولذا

... استخدمتها لغرض فاخذتها بالعرض على ان يجيئني نفعها ولا

يجيئها لا وسعها فاولج فيها مشاعره واطال بها استمتاعه ثم اعادها وقد

... وبذل معها ثمنا لا ارضاها فقال الحدث اما الشيخ فاصدق من

قطا والافضاء تفرط عن خطا وقد رهنته ملوكا له شاسبا الطرفين

نسبا الى القين نقيا من الدرن والشين يقارب مخل سواد العين

تشتري الاحسان وتشتري الاستحسان وتغني الانسان وتحابي اللسان .

ان يسود عاد او يسم اعاد طذا انقذ نقب لزاد ومحا ليبيد بلاد

بعثه وقلما يتيح الاستثنى يبحي بموعده ويسوعنه عوده ويقاد مع

وان لم يكن من خيلتنه ويستمتع ببشره وان لم يطمع في لبشر فقال لهما

القاضي ثنتنا والامنا الى بلد العلام فقال ... ارد لا ... اطلا

عفاها البلى وسود هاتف تحرث في بلدي على خفاء منى لما حدثت مفرقها .

فلم يرو الشيخ ان يساجني بالشها اذ رأى نادها بلا لوعات ايره ممالها .

او نعم بعد ان تحونها واعان يبيى نفسا لديرونا هلك بها ستر تقيدها .

فالعين منها الهيرويني فعصر عن ان تفك مرودها فسر بلد الشيخ بود مستكنى

دارت ان لم يكن نعودها فاقبل القاضي على الشيخ ابر بعنر نحوه فقال الشيخ

بالمشعر الحرام ومن ضم من الناسكين خيف منى من يره عالها ولا ثمنا .

لكن نوب الخطوب ترشقني مصيبات من هاهنا وهنا فصير حالي الكبير حال النكير .

خيرا وبوسا وعربه وضنا فدعتك الدهر سنا فانا نظره في الشقاء وهوانا .

لا هو يستطيع مرود ما عدا في يدي مرتهنا ولا مجالي الضيق ذات يدي ... الناع

للعفو حين جنا فهذه قصتي وغصتي فانظر الينا وبيننا ولنا فلما وعى القاضي

قصصهما وتبين خصاصتهما وخصصهما ابرز لهما دينارا من تحت مصلاه وقال

اقطعا به الخصام وانفصلا فتلقفه الشيخ دون الحدث واستخلصه على وجه الجد

تحت وقال الحارث فضيق لي تبسم شرف بسمات تحن أرثا ثغره

حتى لحن أسيل نعم وخذا أسيل نعرف لحث لما جنت الكنا وحم كرا القاضي يلتمح

سفر على الدينار الماضي الا انزجر بالالغي وكما لمد بيهات رضح بهاله

وقد لها اجتنبا المنازلات ولدرا المحاضات ولا تحضرا الحكايات تباعد

من الغرامات فنفسنا من عنده فرحانين بزفده مفتخين بحمده والقاضي ما يحتو

حسرة ينفقض جمره ولا ينفصل كمده منذ شح جليل حتى اذا افاق من غشيته

قبل على غاشيته وقال الله اشرب حسي وتنافي حدسي انهما صاحبا دهاء

لاصحبا ادعاء فكيف السبيل الى سبرهما واستنباط سرهما فقال له تحرير زمرته

وشرارة جمرته انه لم يتم استخراج خبيئتهما الا بهما فقفاهما عونا يرجعهما البر ظلما

تثلا بين يديه قال لهما اصدقا في سنكما ولكما الامان من تبعة مكركما فاحجم

الحدث واستقال واقدم الشيخ وقال انا السروجي وهذا ولدي والشبل

في المخبر مثل الاسد وما تعرفت به كأبيه فما ظلم ولدا الاقدم

نبي المعشى مالنا حتى غدونا نخشع كأننا من الراضعين الورد وكل

حسا الكف مغلول اليد يجل في كل مقصد بالحدان اخرى فلا ما الذي يجلب

في الحظ الصدى فتنفد العمر بعيش النكد والموت من عنا لنا بالمرصد

لم يفاجئ اليوم نعاني فقد فقال له القاضي لله درك فما اعذب نفثات

فمك لولا خداع فيك وإني لك لمن المنذرين ومعلمك من المحذرين فلا تماكر

معها الحاكيين واتقي سطوة المتحكمين فما كل مسقط يقبل ولا كل اوان يسمع

القيل فعاهدت الشيخ على اتباع مشورته والارتداع عن تلبيس صورته

وفصل عن جهته ولم ادر بلع عن جهته قال الحارث بن همام فلم ار اعجب منها

في تصاريف الاسفار ولا قرأت مثلها في تصانيف الاسفار المقامة التاسعة

تتضمن مشاجرة زوجين عند الحاكم بالاسكندرية اخبر الحارث بن همام قال

طحا بي مرح الشباب وهوى الاكتساب الى ان جبت ما بين فرغانة وغانة

اخوض الغمار لاجني الثمار واقتحم الاخطار لكي ادرك الاوطار وكنت لقفت

من افواه العلماء وثقفت من وصايا الحكماء انه يلزم الاديب الاريب اذا دخل البلد

الغريب ان يستميل قاضيه ويستخلص مراضيه ليشتد ظهره عند الخصام

ويأمن في الغربة جيف الحكام فاتخذت هذا الادب اماما وجعلته لمصالحي زماما

فما دخلت مدينة ولا ولجت عرينة الا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء

بالراح وتقويت بعنايته تقوي الاجساد بالارواح فبينما انا عند حاكم

الاسكندرية في عشية عرية وقد احضر مال الصدقات ليفضه على ذوي الفاقات

اذ دخل شيخ عفرية تعتله امرأة مصبية فقالت ايد الله القاضي وادام به

التراضي اني امرأة من اكرم جرثومة واطهر ارومة واشرف خؤولة وعمومة

الصون ميسمي والهون شيمتي وخلقي نعم العون وبيني وبين جاراتي بون وكان

ابي اذا خطبني بناة المجد وارباب الجد سكتهم وبكتهم وعاف وصلتهم وصلتهم

...م وحنح بأثر ساعد الله تعالى بحلبه الا شباهر عبرتي جنح بغنق القديد

ومني ويقبني ان حضر هذا الحد عنادي عالي ما قسم بين وعطر انه ولو بحظ

... وعلى شرط المناظر لي دقة فباعها بيده واعتراف بخجله بحاليه

... تخبير قبل اخبار بحال بعث المستوحي من كناسي وخلي عن أثلث

... الى كسره وحسني بخت اسره وجدتم فقده جمز والقسم جعجعم

... وكنت عجبت بباش بيتي ورواء وبدي ما رح بيعمري فنون

... فتم وبلغت تمتر في الخصم والفضم الى ان مني ما لي أبيرهو انفق

... في غبره فلما انساني طعم الراحة وعاد ربعي انقى من الراحة

... لها بهذا انه لا محتا بعد بؤس ولا عطر بعد عروس فمن الاكنا

... عنك وحببتني ثمرة براعتك فرعم ان صناعتهم قد رميت بالكساد

... في الارض من الفساد ولي منه سلالة كانه خلاله وكلانا ما يبال

... شبعه ولا ترقاء لبن الطوى دمعه وقد قدتنا اليك واحضرته

... لنحكم عود دعواه وتحكم بيننا بما اراك الله فاقبل القاضي عليه

... ند دعت بض عرسك فبرهن من نفسك والا كشفت

... سترك وامرت بحبسك فاطرق اطراق الافعوان ثم تشمر للحرب

... وقال اسمع حديثي فانه عجيب يضحك من شرحه وينتحب

... لست خصما بعيب ولا في فخاره ريب سروج داري التي ولدت بها

ولا مثل عثمان من تنتسب هو مشتغل الدرس والتحري في العلم فلا يبتغي الطلب

ودونهم ما لي سحر الكلام الذي صنع القريض والخطب اخوض في لجج

البيان فمنشا اللآلي منها فتختب ولحقني من الفوائد

للعقود مختطب وانما للفظ قبل التذهب وكنت

من مثل امري نسبا الادب للفتى واجلب

ليس فوقها رتب وطالما ذقت الصلات لي دعيتهم ارغب كل من يهب

اليوم من يعلق الرجاء به اكسد شي في سوقه الادب لا عرضنا صان

ولا يرعت فيهم ال ولا نسب كانهم في عراصهم جيف يبعد من نتنها

ويجتنب فما لقي لما منيت به من الليالي وصرفها عجب وضاق ذرعي

لضيق ذات يدي وساورتني الهموم والكرب وقد دهى دهري الملم الى

سلوت ما تشتهيه النفس فبعت حتى لم يبق لي سبب ولا ثياب اليه

انقلب وادنت حتى اثقلت ساقي من دين ثم طوت

محتاط على سغب خمسا فلما امضني السغب لم ار الا جهازها عرضا اجول

به واضطرب فجلت والنفس كاسفة والعين عبرى والقلب مكتئب

وما تجاوزت اذ عبثت بي حد التراضي فجئت للغضب فان يكن غاصها دوزن

ترهنها ان بان بانتظم تكتسب اواني ذهبت خطبتها زخرفت ولي

لبنيح الادب فهو الذي سارت له قوافي كعبة العجب ما

ما الكرام بالحسنات من خلفٍ ولا سعادى التورية والكتب ولا بدي فلنشأت شطر

بها الامة بعد الربيع والكتب بالفكر فنظم لغا الاندلا كفى وشرى المنطوح

وهذه الحرفة المستألفة ما كنت احوى بها فطلب دون البشرى كالادث لها ولا

رائب واحكم ما يجب فالغنيا الحكم ملتفظه عطفت لنا شي الى الفتاة صبابة شغف

ما لا اسباب ولا لما الناس قد بثت هدجميع الحكام وهلاة الاحكام انفرامي بين الكرام و

الا ابلم الى الليام وان لا خال سلك صعبة في الكلام بتاض المدائم وما هو

قد عرفت الى بالغرض وصرح عن المحض وبين مصداق النظم وبيّن ام موقعا

لعظم واغتناء المحدث ملكامنة وحبس المعبر مااتمه وكتمان الفقر بهادة وانطاد

لعرج ما لقصر عبادة فادمجي الى جسده واعتذري ابا عندك ومضى من عرايك شطر

مضاد ببك ثم امه فرص لها في الصدمات حصر ونافلها من ذا ابطر بصير وكال

تحلرو بهذه العلالة فنعا بهذه البلالة واصبا على كبا الزمان وكن فسبحان الله

ان بات بالفتح او امرت عنه مغفضا وللشيخ درجة المعلى من الاسد وفقره

الموسر بعيدا لاعسار ولا الزادي فكث عرضلة ابا بيد ساعتر بعث حشمرتت

عمر وكنت اضحى عن شاير واحتاوا فنافرثم استغنت من عنو الفاضي على

مهنائه وتتوين لسانه فلا يجي عنعربانه ان يتبعه لاعسانه فاجحت عن القول

اجمع المناب وطويت ذكره كلها استجل الكتاب الا الى قلت بعد بانفصاله

وما وعص لوان لنا من ينطلق فى ان الا انا ما بفق خيره وما بنشر خبره فانعم

اذ ماشى احد المنابر وامره بالجلوس على اثره فما لبث ان رجع منتهبا وهو يتبسم

معقبها فقال له القاضي مهيم يا ابا مريم فقال لقد عاينت عجبا وسمعت ما انشانى

طربا فقال له ماذا رايت وما الذي وعيت فقال لم يزل الشيخ مذ خرج يصفق بيديه

ويخالف بين رجليه ويغرد بملء شدقيه ويقول كدت اصلى بلية من قاح سبرية

واروم لتيسير الاحاا الاسكندرية فضحك القاضي حتى هوت دنيته وذوت سكينته

فلما فاء الى الوقار وعقب الاستغراب بالاستغفار قال اللهم بحرمة عبادك المقربين

حرم حبسى على المتادبين ثم قال لذلك الامين على بهذا الطلق صدقا في طلبه ثم عاد بعده

لامر يجز اسبابه فقال اما انه لو حضر لكفي الحذر ثم لا وليته ما هو وليه ولاريبه

ان الاخرة خير لمن الاولى قال الحارث بن همام فلما رايت صغو القاضي اليه وفوت

ثمرة التنبيه عليه عشتنى ندامة الفرزدق حين ابان النوار والكسعي لما استبان النهار الناظر

المقامة الخامسة عشر الفرضية حكى الحارث بن همام قال هتف بي

داعي الشوق الى حيز مالك بن طوق فلبيته مطيا بشملة ومنتضيا عزمة

مشمعلة فلما القيت بها المراسي وشددت مراسي وبرزت من الحمام نحيبت

مرداسي رايت غلاما اقرع في قالب الجمال وقد لبس من الحسن حلة الكمال وقد علق

شيخ يدعى انه فتك بابنه والغلام ينكر عرفته ويكبر قرفته والخصام بينهما

مستطير الشرار والزحام عليهما يجمع بين الاخيار والاشرار الى ان اضابه

استشعاطهما الدنا لتناطرا الى حاكم البلد وكان ممن يتقلق بالهوان ويثب

سا بين شط البنات فسرها الى بلد سرى كالسليك في عقوته فلما حضرا جدد الشيخ

دعواه فاستدنى [illegible] فاستنطق الغلام [illegible] بمحاسن [illegible]

[illegible] فقال انها الحكم [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] الى الشيخ [illegible] ولا تسوف منه باليمين فقال

[illegible] خاسئا [illegible] ولم يكن ثم مشاهد ولكن

[illegible] اليمين ليبين لك الصادق ام مين فقال [illegible] لك

[illegible] على [illegible] فقال الشيخ للغلام قل والذي زين الجباه بالطرر

والعيون بالحور والحواجب بالبلج والمباسم بالفلج والجفون بالسقم والانوف بالشمم

والخدود باللهب والثغور بالشنب والبنان بالترف والخصور بالهيف انه

ما قتلت ابنك سهوا ولا عمدا ولا جعلت هامته لسيفي غمدا والا فرمى الله

جفني بالعمش وخدي بالنمش وطرتي بالجلح وطلعتي بالكلح ووردي بالبهار [illegible]

ومسكي بالبخار وبدري بالمحاق وفضتي بالاحتراق وشعاعي بالظلام [illegible]

[illegible] فقال [illegible] بالبلبلة [illegible] [illegible] [illegible] والافئدة [illegible]

[illegible] بالحلف [illegible] الشيخ [illegible] اليمين التي اخترعها

[illegible] بينهما [illegible] الغلام [illegible]

[illegible] الى [illegible] الى ان دان هواه على قلبه

[illegible] الذي [illegible] والطمع الذي [illegible] ان يخلص الغلام

وتستخلص ولدك بهذه من حبالة الشيخ ثم يستنصر فقال للشيخ هل لك فيما هو

أنجى بالأولى وأقرب للتقوى فقال إلامَ تشير لا فُضَّ فوك ولا أُفَّ فيك فقال أرى

أن تقصر عن القيل والقال وتقتصر منه على مائة مثقال لأتحمل منها بعضاً وأجبي

لك الباقي عرضاً فقال الشيخ ما مني خلاف ولا لوعدك إخلاف فنقده الوالي

عشرين ووزع على من حضر تكملة خمسين وتوفى نوب الأصيل وانقطع لأجل صوب

التحصيل فقال لهما خذا ما راح ودعا عنكما اللجاج وعليّ غداً أن أتوصل إلى

أن ينضّ لك الباقي فنهض فقال الشيخ أقبل ذلك على أن ألازمه ليلتي

ويرعاه إنسان مقلتي حتى إذا أعفى بعد إسفار الصبح بما بقي من مال الصلح

تخلصت ذمته من فوت وبرئ براءة الذئب من دم يعقوب فقال له الوالي

ما أراك سمت شططاً ولا رمت فرطاً فقال الحارث بن همام فلما تبجح الشيخ

كلمح السرحبير علمت أنه علم السروجي فلبثت إلى أن ذرّت نجوم الظلام وا

خمود الزحام ثم قصدت مأوى الوالي فإذا الشيخ المعني كالي فنشدته الله أهو

أبو زيد فقال إي وحلال الصيد فقلت من هذا الغلام الذي هفت له الأحلام

قال هو في النسب فرخي وفي المكسب فخّي فقلت هلا اكتفيت بمحاسن فطرته

وكفيت الوالي الافتتان بطرته فقال لولا بروز جبهته السين لما افترست

الخمسين ثم قال بت الليلة عندي لنطفئ نار الجوى ونسيل الهوى من لنوى

فقد أجمعت على أن أنسل بسحرة وأصلي نار إلى رحبة قال فقضيت الليلة

معرقي مراتي من حدبه وزهر تحتها شجر حتى اذا لألأ الأفق ذنب السرحان

وآن انبلاج الفجر وحان ركب متن الطريق واذاق الوالي عذاب [illegible] سلم

الى ساعة الفراق رقعة محكمة الالصاق وقال ادفعها الى الوالي اذا سلب

القرار عن القاضي وتحقق منا الفرار ففضضتها فعل المتلمس من مثل صحيفة

المتلمس فاذا فيها مكتوب قل لوال غادرته بعد بيني سادما نادما يعض

اليدين سلب الشيخ ماله وفتاه لبه فاصطلى لظى حسرتين جاد بالعين حين

اعمى هواه عينه فانثنى بلا عينين خفض الحزن يا معنى فما يجدي طلاب الآثار

من بعد عين ولئن جل ما عراك كما جل لدى المسلمين رزء الحسين فقدا

عندنا وحرما واللبيب الاريب يبغي دين فاعص من بعدها المطامع واعلم

ان صيد الظباء ليس بهين ولا كل طائر يلج الفخ ولو كان محدقا بالحين

فكم من سعى ليصطاد فاصطيد ولم يلق غير خفي حنين فتبصر ولا تشم كل برق

رب برق فيه صواعق حين واغضض الطرف تسترح من غرام تكتسي فيه ثوب

ذل وشين فبلاء الفتى اتباع هوى النفس وبذر الهوى طموح العين قال الراوي

فرمتت رقعته شذر مذر ولم ابل اعذل ام عذر [illegible]

[illegible] الساوية حدث الحارث بن همام قال آنست من قلبي القساوة حين

حللت ساوة فاخذت بالخبر المأثور في مداواتها بزيارة القبور فلما صرت

الى محلة الاموات وكفات الرفات رأيت جمعا على قبر يحفر ومجنوز يقبر

فانخرطت اليهم متفكرا في المال ومتذكرا من درج من الآل فلما الحدوا الميت

وفات قول ليت اشرف شيخ من رباوة متخصرا بهراوة وقد لفع وجهه بردائه ونكر

شخصه لدهائه فقال لمثل هذا فليعمل العاملون فادكروا ايها الغافلون وشمروا

ايها المقصرون واحسنوا النظر ايها المستبصرون وفوقكم فضرع جزعه

الواسعون مالكم ما يحزنكم دفن الاتراب ولا يهولكم هيل التراب ولا تعباون

بنوازل الاحداث ولا تستعدون لنزول الاجداث ولا تستبكون لعين تدمع

ولا تعتبرون بنعي تسمع ولا ترتاعون لالف يفقد ولا تلتاعون لماتم يعقد

يشيع احدكم نعش الميت وقلبه تلقاء البيت ويشهد مواراة نسيبه وفكره

في استخلاص نصيبه ويخلي بين ودوده ودوده ثم يخلو بمزماره وعوده طالما

اسيتم على انثلام الحبة وتناسيتم اخترام الاحبة واستكنتم لاعواز العلقة

واستهنتم بانقراض الاسرة وضحكتم عند الدفن ولا ضحككم ساعة الزفن وتبخترتم

خلف الجنائز ولا تبختركم يوم قبض الجوائز واعرضتم عن تعديد النوادب الى اعداد

المادب وعن تحرق الثواكل الى التانق في الماكل لا تبالون بمن هو بال ولا

تخطرون ذكر الموت ببال حتى كانكم قد علقتم من الحمام بذمام او حصلتم من الزمان

على امان او وثقتم بسلامة الذات او تحققتم مسالمة هادم اللذات كلا ساء

ما تتوهمون ثم كلا سوف تعلمون ثم انشد ايا من يدعي الفهم الى كم يا اخا

الوهم تعبي الذنب والذم وتخطي الخطا الجم اما بان لك العيب اما انذرك الشيب

... ولا سمعت ندمهم · اما نادى بك الموت اما اسمعك الصوت

... العروف مخناه ... فكم تسدر في السهو وتختال من الزهو وتنصب

... كان الموت مأتم · ... واطار ... لما ...

... اذا اسخطت مولاك فما تقلق من ذاك وان أخفق مسعاك

... ولاح لك النقش من الاصفر تهتش وان مر بك النعش تغاممت

... لتناجح البر وتعاص ... وتنفذ ... ومن مات ومن نفس

... هوى النفس وتحتال على الفلس وتنسى ظلمة الرمس ولا تذكر ما ثم

... الحظ لما طاح بك اللحظ ولا كنت اذا اوعظ ... الاخوان تتعظ

... اذا اعيتك لا تنفع ... ولا خال ... كأني بك

... وقد اسلمك الرهط الى اضيق من سم · هنالك الجسم ممدود

... الى ان ينخر العود ... العظم ... ومن بعد فلابد من العرض

... صراط جسره مد على النار ... فكم من مرشد ضل ومن ذي عزة ذل

... الخطب ... تبادرها ...

... ولا تركن الى الدهر وان لان وان سر ... بافعى

... وخفض من تراقيك فان الموت لاقيك وسار في تراقيك ...

... اذا ساعدك ... الالفاظ ... فما اسعد من ...

... وصدق اذا نث ... الرث فما ... من ...

وشر من ذنبه بجفن ما اجترم وماحص ولا آسى على النقص ولا حريص على الاثم وعاد

لخالق الزرد وعود كفك البلل ويستمع لعذاله وينقهها عن الضم وزود نفسه

الخير يدعها يعقب الصبر ويبعثي مركب الشر ومضمن الحز البه بدا واوصيت باصلاح

وقد بحث كم باح فطوبى لمن راح بادا في بائم ثم حسر ردنه عن ساعد شديد الاسر

وقد شد عليه جبائر المكر لا الكسر متعرضا للاستماح فتعرض الوقاحة فاصطب به

المال الملاحي انوع كم وصلا ثم انحدر من الربوة جذل الحبوة قال الراوي فجاذبته

من وراء حاشية ردائه فالتفت الي مستسلما وواجهني مسلما فامعنت النظر

في وجهه فاذا هو شيخنا ابو زيد بعينه ومينه فقلت له الى كم يا ابا زيد ان تنوك

في الكيد لتحاول الصيد ولا تبالي من ذم فجاب عن غير استحياء ولا ارتياع وقال

اعرنقص ودع اللوم وقل هل لك اليوم في لابع القوم متى ياد سنة تم فقلت له

بعدا لك يا شيخ النار وتاملة العار فما مثلك في طلاوة علانيتك وخبث نيتك الا

مثل روث مفضض او كنيف مبيض ثم تفرقنا فانطلقت ذات اليمين وانطلق

ذات الشمال وناوحت مهب الجنوب وناوح مهب الشمال المقامة الثانية

عشر تتضمن حكاية للقافلة بالغوطة حكى الحارث بن همام قال شخصت من العراق

الى الغوطة وانا ذو جرد مربوطة وجدة مغبوطة يلهيني خلو الذرع ويزدهيني

حفول الضرع فلما بلغتها بعد شق النفس وانضاء العنس الفيتها كما تصفه

الالسن وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فشكرت يد النوى و

وجريت طلقا مع الهوى وطفقت أفض بها ختوم الشهوات وأجتني قطوف

[illegible] إلى أن شرع سفر في الإعراق وقد استفقت من الإغراق فعادني عيد

من تذكار الوطن والحنين إلى العطن فقوضت خيام الغيبة وأسرجت جواد

الأوبة ولما تأهب الرفاق واستتب الاتفاق أحضرنا الخبير [illegible]

[illegible] فرددناه من كل قبيلة وأعملنا في تحصيله ألف حيلة فأعوز وجدانه

[illegible] حتى ظننا أنه ليس من الأحياء فحارت لعوزه عزوم السيارة وأجمعوا

[illegible] للاستشارة فأناخوا بين عقد وحل وشد وحل إلى أن

[illegible] الناجي وفرط الزاجي وكان حذاءهم شخص مقتبل ميسم الشباب

[illegible] لبوس الرهبان وبيده سبحة النسوان وفي عينيه ترجمة النشوان

[illegible] لحظ الجمع وأرهف أذنه لاستراق السمع فلما أن انكفأوهم

[illegible] أخفاهم قال لهم يا قوم ليفرخ روعكم وليأمن سربكم فسأخفركم

[illegible] يندو طوعكم قال الراوي فاستطلعنا طلع الخفارة

[illegible] الخفارة من السفارة فزعم أنها كلمات لقنها في المنام ليحترس بها

[illegible] ثم جعل بعضنا يومئ إلى بعض ويقلب طرفه بين لحظ وغض

[illegible] ثم استضعفنا الخبر واستشعرنا الخور فقال ما لكم اتخذتم جدي

[illegible] وجعلتم بري حنثا ولطالما والله جبت مخاوف الأقطار ووطئت

[illegible] الأخطار فغنيت بها عن صاحبة خفير واستصحاب جفير ثم إني سأثبت

ما رابكم واستنيل الحذر الذي نابكم بان اوافقكم في النيابة وارافقكم في الثنا

فان صدقتكم وعدي فاجيزوا سعدي واسعدوا جدي وان كذبتكم في ... فمزقوا

لحمي واريقوا دمي قال الحارث بن همام فالهمنا تصديق رؤياه وتحقيق ما رواه

فنزعنا عن مجادلته واستهمنا على معادلته وقضينا بقوله عرى الرثاثة

والغينا اتقاء العابث والعائث ولما حكت الرحال وازفت للترحال

استثرنا كلماته الرائقة لنجعلها الواقية الباقية فقال ليقرأ منكم ام القرآن

كلما اختلف الملوان ثم ليقل بلسان خاضع وصوت خاشع اللهم يا محيي الرفات

ويا دافع الآفات ويا واقي المخافات ويا كريم المكافات ويا موئل العفاة

ويا ولي العفو والمعافاة صل على محمد وآل محمد خاتم انبيائك وسابق اوليائك

ومبلغ انبائك وصل على مصابيح اسرته ومفاتيح نصرته واعذني من نزغات

الشياطين ونزوات السلاطين واعنات الباغين ومعاناة الطاغين

ومعاداة العادين وعدوان المعادين وغلب الغالبين وسلب السالبين

وحيل المحتالين وغيل المغتالين واجرني اللهم من جور المجاورين وسطوة

الجائرين وكف عني اكف الظالمين واخرجني من ظلمات الظالمين وادخلني

برحمتك في عبادك الصالحين اللهم احفظني في غربتي وقربتي وغيبتي واوبتي

ونجعتي ورجعتي وتصرفي ومنصرفي وتقلبي ومنقلبي ورجوعي ومآبي

واحفظني في نفسي ونفائسي وعرضي وعرضي وتلدي وعددي وسكني

... تعالى وتعالى ولا تلحق بي تغييرا ولا تسلط علي مغيرا

... لدنك سلطانا نصيرا اللهم احرسني بعينك وعونك

... صني بامنك ومنك وتولني باختيارك وخيرك ولا تكلني الى

... وهب لي عافية غير عافية وارزقني رفاهية غير واهية

... واكفني بغواشي الاهواء ولا تظفر بي اظفار الاعداء

... ثم اطرق لا يدير لحظا ولا يحير لفظا حتى قلنا قد ابلسه

... خشوع ثم اقنع راسه وصعد انفاسه وقال اقسم بالسماء

... والارض ذات الفجاج والماء الثجاج والسراج الوهاج والبحر

... العجاج انها لمن ايمن العوذ واغنى عنكم من لابس الخوذ

... عند ابتسام الفلق لم يشفق من خطب الى الشفق ومن ناجى بها

... امن ليلته من الشرق قال فتلقناها حتى اتقناها وتدارسناها

... ها ثم سرنا نزجي الحمولات بالدعوات لا بالحداة ونحمي الحمولات

... لا بالكماة وصاحبنا يتعهدنا بالعشي والغداة ولا يستنجز

... العدات حتى اذا انسنا اطلال عانة قال لنا الاعانة الاعانة فاحضرناه

... مكتوم واريناه المعكوم والمختوم وقلنا له اقض ما انت قاض

... تجد فينا غير راض فما استخف سوى الخف والقرط ولا حلي بعينه

... حتى تحمل منها وقره فناء بما ينوء به فقره ثم خالسنا خالسة السرحان

وافضلت خلا انصلات القراءة وحشنا فراقه واوحشنا امراقه ولم يزل نفسه
بكل ناد وتستخبر عنه كل غاد وهاد الى ان قيل انه مذ دخل عانة ما زال الحانة
فاغراني خبث هذا القول بسبكه والاستشلاء بما لست من سلكه فادلجت الى
الحانة في هيئة منكرة فاذا الشيخ في حلة ممصرة بين دنان ومعصرة وحوله
سقاة تبهر وشموع تزهر واس وعبهر ومزمار ومزهر وهو تارة يستبزل
الدنان وطورا يستنطق العيدان ودفعة يستنشق الريحان واخرى يغازل
الغزلان فلما عثرت على لبسه وتفاوت يومه من امسه قلت له اولى لك يا ملعون
انسيت يوم جيرون فضحك مستغربا ثم انشد مطربا لزمت السفار وجبت
القفار وعفت النفار لاجني الفرح وخضت السيول ورضت الخيول لجر ذيول
الصبا والمرح وامطت الوقار وبعت العقار لحسو العقار ورشف القدح
ولولا الطماح الى شربها لما كان باح فمي بالملح ولا كان ساق دهائي الرفاق الى ارض
العراق بحمل السبح فلا تغضبن ولا تعتبن ولا تعنتن فعذري وضح ولا تعجبن
لشيخ ابن بمغنى اغن ودن طفح فان المدام تقوي العظام وتشفي السقام وتنفي
الترح واصفى السرور اذا ما الوقور اماط ستور الحيا واطرح واحلى الغرام
اذا المستهام اماط اكتتام الهوى وافتضح فبح بهواك وبرد حشاك فزند اساك
به قد قدح وداو الكلوم وسل الهموم ببنت الكروم التي تقترح وخص الغبوق
بساق يسوق بلا ابريق المشوق اذا ما طفح وشاد يشيد بصوت مديد جبال

حسبه لان صدح وهام النجيح الذي لا يبيح وصال المليح اذا سمح

في المحال ولو بالمحال ودع ما يقال وخذ ما صلح ومن سد ابالك الذا منا

ومن انقب له وصد من سخ وصان خليل دنا في خيل وادل الحبل

نخ ولذ بالمناب امام الذهاب فمن دق باب كريم فتح فقلت له

روايتك واف ونعت لغوايتك فبالله من اي الاعياص عيصك

عضلني هو بصك فقال ما احب ان افضح نفسي ولكني ساكني

نخبة الزمان واعجوبة الامم وانا الحول الذي احتال في العرب والعجم

ابن حاجة حاضر الذهن واهتضم بو صبية بدا اشل الجم على وضم

حيلة اذا احتال لم يلم فعرفت انه ابو زيد مفخر الرتب والعيب

ومسود وجه الشيب وعضلة العضل وان جضنا بحبائل الحيل وساقى معظم

ويفتح مقتعه فقلت له بلسان الانفة وادلال المعرفة الربان لك

ان تقلع عن الخنا وفجر وزمجر وتنكر وفكر ثم قال انما المليك

الانداح وفيهن شرب راح لا كفاح فعذعا بدا الى الان سلام غدا

من عيدتهم لا تقلعنا بعدنا وبث ليلتي لا ابا حاد النجم

على خلبي العشم الحصد وا ببنت الكرم للاين الكرم وعاهدت تجانه

لا اصرمها ما نزيناه ولو اعطيت ملك بغداد وان لا اشهد

نشراب ولو ردت على عصر الشباب ثم انا رحلنا العيس وقت

الثقلين وخلينا بين الشيخين ابي زيد وابليس **المقامة الثالثة عشرة وتعرف بالزورائية**

حدث الحارث بن همام قال ندوت بضواحي الزوراء مع مشيخة من الشعراء لا يعلق لهم
مبار بغبار ولا يجري معهم ممار في مضمار فافضنا في حديث يفضح الازهار الى ان
نصفنا النهار فلما غاض در الافكار وصبت النفوس الى الاوكار لمحنا عجوزاً تقبل
من البعد وتحضر احضار الجرد وقد استتلت صبية انحف من المغازل واضعف
من الجوازل فما كذبت اذ رأتنا ان عرجت نحونا حتى اذا ما حضرتنا قالت حيا الله المعارف
وان لم يكن معارف اعلموا يا مآل الآمل وثمال الارامل اني من سروات القبائل
وسريات العقائل لم يزل اهلي وبعلي يحلون الصدر ويسيرون القلب ويمطون الظهر
ويولون اليد فلما اردى الدهر الاعضاد وفجع بالجوارح الاكباد وانقلب ظهراً
لبطن نبا الناظر وجفا الحاجب وذهبت العين وفقدت الراحة وصلد
الزند ووهنت اليمين وبان المرافق ولم يبق لنا ثنية ولا ناب فمذ
اغبر العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومي الابيض وابيض
فودي الاسود حتى رثى لي العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر وتلوي
من ترون عينه فراره وترجمانه اصفراره قصوى بغية احدهم ثردة
وقصارى امنيته بردة وكنت اليت ان لا ابذل الحر الا للحر ولو اني
مت من الضر وقد ناجتني القرونة بان توجد عندكم المعونة وآذنتني
فراسة الحوباء بانكم ينابيع الحباء فنضر الله امرءاً ابر قسمي وصدق تو

ترحٍ ونظرٍ الى بعين تقذيها الجود ويقذيها الجود قال الحارث بن

همام فهمنا البراعة عبادتها وعلمنا استعبادتها وقلنا لها قد فتن

كلامك فكيف الحامك فقالت يفجر الصخر ولا فخر فقلنا ان جعلتنا

من رواتك لم نبخل بمواساتك فقالت لاريتكم اولا اشعاري ثم

لا رويتكم اشعاري فابرزت ردن درع دريس وبرزت برزة عجوز

درد بيس وانشأت تقول شعر اشكو الى الله اشتكاء المريض ريب الزمان

المعتدي البغيض يا قوم اني من اناس غنوا دهرا وجفن الدهر عنهم

غضيض فخارهم ليس له دافع وصيتهم بين الورى مستفيض كانوا

اذا ما نجعة اعوزت في السنة الشهباء روضا اريض تشب للسارين

نيرانهم ويطعمون الضيف لحما غريض ما بات جار لهم ساغبا ولا روع

في الحال الجريض فغيضت منهم صروف الردى بحار جود لم اخلها

تغيض واودعت منهم بطون الثرى اسد التقاضي واساة المريض

فحلي بعد المطايا المطا وموطني بعد اليفاع الحضيض وافرخي ما

تأتلي تشتكي بؤسا له في كل يوم وميض اذا دعى القانت في ليله

مولاه نادوه بدمع يفيض يا رازق النعاب في عشه وجابر العظم

الكسير المهيض اتح لنا اللهم من عرضه من دنس اللوم نقي رحيض

يطفئ نار الجوع عنا ولو بمذقة من حاذر او مخيض فهل فتى يكشف

ما نابهم. وبينهم المتكلم الطويل العريض. فوالذي تعنو النواصي له يوم

وجوه الجمع سود وبيض. لولاهم لما بذلت لي صفحة. ولا تصديت لنظم الابيات

قال الراوي فوالله لقد صدعت ابياتها اعشار القلوب واستخرجت

خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه الامتياح وارتاح لرفدها من لم يخله يرتاح

فلما افعوعم جيبها تبرا واولاها كل منا برا تولت يتلوها الاصاغر وفوها

بالشكر فاغر فاشرأبت الجماعة بعد مرها الى سبرها ليبلو مواقع برها

فكفلت لهم باستنباط السر المرموز ونهضت اقفو اثر العجوز حتى انتهت

الى سوق مغتصة بالانام مختصة بالزحام فانغمست في الغمار وامّلست

من الصبية الاغمار ثم عاجت بخلو بال الى مسجد خال فاماطت الجلباب

ونضت النقاب وانا ألمحها من خصاص الباب وارقب ما ستبدي

من العجاب فلما انسرت اهبة الخفر رايت محيا ابي زيد قد سفر فهممت

بان اهجم عليه لاعنفه على ما اجرى اليه فاسلنقى استلقاء المتمردين

ثم رفع عقيرة المغردين واندفع ينشد. يا ليت شعري ادهري.

احاط علما بقدري. وهل درى كنه غوري. في الخدع ام ليس يدري.

كم قد قمرت بنيه. بحيلتي وبمكري. وكم برزت بعرف. عليهم وبنكر.

اصطاد قوما بوعظ. وآخرين بشعر. واستفز بخل عقلا. وعقلا

بخمر. وتارة انا صخر. وتارة اخت صخر. ولو سلكت سبيلا مألوفة

نحاب قدحي وقدحي ودام عسري وخسري فقل لمن لام
فقد بان عذري قال الحارث بن همام فلما ظهرت على جلية
امره وما زخرف في شعره من عذره علمت ان شيطانه
لا يسمع التفنيد ولا يفعل الا ما يريد فثنيت الى اصحابي عناني
بما اثبته عياني فوجموا لضيعة الجوائز وتعاهدوا على محرمة
المقامة الرابعة عشر تتضمن خروجه من بغداد الى الحج حكى
الحارث بن همام قال نهضت من مدينة السلام لحجة الاسلام فلما
قضيت بعون الله التفث واستبحت الطيب والرفث صادف موسم
الخيف معمعان الصيف فاستظهرت للضرورة بما يقي حر الظهيرة فبينما
انا تحت طراف مع رفقة ظراف وقد حمي وطيس الحصباء واعشى الهجير
عيون الحرباء اذ هجم علينا شيخ متسعسع يتلوه فتى مترعرع فسلم الشيخ تسليم
اديب وحاور محاورة قريب لا غريب فاعجبنا بما نثر من سمطه
وعجبنا من انبساطه قبل بسطه وقلنا له ما انت وكيف ولجت وما
اذنت فقال اما انا فعاف وطالب اسعاف وسر ضري عني خاف
وهذا لي شفيع لي كاف واما الانتساب فالذي على باب الانساب
وهو حجاب اذ ما على الكرماء من حجاب فسالناه ان اهتدى
بنا وبما استدل علينا فقال ان للكرم نشرا تنم نفحاته وينشد

الى وطنه فوجا فاشرفنا لسد ذلك بنائج عرفكم على تبلج عرفكم ويترب بطوع

منكم بحسن المنقلب من عندكم فاستخبرناه عن لباثته ليتكفل باغاثته

فقال ان لي مآربا ولعشائي مطلبا فقلنا كلا المرامين سيقضى كلا

سوف يرضى لكن الكبر الكبير فقال العجل ومن دعا اتبع الغير ثم نثب

للقال كالمنشط من العقال وانشد شعر اني امرؤ ابدع بي بعد الوجى والنقب

وشقة شاسعة بمضرعها حبي وما معي حرد الطوع من ذهب

مخيلة منشدة وحيرتي للعسيب ان انحلت رحله لا حتف دواعي العطب

وان تخلفت من الرفقة ذات مذهبي فرفقي في صعد وعبرتي في صبب

وانتم منتجع الراجي ومرمى الطلب لماكم منهلة ولا انهلال السحب

وجاركم في حرز ووفركم في حرب مالا ذرياع بكم فخاب خاب النوب

ولا استدر امل حباكم فما جبي فانعطفوا في ضيقي واحسنوا منقلبي

فلو بلوتم عيشتي في مطعمي ومشربي لساءكم ضرها الذي اسلمني للكرب

ولو خبرتم حسبي ونسبي ومذهبي وما حوت معرفتي من العلوم النخب

لما اعتراكم شبهة في انه ذا ادبي فليت اني لم اكن ارضعت ثدي الادب

فقد دهاني شومه وعقني براي فقلنا له اما انت فقد صحت ابياتك

بفاقتك وعطب ناقتك وسنعطيك ما يوصلك الى بلدك فما مآربه

ولذلك فقال لم يا حي كما قام ابوك وقم بما في نفسك لا فض فوك فقفز

ـبيض نفض نهوض البطل المبارز واصلت لسانا كالعضب الجراز وانشا

ـعر ياسادة في المعالي لهم مبان مشيدة ومن اذا ناب خطب قاموا

ـح سكيدة ومن يهون عليهم بذل الكنوز العتيدة اريد منكم شواء

ـيدة وعصيدة فان عدا فرقاق برقاق الثهيدة او لم يكن ذا ولا

ـ مشبعة من ثريدة فان تعذرن طرا نجوه وبهية فاحضروا ما تيسر

ـوت من قديدة ودروجوه فقضى لنا برج صريبة والزاد لا بد منه

ـحدى بجيدة وانتم خير رهط تدعون عند الشديدة بيكم كل

ـم دحيبة وداحكم واصلات شمل الصلات العتيدة ويغني

ـعدى ما ان يعدن نهيبة وقاجرو عقبى تقضى كرب بجيبة ـلى

ـحي ذكر يقتضى كل قصيدة قال الحارث بن همام فلما راينا الشيخ الشيبة

ـاسد لحلنا الوالد وفقدنا الولد فقابلنا الصنيع بشكر نشر ابدا به

ـ ابرد ينير دلنا عزما على الانطلاق ومعضدا للرحل حبل النطاق

ـ الشيخ هل صاحت عند شاعدة عرفونا وبينت حاجة في نفس يعقوب

ـ حاش لله وكلا بل جل معروفكم وحلا فقلت لقد تاهكما دنا ك

ـ كما اذاك ابن الدقيق فقد ملكتنا منك الحرة فنفس تنفس

ـ ذكي وطار فانشد والتهيب يلعثم لسانه سمع سرح دارى فلكن

ـ نستبيل الينا خوفنا من الاعادى بها واخواعيها فوالذي سرانيح

حط الذنوب لديها مارقا طرفي حتى منعت عن طريقها ثم اغرورقت

عيناه بالدموع وآذنت مدامعه بالهموع فكره ان يستوكفها ولم يملك ان

يكفكفها فقطع انشاده لسعاله واوجز في الوداع ويلي المقامة الخامسة

والعشرة تتضمن وصف التمر الباحكي الحارث بن همام قال ارقت ذات

ليلة حالكة الجلباب هامية الرباب ولا ارق صب طريد عن الباب

ومنى بصد الاحباب فلم تزل الافكار يهجن همي ويجلن في الوساوس

وهمي حتى تمنيت لمضض ما عانيت ان ارزق سميرا من الفضلاء ليقصر طول الليلة

الليلاء فما انقضت منيتي ولا اغمضت مقلتي حتى قرع الباب قرع له

صوت خاشع فقلت في نفسي لعل غرس التمني قد اثمر وليل الحظ قد اقمر

فنهضت اليه عجلان وقلت من الطارق الان فقال غريب اجنه الليل

وغشيه السيل ويبتغي الايواء لا غير واذا استحر قدم السير فلما دل شعاعه

على شمسه ونم عنوانه بسر طرسه علمت ان مسامرته غنم ومساهرته

نعم ففتحت الباب بابتشاح وقلت ادخلوها بسلام فدخل شخص قد حنى

الدهر صعدته وبلى القطر بردته فحيا بلسان عضب وبيان عذب

ثم شكر على تلبية صوته واعتذر من الطروق في غير وقته فدانيته

بالمصباح المتقد وتاملته تامل المنتقد فالفيته شيخنا ابا زيد

بلا ريب ولا رجم غيب فاحللته محل من اظفرني بقصوى الطلب

ونقلني من وقذ الكرب الى روح الطرب ثم اخذ يشكو من الاين
وما احدث في كيف واين فقال البثني بقي فقد اتعبني طريقي فظننته
مستبطنا للسغب متكاسلا لهذا السبب فاحضرته ما يحضر للضيف
المفاجي في الليل الداجي فانقبض انقباض المحتشم واعرض اعراض البشم
فسؤت ظنًّا بامتناعه واحفظني حؤول طباعه حتى كدت اغلظ
له في الكلام واسمعه هجنة الملام فتبين من لمحات ناظري ما خا
طري فقال يا ضعيفا ثقته باهل الملة عد عما اخطرته بالك
واستمع الي لا ابا لك فقلت يا اخا الترهات فقال اعلم اني بت
البارحة حليف افلاس وشجن ووساوس فلما قضى الليل نحبه
وغور الصبح شهبه غدوت وقت الاشراق الى بعض الاسواق
قصدا بالصيد لنجح او حر يسمح فلمحت بها تمرا قد حسن تصفيفه
وحسن اليه مصنفه يجمع على التحقيق صفاء الرحيق وفوه العقيق
ومعه النرلباء قد برز كالابريز الاصفر واجتلى في اللون المزعفر فهو
يثني على طاهيه بلسان شاهيه ويصوب رأي مشتريه ولقد نقد
حبة القلب فيه فاستخفتني الشهوة باشطانها واسلمني العجز الى
سلطانها فبقيت احير من ضب واذهل من صب لا وجد يوصلني
الى نيل المراد ولذة الازدياد ولا قدم تطاوعني على الذهاب مع حرقة

الا الالهاب لكن حداني القرم وسورته والسغب وفورته على ان انتجع

كل ارض واقنع من الورد ببرض فلم ازل بحالة ذلك النهار ادلي دلوي

الى الانهار وهي لا ترجع ببلة ولا تجلب نقع غلة الى ان صغت الشمس

للغروب وضعفت النفس من اللغوب فرحت بكبد حرى وانثنيت

اقدم رجلا واؤخر اخرى فبينما انا اسعى واقعد واهب واركد

اذ لقيني شيخ بناوه اهتز للكلال وعيناه تهملان فاشغلني ما انا

فيه من دآء الذئب والخوى المذيب عن تعاطي مخالطته والطمع في نجاح

فقلت له يا هذا ان لبكائك سرا وان لحرقتك لشرا فاطلعني على

برحائك واتخذني من نصحائك فانك ستجد مني طبا آسيا او عونا

مواسيا فقال والله ما نادي لعيش فات ولا من دهر افات بل لانقراض

العلم ودروسه وافول اقماره وشموسه فقلت واي حادثة نجمت ونصير

استعجمت حتى هاجت لك الاسف على فقد من سلف فابرز رقعة من كمه

واقسم بابيه وامه لقد انزلها باعلام المدارس فما امتاز واعي الاعلام

الدوارس واستنطق لها احبار المحابر فخرسوا ولا خرس سكان المقابر فقلت

اريها فلعلي اغني فيها فقال لما ابعدت في المرام فرب رمية من غير رام

ثم ناولنيها فاذا المكتوب فيها شعر ايها العالم الفقيه الذي فاق

ذكاء فما له من شبيه افتنا في قضية حار عنها كل قاض وحار كل فقيه

عن اخ مسلم حر تقي من امه وابيه وله زوجة لها ايها الحبر اخ

عربي بلا مرية فحازت فرضها وحاز اخوها ما بقي بالارث دون اخيه

تنا بالجواب عما سألناه فهو نص لا خلاف بوجه فيه فلما رايت سرها

سرها قلت على الخبير بها سقطت وعند ابن بجدتها حططت الا اني

محرور الاحشاء مضطر الى العشاء فاكرم مثواي ثم استمع فتواي

لقد انصفت في الاشتراط وتجانبت عن الاشتطاط فصر معي الى

منظر بما ابتغي ومنقلب كما ينبغي قال فصاحبته الى ذراه كاحكم

فادخلني بيتا احرج من التابوت واوهن من بيت العنكبوت

جبر صنوف بيته بوسعة ذرعه تحكي في القرى وقطا

بشرى فقلت اريد انهي راكب على اشهى مركوب وانفع صاحب

مصحوب فتفكر ساعة طويلة ثم قال لعلك بنت مخيلة

سخيلة فقلت اياها عنيت ولاجلها تعنيت فنهض نشيطا

مستنشطا وقال اعلم اصلحك الله ان الصدق ثاهرة والكذب

قد يحملك الجوع الذي هو شعار الانبياء وحلية الاولياء على

من مان وتخلق بالخلق الذي يجانب الايمان فقد تجوع الحرة

بكل بثديها وتأبى الدنية ولو اضطرت اليها ثم اني لست

ولا اغضي على صفقة مغبون وها انا قد انذرتك قبل ان

يتهيّأ لك الشرح وينعقد بيننا الوثوق فلا تلغ تدبّر الانذار وحذار من المكاره
حذار فقلت له والذي حرّم اكل الربوا واحلّ اكل التمر باللبا ما نهب بزد
ولا ادليتك بغرور وستخبر حقيقة الامر وتجد بذل اللباء والتمر بهشّ ح
المصدّق وانطلق مغذًّا الى السوق فما كان باسرع من ان اقبل وهو
يدلح ووجهه من التعب يرشح فوضعها لديّ ووضع المائدة عليّ وقال اضرب
الحشّ بالحشّ بحظّ بلذّة العيش فجرّبت من ساعد النهم وحملت حملة الفيل
الملتهم وهو يتحظّى كالجمل الحنق ويودّ من الغيظ لو اختنق حتى اذا اهلكت
النوعين وغادرتهما اثرًا بعد عين اقترحت حينئذ اخلاء البيت وفكرت
في جواب الابيات فما لبث ان قام واحضر الدواة والاقلام وقال فعلامَ
الجراب فامل الجواب والّا فهبها ان تكلّفك الغرام ما اكلت فقلت له ما عندي
الا التحقيق فاكتب الجواب باشارة الشفيق شعر قل لمن يلغز المسائل اني كاشف
سرّها الذي يخفيه ان ذا الميت الذي قدّم الشرع اخا عرسه على ابن ابيه
رجل زوّج ابنه عن رضاه بحماة له ولا غرو فيه ثم مات ابنه وقد علقت
منه فجاءت بابن يسرّ ذويه فهو ابن ابنه بغير مراء واخو عرسه بلا تمويه
وابن الابن الصريح ادنى الى الجدّ واولى بارثه من اخيه فلذا حين مات ادّى
للعرس ثمن التراث تستوفيه وحوى ابن ابنه الذي هو في الاصل اخوها
من امّها باقيه وخلا الاخ الشقيق من الارث وقلنا يكفيك ان تبكيه

ـعـ منى الفتيا التى يحيد بها كل فارض بعضى وكل فقيه قال الراوى فلما
ـمت الجواب واستثبت منه الصواب قال لى هلك والليل فشمر الذيل
ـب بن السبيل فقلت انى بدار غربة وفى ايوائى افضل قربة لا سيما وقد
ـعسعس جنح الظلام وسجى الزهد فى ظلل الغمام فقال اغرب عافاك الله
ـو حيث شئت ولا تطمع فى ان تبيت فقلت ولم ذلك مع خلو ذرائك
ـلا بل انى نعمت النظر فى انفاقك ما حضر حتى لم تبق ولم تذر فرايتك
لا تنظر فى مصلحتك ولا تراعى حفظ صحيحك ومن آمن فيما امعنت
وبحق كما بطنت لم يخل من كظيظ مدنف او هيضة متلف فدعنى
ـالله كفاك واخرج عنى ما دمت معافى فو الذى يحيى ويميت ما لك
عندى مبيت فلما سمعت اليته وبلوت بليته خرجت من بيته
بالرغم وترددت الهم بجودة السماء وتخبط الظلماء وتنبح الكلاب
وتقاذف بى الابواب حتى ساقنى اليك لطف القضاء فشكرا لله اسعاء
فقلت لما اجتب بلقاءك المتاح الى قلبى المراح ثم اخذ يقص فى حكاياته
ويمط صحكا تر مكياته الى ان عطس انف الصباح وهتف داعى الفلاح
فتاهب لاجابة الداعى ثم عطف الى وداعى فعفت عن الانبعاث وقلت
لم الضيافة ثلاث فانشد وخرج ثم ام المخرج وانشد ادعج سر لا
تزورن من تحب فى كل شهر غير يوم ولا تزده عليه فاجتلاء الهلال فى الشهر

يوم تقرّ بالنظر العيون البرّ قال الحارث بن همام ثم تفقدته بعد أبي الفرج ووددت

لو انّ لياليّ كانت بطيبة الضحى

المقامة السادسة عشرة تعرف بالمغربية

حكى الحارث بن همام قال شهدت صلاة المغرب في بعض مساجد المغرب فلما اديتها

بفضلها وشفعتها بنفلها اخذ طرفي رفقة قد انتبذوا ناحية وامتازوا صفوة

صافية وهم يتعاطون كأس المنافثة ويقتدحون زناد المباحثة فرغبت

في محادثتهم لكلمة تستفاد وادب يستزاد فسعيت اليهم سعي المتطفل

عليهم وقلت لهم اتقبلون نزيلا يطلب جنى الاسمار لا جنى الثمار ويبغي ملح

الحوار لا الملحاء الحوار فحلوا لي الحبا وقالوا مرحبا مرحبا فلم اجلس الا لحظة باصر

خاطف او نغبة طائر خائف حتى غشينا جوّاب على عاتقه جراب فحيانا بالكلمتين

وحيا المسجد بالتسليمتين ثم قال يا اولي الالباب وذوي الفضل اللباب اما تعلمون

ان انفس القربات تنفيس الكربات وامتن اسباب النجاة مواساة ذوي الحاجات

واني ومن احلني ساحتكم واتاح لي استماحتكم لشريد محل قاص وبريد صبية

خماص فهل في الجماعة من يفثئ عنا حمّى المجاعة فقالوا له يا هذا انك حضرت

بعد العشاء ولم يبق منا الا الفضالات العشاء فان كنت بها قنوعا فما تجد فينا منوعا

فقال ان اخا الشدائد ليقنع بتفاريق الموائد ونفاضات المزاود فامر كل منهم

عبده ان يزوده ما عنده فاستحسن الصنع وشكر عليه وجلس يرقب ما يحمل اليه

وتباعثنا الى استثارة ملح الادب وعيونه واستنباط معينه من عيونه الى ان

ان مللنا فيها الا ان نتجلى بالانعكاس كقولك ساكب كاس فتداعينا الى ان ننسج

على منوال الاكمار ونفترع منه الابكار على ان ننظم ابيات ذي ثلاث جهات ونعقده ثم نستتبع

النكات اذا من بعده فيرتج ذو منثور ونظم ويبتع صاحب ميسر على بعض تلك الغايات

بنهام وكنا قد انتظمنا عدة اصابع الكف فالفنا الفة اصحاب الكهف فانشد

لعظم معنى صاحب مهذب وقال لم اخامل وقال ليس منه كبريها اجرد نابك

وقال الذي يليه من يعتاد ثم وقال الاخر سكت كل من ثم لك تكن وافضت

متوبرا الى وقد تعين نظم البسيط السباعي على قلم ثم ذكري بصوغ ونكر بشرى

ويصر وفي ضمن ذلك استطيع فلا احد من يطمع الى ان ركنا التسليم وحصحص

التسليم فقلت لاصحابي لو حضر السروجي هذا المقام لشفا الداء فقالوا

لو تركت هذه بابين لا مسلك منها على بابين وجعلنا نفحص في استخراجها

ونستغلق ابوابها وذلك الضعف المعترى بالخطا لحظ المزدهي ويولف

ونحن لا ندري فلما عثر على افتضاحنا ونضوب صحناحنا قال

يا قوم ان من العناء العظيم استيلاد العقيم والاستشفاء بالسقيم

وفوق كل ذي علم عليم ثم اقبل علي وقال سانوب منابك واكفيك

ما بك فان شئت ان تنثر ولا تعثر فقل مخاطبا لمن ذم البخل واكثر

العذل لذي بخل مؤمل ذا اللوم ومالك بذل وان احببت ان تنظم فقل الذي

عظم شعاره بملالة اذا اعراه وارع اذا المرء اساء اشد اخانيا هجره

أين إخاء دنسا. أسل جناب غاشم مشاغب إن جلسا. اسر إذا هب مراً وارم به

إذا رسا. اسكن تقو فعسى يسعف وقت نكسه. قال الحارث بن همام فلما سحر ألبا

بنا وحصرنا بعضنا إثر مدحناه حتى استعلى ومنحناه إلى أن استكفى ثم شمر

ثيابه واذرى جرابه ونهض ينشد شعر لله در عصابة صدقوا المقال فما فلا

فاقوا الأنام فضائلاً موروثة وفواضلا عاشرتهم فوجدت سحبان الأنام لديهم باقلا

نادمتهم فبلوت منهم إذ بلوت فضائلا وعطفتهم سائلاً ألفيت جوداً سائلا

أقسمت لو كان الكرام حياً لكانوا وابلا ثم انه خطا يقيد مخطين وعاد مستعيذا

من الحين وقال يا غرس عدم الآل وكنز من سلب المال ان الغاسق قد وقب

ووجه المحجة قد انتقب وبيني وبين كني ليل دامس وطريق طامس فهل

من مصباح يؤمنني العثار ويبين لي الآثار قال فلما جيء بالملمس وجلى الوجه

ضوء القبس رأيت صاحب صبوتنا هو أبو زيدنا فقلت لأصحابي هذا

الذي أشرت إلى أنه إذا نطق أصاب وإن استمطر صاب فأتلعوا نحوه الأعناق

وأحدقوا به الأحداق أن يسامرهم ليلتهم على أن يجيزوا عليه فقال حباً

لما أحببتم وحبا بكم إذ رحبتم عن أني قصدتكم وأطفالي يتضورون من

الجوع ويدعون لي بوشك الرجوع وإن أسرّ انوني حامرهم الطوى ولم

يصف لي ولهم العيش لأذهب فاستخصتهم وأستتبع عنهم شفقة

انقلب إليكم على الأثر مناهباً للسمر إلى السحر فقلنا لأحد الغلمة اتبعه

الى فئة لتكون اسرع لتلبيته فانطلق معه مضطبنا جرابه ومحتثا ايابه

وابطأ ابطاءً اوجسنا خيفته ثم عاد الغلام وحده فقلنا ما عندك من الخبيث

عن الخبيث قال اخذت في طرق شعبة وسبل متشعبة حتى افضينا الى دويرة

خربة فقال ها هنا مناخي ومركز افراخي ثم استفتح بابه وانخلع مني جرابه

وقال لعمري لقد خففت عني واستوجبت الحسنى مني فهاك نصيحة هي من

نفائس النصائح ومغارس المصالح وانشد شعر اذا ما لتو نجحي مخائل

نلت فشمرنها الى نائل واما سقطت على بيدر تحوجك من السنبل الحاصل

ولا تلبثن اذا ما لقطت فتنشب في كفة الحابل ولا توغلن متى ما سبحت

فان السلامة في الساحل وخاطب بهات وجاوب بسوف وبع آجلا

منك بالعاجل ولا تكثرن على صاحب فما مل قط سوى الواصل ثم

قال اخزنها في نامورك وافتتن بها في امورك وبادر الى صحبك في كلاءة

ربك فاذا لقيتهم فابلغهم تحيتي واتل عليهم وصيتي وقل لهم عني ان [illegible]

في الخرابات لمن اعظم الآفات ولست اكفي احتراسي ولا اطلب الهوس

الى رمسي قال الراوي فلما وقفنا من فحوى شعره على نكره ومكره ندمنا

على تركه وتلاومنا على الاغترار بافكه ثم تفرقنا بوجوه باسرة وصفقة

خاسرة المقامة السابعة عشر تتضمن الرسالة المعكوسة حدث

الحارث بن همام قال لحظت في بعض مطارح البين ومطامح العين

فبهرني عليهم سيماء الحجى وطلاوة نجوم الدجى وهم في مباراة مشتدة الحبل

وجدال مستطير الالهوب فقربني لقصدهم هوى المحاضرة واستحلاء

جنى المناظرة فلما التحقت برهطهم وانتظمت في سمطهم قالوا أأنت

ممن يلقى في الهيجاء ويلقي دلوه في الدلاء فقلت بل انا من نظارة الحرب

لا من ابناء الطعن والضرب فاضربوا عن محاجتي وخاضوا في لججهم كأني

في جبوحة خلقهم والكليل دفعهم شيخ قد برته الهموم ولوحته السموم

حتى عاد انحل من قلم واقحل من جلم الا انه كان يبدي العجاب ذا الجبا

ويبني عجبا كلما ابان فاعجبت بما اوتي من الاصابة والتبريز على تلك العصابة

وما زال يفضح كل معنى ويصمي في كل مرمى الى ان خلت الجعاب ونفد السؤال

والجواب فلما راى انقباض القوم واضطرارهم الى الصوم عرض بالمطارحة

واستأذن في المفاتحة فقالوا الحبذا ومن لنا بذا فقال اتعرفون رسالة

ارضها سماؤها وصبحها مساؤها نسجت على منوالين وتجلت في لونين وصلت

الى جهتين ووجهت ذات وجهين ان برزت من مشرقها فناهيك برونقها

وان طلعت من مغربها فيا لعجبها قال فكان القوم رموا بالصمات وحقت

عليهم كلمة الانصات فما نبس منهم انسان ولا فاه لهم لسان فلما رآهم بكالكال

وصموتا كالاصنام قال لهم قد اجلتكم اجل العدة وارخيت لكم طول المدة

فها هنا مجمع الشمل وموقف الفضل فان سمحت خواطركم سمحنا وان صلدت

ونادكر فتحنا فقالوا ان وافقه ما لنا في لجة هذا البحر مسبح ولا في ساحله

مسرح فأرح انكابنا من الكد وهب لعطشى النقد واتخذنا اخوانا

يبثون اذا وثبت ويثنون متى استثنيت فاطرق ساعة ثم قال سمعا

لكم وطاعة فاسمعوا مني وانقلوا عني ان الانسان صنيعة الاحسان ورب

الجميل فعل الندب وشيمة الحر ذخيرة الحمد وكسب الشكر استثمار السعادة

وعنوان الكرم تباشير البشر واستعمال المداراة يوجب المصافاة

وعقد المحبة يقتضي النصح وصدق الحديث حلية اللسان وفصاحة

المنطق سحر الالباب وشرك الهوى آفة النفوس وملل الخلائق

شين الخلائق وسوء الطمع يباين الورع والتزام الحزم مرام

وتطلب المثالب شر المعايب وتتبع العثرات يمحض المودات

وخلوص النية خلاصة العطية وتيسير النوال يمن السؤال

وتكلف الكلف يسهل الخلف وتحمل المؤن يستحق المؤن وفضل

الصدر سعة الصدر وتيسير اللقاء مغنم الشعاء وجزاء المدائح

بث المنائح ومهر الوسائل تشفيع المسائل ومجانبة الغواية استغاثة

الغاية ومجاوزة الحد يكل الحد وتعدي الادب يحبط القرب ودنا

الحقوق بنشر العقوق وتحاشي الريب يرفع الرتب وارتفاع

الاخطار باقتحام الاخطار وشرف الاقدار بموالاة الاقدار

الاعمال في تقصير الآمال واطالة الفكرة تنقيح الحكمة ورأس الآداب

تهذيب السياسة ومع اللجاجة تلغى الحاجة وعند الآجال تتفاضل

الرجال وبتفاضل الهمم تتفاوت القيم وبتدبيرها تستنير بهن التدابير

وبتخلل الاحوال يتبين الاهوال وبموجب الصبر ثمرة النصر واستحقاق

الاحماد بحسب الاجتهاد ووجوب الملاحظة كفاء المحافظة وصفاء

الموالي بتعهد الموالي وتحلي المروات بحفظ الامانات واختبار الاخوان

بتخفيف الاحزان ودفع الاعداء بكف الاذاء وامتحان العقلاء بمفارقة

الجهلاء وتبصر العواقب يؤمن المعاطب واتقاء الشنعة بنشر السمعة

وقبح الجفاء ينافي الوفاء وجوهر الاحرار عند الاسرار ثم قال هذه مائتا

لفظة تحتوي على ادب وعظة فمن ساقها هذا المساق فلا مراء ولا شقاق

ومن رام عكس قالبها وان يردها على عقبها فليقل الاسرار عند

الاحرار وجوهر الوفاء ينافي الجفاء وقبح الشنعة بنشر السمعة وعلى

هذا المنهج فليسحبها ولا يرهبها حتى تكون خاتمة فقرها وآخرة دررها

ورب الاحسان صنيعة الانسان قال الراوي فلما صدع برسالته

الفريدة واملوحته المفيدة علمنا كيف يتفاضل الانشاء وان الفضل

بيد الله يؤتيه من يشاء ثم اعتلق كل منا بذيله وفلذ له فلذة من نيله

فابى قبول فلذتي وقال لست ارزأ تلامذتي فقلت له كن ابا زيد

على شحوب سحنتك ونضوب ماء وجنتك فقال انا هو نحولي وتحولي

وتنشف محولي فاخذت في تربيته على تربيته وتغربه تحيلني وانحج

ثم انشد وجه كامل سل الزمان على عضبه لروعتي ولحد غربه واستل من

جفني كراه مراغما واسال غربه واجالني في الآفاق طوى شرقه وجنوبه وغربه

فبكل جو طلعة في كل يوم لي وغربه وكذا المغرب شخصه متقلب ونواه غربه

ثم ولى يجر عطفيه ويخطر بيديه ونحن بين متلهف له ومشفق عليه ثم

لم يلبث ان حللنا الحبا وتفرقنا ايادي سبا **المقامة الثامنة عشر وتعرف**

بالسنجارية حكى الحارث بن همام قال نقلت ذات مرة من الشام انحو مدينة

السلام في ركب من بني نمير ذوي عفة اولي خير ومير ومعنا ابو زيد السروجي

عقلة العجلان وسلوة الثكلان واعجوبة الزمان والمشار اليه بالبنان

في البيان فصادف نزولنا سنجار ان اولم بها احد التجار فدعا الى مادبته

الجفلى من اهل الحضارة والفلا حتى سرت دعوته الى القافلة وجمع فيها بين

الفريضة والنافلة فلما اجبنا مناديه وحللنا ناديه احضر من اطعمة

اليد واليدين ما حلا في الفم وحلي بالعين ثم قدم جاما كانما جمد من

الهواء او جمع من الهباء او صيغ من نور الفضاء او قشر من الدرة

البيضاء وقد اودع لفائف النعم وضمخ بالطيب العمم وسيق اليه شرب من

تسنيم وسفر عن مرأى وسيم وارج نسيم فلما اضطرمت مجمرة الشهوات

وقرمت الى مجيره اللهوات وسارعت ان يشرق على شربه الغارات وبادر

عندهم باللثارات تنزّى ابو زيد كالمجنون وتباعد منهم تباعد الضب من

النون فراعدناه على ان تعود وان لا يكون كقدار في ثمود فقال والذى

ينشر الاموات من الرجام لا عدت دون رفع اللجام فلم نجد بدا من الفوه

وابرار حلفه فاشتدناه والعقول معه شاملة والدموع عليه سابلة فلما

آب الى مجتمهم وخلص من مأتمهم سألناه لم قام وكان معنى استرفع اللجام فقال

ان الزجاج نمام واني البيت من عوام الا بصحبتي ونحو مقام فقلنا له وما

سبب تبيينك الصرى والنيل الحري فقال انه كان لي جار لسانه عقرب وقلبه

عقرب ولفظه شهد منقع وخبئه سم منقع فلكت لمجاورته الى محاورته وغرهم

بمكاشرته في معاشرته وسنهو تحت خضرة دمنته لمنادمته اغرتني خدعه

بمنادمته فما زجته بعقدي انه جار مكاشر فبان انه عقاب كاسر

على انه حب مؤانس فوضح انه حباب مؤالس وملحم وما اعلم انه عند فقده

ممن يفرح بفقده وعاقبته ولم ادر انه بعد فرقه ممن يطرب لفرقه وكانت

عنده جارية لا يوجد لها ثاني لكمال محاسن ان سفرت خجل النيران وصليت

القلوب بالنيران وان تبسمت ازرت بالجمان وبيع المرجان بالمجان وان

رنت هيجت البلابل وحققت سحر بابل وان نطقت عقلت لب العاقل

واستنزلت العصم من المعاقل وان قرئت شفت المفؤد واحيت الموؤد

وخلتها اوتيت من مزامير آل داود وان غنت ظل معبد لها عبدا وقيل
سحقا لاسحق وبعدا وان زمرت اضحى زنام عندها زنيما بعد ان كان
لجميلها رغيما وبالاطراب نغيما وان رقصت انا لميثا لعمايم عن رؤوس
وانستك رقص الحبب في الكؤوس فكنت ازدري معها حمر النعم واحلي
بمثلها جيد النعم واعجب من اها من الشمس والقمر واود ذكراها من ثنايا
السمر وانا مع ذلك اوجل من ان تشتري بثنايا هايج او يكهن بها سطيح
او ينم عليها برق مليح فتفوق لو شلل الحظ المنحوس ونكد الطالع المنحوس
ان انطقتني بوصفها حميا المدام عند الخمار لتمام ثم ثاب الفهم بعد ان صحا
الفهم فحسنت الخيال والوبال وضيعت ما اودع ذلك الغزال بيد اني
عاهدته على كتم ما لفظته وان احفظ السر ولو لحظته فزعم انه يخزن الاسرار
كما يخزن اللئيم الدينار وانه لا يهتك الاستار ولو عرض لان يلج النار
فما غبر على ذلك من الزمان الا يوم او يومان حتى بدا الاصرار لتلك المذرة
والبهادي المقذرة ان يقصد باب قيل مجتديا عرض خيل ومستمطرا
عارض نيل وناد ان صحبه يحتفر لاائم هواه ليفد منها بين يدي نجواه
وجعل يبذل الحبايل لمرتاده ويبتغي المراغبان يظفره بمراده فاستغفت
ذلك الخار لختالا لحيد ولم يعص اذراع العار عذل عذولم فاسحي
الوالي ناشرا اذيم وابتذر ما كنت اسرهته اليه فما راعني الا انبا

ما عنيته إلى وانبتّ الحنينة على تسويغي إيثاره بالدية البيّنة على أن أحكّم
عليه في القيمة فغشيني من الهمّ ما غشي فرعون وجنوده من اليمّ ولم أدافع عنها
ولا يغني الدفاع واستشفع إليه ولا يجدي الاستشفاع وكلما رأى منّي
ازدياد الاعتياص وارتياد المناص تجرّم ونفر وحرن على الأمر وقضى
مع ذلك لا تسمح بمفارقة يدي ولا بأن أنزع قلبي من صدري حتى ألوى
إبقاءً والتضرّع فزعاً فما دفع الإشفاق من الحين إلى أن قضيت سواد
العين بصفرة العين ولم يحظ الواشي بغير الإثم والشين فعاهدت الله
تعالى مذ ذلك العهد أن لا أحاضر تماماً من بعد الرجل المخصوص بهذه الطباع
الذميمة وبه يضرب المثل في التهمة فقد جرى عليه سيل يميني ولذاكم السبب
لم يمتدّ إليه يميني طول فلا تعذلوه بعدما اندرج عندي على أن حرمتم الانطا
القطايف فقد بان عذري في صنيعي وأنّي سأزيّن فيضي من تليدي
وطارفي على أن ما زوّدتكم من فكاهة ألذّ من حلوا لدى كل عارف
قال الحارث بن همام فقبلنا اعتذاره وقبّلنا عذاره وقلنا له قدماً وقد
النهمة خير البشر حتى انتشر عن حمالة الحطب ما انتشر ثم سألناه عمّا أحدث
حاره القنات ودخلتم القنات بعد أن راش له نبل التعاية وجذم
حبل الرعاية فقال أخذ فالاستخذاء والاستكانة والاستشفاع إلى
بذوي المكانة ولكنّه حرجت على نفسي أن لا أسترجعه أبني ويرجع إلي

الى امسى فلم يكن لي محيص سوى الرد والاصرار على الصد وهو لا يكتئب من
التجهم ولا ينثني من وقاحة الوجه بل يلظ بالوسائل ويلح في المسائل فلما
انفدني من برامه ولا ابعد عليه نيل الا ابيات نفثت بها الصدر المؤود
ولخاطر المثبور فانها كانت مدحرة لشيطانه ومسجرة لرقي وطانه وعند
انتثارها تخلى لحبور بعدما بالويل والثبور وايس من نشر
وصل القبور كما يئس الكفار من اصحاب القبور فناشدناه ان ينشدنا
اياها ونستقصر اتيانها فقال اعجل خلق الانسان من عجل ثم انشد لا
يرقيه تجمل ولا يثنيه وجل شعر ونديم محضته صدقي وودي اذ تو
صدقا صحيحا ثم انبرى لطبعه قال حين الفتنة صد بدا اجمعا خلته
قبل ان يجرب لقاء ذا ذمام فبان حلقا ذميما وتجهم كليما فاسى
منه قلبي بما جناه كليما ونطقته معيدا رحيما فتبينه لعينا رحيما
ثم اسى مهدا الخلى عنه سبكى مهدا ليما ونوشمت ان يهب
نسيما فابى ان يهب الا سموما بت من لسعه الذي اعجز الراقي سليما
وبات مني سليبا وغدا ادم غداة افترقنا مسقما والجسم مني سقيما
لم يكن رابعا خصيبا ولكن كان بالشر رابعا لي خصيما قلت لما
تبين لبنه كان عديما ولم يكن لي نديما بغض الصبح حين نم الى قلبي
لان الصباح يلقى نموما ودعا الى هوى الليل اذ كان سواد الدجى

رحبًا كثومًا وكفى من يشي ولوفاه بالصدق اتامًا فيها اناه ولومًا قال

الراوي فلما سمع رب المنزل قريضه وسجعه واستملح تقريظه وسجعه

بوّاه مهاد كرامته وصدّره على تكرمته ثم استحضر عشر صحائف من

الغرب فيها حلواء القند والضرب وقال لا يستوي اصحاب النار واصحاب

الجنة ولا يسع ان يجعل البريء كذي الظنة وهذه الآنية تنزل منزلة

الابرار في صون الاسرار فلا تولها الابعاد ولا تلحق هودا ببعاد ثم

امر خادمه بنقلها الى مثواه ليحكم فيها بهواه فاقبل علينا ابو زيد وقال اقرءوا

سورة الفتح وابشروا بانهلال الفرج فقد جبر الله كسركم وسنى اكلكم

وجمع في ظل الحلواء شملكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ولما هم

بالانصراف مال الى استهداء الصحاف فقال للأديب ان من دلائل الظرف

سماحة المهدي بالطرف فقال كلاهما والعلام فاجتنب الكلام وانهض

بسلام فوثب بالجواب وشكر شكر الروض للسحاب ثم انثنى ابو زيد الى

حوائه وحكمنا في حلوائه وجعل يقلب الاواني بيده ويقبض عددها

على عدده ثم قال لست ادري أأشكو ذلك اللئام ام اشكر وانثني

فعلته لاني فعلها ام اذكر فاته وان كان سلف الجهم وعم البهمة

من عقبه ابهلت هذه التهمة وليسعفه اجازت هذه القسمة وقد خطر

ببالي ان ارجع الى اشبالي اقنع بما يسنح لي وان لا اتعب نفسي ولا اجمالي

ثم أودعكم وداع محافظ واستودعكم خير حافظ ثم استوى

على راحلته راجعاً في حافرته ولاوياً الى ناظرته فغادرنا بعد أن

جمدت عينه وذابت كبدي انه كبحت غاب صدره اولبل افل

المقامة التاسعة عشرة المعروفة بالنصيبية روى الحارث بن همام قال

حين عريت ذات العويم لاختلاف انواء الغيم وتحدث الركبان بريف

نصيبين وبلهنية اهلها المخصبين فنفذت بهراً واعتقلت ظهراً

وسرت أمطي ارضاً الى ارض ويجذبني رفع من خفض حتى بلغتها

بعد نص ونفض فلما الفيتها كما نعتها الحبيب ضربت في مرعاها بنصيب

وحين نويت ان ألقي بها جراني واتخذ اهلها جيراناً الى ان تحيي السنة

الجرد وتستقل الارض قوى المهاد فوالله ما غمضت مقلتي بنومها

ولا بحثت ليلة من يومها او الفيت ابا زيد السروجي يجول في انحاء

نصيبين ويخبط بها خبط الصابئين والصبيين وهو ينثر من فيه الدر

ويجلب بكلمه البدر فوجدت جهادي فيها ربحاً مغنماً وقدحي القد

المصيب توأماً ولم ازل اتبع ظله اينما انبعث والتقط لفظه كلما نفث

الى ان عراه مرض امتد مداه وعرقته مداه حتى كاد يسلبه ثوب

حياته ويسلمه الى ابي يحيى فوجدت لفوت ملقاه وانقطاع سقياه

وجد البعد عن رامة الرضيع عند فطامه ثم انجفت بات بهنه قد علق

وتخلف الجماعة قد ملق فقلوت صحبة لا رعاة المرحبات وانثالوا الى عقوته

موجفين وذو المقات خبائف يهبه بهم نحوهم كانهم ارتضعوا لبنه ربيبا

اسالوا الغروب عطو الجيوب وصكوا الخدود وشجوا الرؤوس يعدون لو

سالمته المنون وغالت نفائسهم والنفوس قال الراوي وكنت من الف

باصحابه واغدا الى بابه فلما انتهينا الى فنائه وتصدينا لاستئذان ابنائه

برز الينا فتاه مغرى شغفناه فاستطلعناه طلع الشيخ في شكاته وكنه قوى حركاته

فقال قد كان في قبضة المرضة وعركة الوعكة الى ان شفه الدنف واستشفه

التلف ثم من الله تعالى بتقليل دمائه فافاق من غمائه فارجعوا ادراجكم

وانضوا انزعاجكم فكان قد غدا وراح وسالكم لراح فاعقبنا لبشراه وافرحنا ان

نراه فمثل سوددنا بناته ثم خرج اذنا لنا فلقينا منه لعقي ولسانا اطلقنا وجلسنا حذو

بسريره محتفين الى سائر به فقلب طرفه في الجماعة ثم قال الجلوا اساعرتم

سيعافيني الله وشكرا له من علة كادت تعفيني ومن بالرجعة انه لا يلبثني

حتى سيبريني ما شانني ولكنه الى لقمة لا كل ينميني ان لحمي لم يعن

جسمي ولا جبى قلبي منه جنيني وما ابالي اذا ابرمه ام اخرجاني الى حين

فاني فخر في حبوة ارى فيها البلايا ثم تبليني قال فدعونا له باستدامة ال

وارتداد الوجل ثم تداعينا الى القيام لاتقاء الابرام فقال كلا

بل البثوا بياض يومكم عندي لتشفوا بالمفاكهة وجدي فان مناجاتكم

ثم فوقت نحوي ومعنا طيب انسي فحزتها مرهانة وعاشرنا معاشرة ولبثنا

على الحب محض نبذه ونلفي زبده الى ان حان وقت المقيل وكلت الالسن

من القال والقيل وكان يوما حامي الوديقة بانع الحديقة يغادر الثغا

يذلل الاعناق ويذود الاماق وهو خصم الدّ وخطب لأيّه فصلوا

حبله بالقيلولة واشتدوا فيه بالآثار المنقولة قال الراوي فاتبعنا ما قال

وقلنا وقال فضرب الله على الآذان وافرغ السِنة في الاجفان حتى

خرجنا من حكم الوجود وصرنا بالهجود عن السجود فما استيقظنا الا والضحى

قد باخ واليوم قد شاخ فكررنا لصلوة العجاوين وادينا ما حل من

دين ثم تخششنا للارتحال الى ملتقى الرحال فالتفت ابو زيد الى

شبله وكان على شاكلته وشكله وقال اني لأخال ابا عمرة قد

أضرم في احشائهم الجمرة فاستفتح ابا جامع فانه بشرى كل جائع وأردفه

بابي نعيم الصابر على كل ضيم ثم عززه بابي حبيب المحبب الى كل لبيب

المقلب بين الحراق ويعقب وأهب بابي ثقيف مجداه هو من النهب

وهلم بابي عون فما مثله من عون ولو استحضرت ابا جميل لجل الى تجميل

وحيهل بام القرى المذكرة لكسرى ولا تتناس ام جابر فكم لها من ذاكر

وناد ام الفرج ثم ائتلف بها ولا حرج واختم بابي رزين فهو سلوة

كل حزين وان تقرن بها ابا العلاء فنعم اسمك من المجالاة وانالك ما ساء

المرجفين ثقل استقلال حمول البين. واذا نزع القوم عن المراس وصالحوا

ابا ابا مرة فطفق عليهم بالتبري فاتبعوا ان الترود لنفقة ابنه لطائف

ومرونة لطافة غيرة فطاف علينا بالطيبات والطيب الى ان اذنت الشمس بالمغيب

فلما اجمعنا على التوديع قلنا له امرتقى هذا النوال البديع كيف بدا صبحه وظهر

ثم لاح سنه مستبشرا فسجد حتى اطال ثم رفع راسه فقال الا لا تيأس من

عند النوب من فرجة تجلو الكرب. فلكم سموم هبت ثم جرى نسيما (تقلب)

وسحاب مكروه تنشا فما همل وما سكب. ودخان خطب خيف منه لما

استبان له لهب. ولطالما طلع الاسى وعلى بقيته غرب. فاصبر اذا ما

ناب روع فالزمان ابو العجب. ورج من روح الاله لطائفا لا تحتسب.

قال فاستملينا ابياته الغر وواصلنا لله تعالى الشكر وودعناه مسرورين

مغمورين ببره. تفسير ما غمض فيه معناه من الفاظ لغوية وكنى

لطيفة وكنايات صوفية. قوله ذات العويم يعني به الزمان المتقا

ومثله ذات الزمين والبلهنية رغد العيش ومنه قولهم عيش ابله والسمهرية

الرماح وفي تسميتها بذلك قولان احدهما انها سميت به لصلابتها

من قولهم اسمهر الشيء اذا اشتد وقيل انها منسوبة الى سمهر زوج

ردينة وكانا جميعا يقومان الرماح فنسبت اليهما وقوله نعضنا على نقض

اي مهزول والجران باطن عنق الجمل وقيل قد نحل منه السياط

حتى جاز العود الشاعر وقال خذا حذرا يا كنتى فانى رأيت

العود فكاد يصلح وذلك انه تحذ لزوجته اللتين تعصبانه سوطا

الحزن ووضعه في الشمس ليجف فانذرها بجفافه وقرب ضربها

ويقال ضرب الله على الآذان اي انامنا ومنه قوله عز وجل فضربنا

على آذانهم في الكهف اي انمناهم وقيل في تفسيره منعناهم السمع وقوله

صلوة العجماوين اي عطلنا الا ركعتنا وهو كناية عن الوضوء والعجماوان

الظهر والعصر سميتا بذلك لاسرار القراءة فيهما ومنه الحديث صلوة

النهار عجماء وقوله هلم اي تعال هلم وهي بات بمعنى هات واقبل واصلها

التنبيه لم اي اجمع والافصح ان يوحد لفظها مع المذكر والمونث

والاثنين والجمع وبه نطق القران في قوله تعا والقائلين لاخوانهم

هلم الينا ومن العرب من يقول للمذكر الواحد هلم وللاثنين هلما

وللجمع هلموا وللمونث الواحدة هلمي وللاثنين هلما وللجمع هلممن

يستجهل اي يحمل على الجهل ويقال استجهل فلان بتسكين اللام وفتحها وتنوينها

ثابت النون معها ومنه قول ابن مسعود في عمر بن الخطاب اذا ذكر

الصالحون فحيهلا بعمر وفي حيهل لغات اضربنا عن ذكرها اذ ليس هذا

موضع استيفاء شرحها هذا تفسير الالفاظ اللغوية واما تفسير

النكت الطفيلية والكنايات الصوفية فابو يحيى كنية ملك الموت

عليه والبراد وابو عمرة كنية الجوع ويكنى ايضا ابا مالك ومنه قول الراجز ابو مالك

يعتادنا في الظهائر وابو جامع الخوان وابو نعيم الخبز الحوارى وابو حبيب

الجدى وابو ثقيف الخل وابو عون الملح وابو جميل البقل وام القرى السكباج

وام جابر الهريسة وام الفرج الجوذابة وابو رزين الخبيص وابو العلاء

الفالوذق وابو ناس العسول والمرجفات الطست والاربعى وابو الغرد

العجول المقامة الثامنة عشرة وتعرف بالفارقية حكى

الحارث بن همام قال يممت ميافارقين مع رفقة موافقين لا يمارون

في المناجاة ولا يبغون ما طغى المداجاة فكنت بهم كمن لم يبرح عن وطنه

فلما انخنا بها مطايا التسيار واستبدلنا من الاكوار بالاوكار تواصينا

بتذكار الصحبة ونهينا عن التقاطع في الغربة واتخذنا ناديا نعمره طرفي

النهار ونتهادى فيه طرف الاخبار فبينما نحن به في بعض الايام وقد انتظمنا

في سلك الالتئام اذ وقف علينا ذو مقول جرى وجرس جهورى فحيا تحية

نفاث في العقد مناص للاسد والنقد ثم قال يا قوم عندى حديث

عجيب فيه اعتبار للبيب الاريب رايت في ريعان عمرى ملكا باسله

حد الحسام المقضب يقدم في المعرك اقدام من يوقن بالفتك ولا

يفرج الضيق بكراته حتى يرى ما كان ضنكا رحب ما بان للاقران

الا انثنى عن موقف الطعن برمح خضيب ولا ساغ مستصعبا

ـقلق الباب متبعًا بحبيب الا ونودي حين نحوله نعرضها للتدرج

ـبيب هذا وكم من ليلة بات بها يميس في برد الشباب القشيب يرشف

ـسنده بشفته وهو لدى كل الفتى الحبيب فلم يزل يبتزه دهره

ـا منه من بطش وعود صليب حتى أصابته الليالي التي تعافه

ـن من مشرق وغريب فقد عجز الراقي عن تحليل ما به من الداء وأعيى الطبيب

ـبيض وصار نشرًا من بعد ما كان الجناب الخصيب وأوحش المكو

ـحف ومن يعش يلق دواهي المشيب وها هو اليوم مسجّى لمن

ـيشتري تكفين ميت غريب ثم أنه أعلن في النحيب وبكى بكاء المحب

ـخيب لما رقأت دمعته وانفثأت لوعته قال يا جمعة الرواد

ـدنه الأجواد والله ما نطقت ببهتان ولا أخبرتكم إلا عن عيان

ـوذ ما شق عصاي سير ولقيني مطر لاستأثرت بما دعوتكم اليه وقا

ـحت موقف الدال عليه لكن كيف الطيران بلا جناح وهل على من لا

ـحه جناح قال الراوي فطفق القوم يأتمرون فيها بأمرون ويتخافتون

ـيتون فتوهم أنهم على صرفه يجمعون أو مطالبته ببرهان فقرط منه

ـ... بالدامع الهاع وبرامع البقاع ما هذا الارتياب الذي يا ناه

ـ... حتى كأنكم كلفتم شغفًا لا شقرا او استوهبتم بلدة لا بردة او هرتم

ـسموا البيت لا لتكفين الميت لمن لا تندى صفاته ولا ترشح صفاته

فلما صرفت الجماعة بتلافيه ومرارة مذاقه رفأ كل منهم بثنيه واحتل
طلح حوت سبله قال الحارث بن همام وكان هذا السائل واقفا خلفي
ومحتجبًا بظهري عن طرفي فلما ارضاه تبسمهم وحق على التأسي بهم
خلعت مجاني عن خنصري ولفت اليه بصري فاذا هو شيخنا السروجي بلا
فرية ولا امرية فايقنت انها اكذوبة تكذبها واحبولة نصبها الا انه
طويته على غرة وصنت شعاره عن فرية محضة للخاتم وقلت ارصده
لنفقة المنام فقال وها لك ما اضرم شعلتك واكرم فعلتك ثم انطلق
يسعى قدمًا ويهرول هرولة فلما فرغت الى عرفان مبيته واصحابه
دعوى خيبته فقرعت ظنبوبي والهبت الهوبي حتى ادركته على غلوة
واجتليته في خلوة فاخذت بجمع ارادنه وعضته عن ستر مبدأنه وقلت
له والله مالك مني ملجا ولا منجا او تريني مبلك المنجي فكشف عن سراويله
واشار الى عرموله فقلت له قاتلك الله فما اعبثك بالنهى واحيلك على
اللهى ثم عدت للاصحاب عود الرائد الذي لا يكذب اهله ولا يرقش قوله
فاخبرتهم بالذي رايت فما وريت ولا رايت فقهقهوا من كيت
ولعنوا ذلك المبيت المقامة الحادية والعشرون وتعرف بالرازية
حدث الحارث بن همام قال لهجت مذ حكت مطيري وعرفت ضلي من وبيري
بان اصغي الى العظات والغي الكلم المحفظات لاتحلى بمحاسن الاخلاق

الخلق جالسهم بالأخلاق وما زلت آخذ نفسي بهذا الأدب وأخذها بزجرة
الغضب حتى صار التطبع فيّ طباعا والتكلف لهوى مطاعا فلما حللت
بالري وقد حللت حبى الغي وعرفت الحق من الغي رأيت بها ذات بكرة
الحق البطل
زمرة إثر زمرة وهم منتشرون انتشار الجراد ومستنون استنان الجياد
ومتواصفون واعظا يقصدونه ويحلون ابن سمعون دونه فلم يتمالكني
لاستماع المواعظ واختبار الواعظ أن أتبع اللاعظ واحتمل الضاغط
فأصبحت أصباح الطواغيت وانخرطت في سلك الجماعة حتى أفضينا إلى
جمع الأمير والمأمور وحشد النبيه والمغمور وفي وسط هالته وسطه
اهليلي شيخ قد تقوس واقعنسس وتقلنس وتطلس وهو يصدع بوعظ
صار كالقوس
يشفي الصدور ويلين الصخور فسمعته يقول وقد افتتنت به العقول [illegible]
يا ابن آدم ما أغراك بما يغرك وأضراك بما يضرك وألهجك بما يطغيك
وأبهجك بمن يطريك تعنى بما يعنيك وتهمل ما يعنيك وتنزع في قوس
تعديك وترتدي الحرير الذي يرديك لا بالكفاف تقتنع ولا من الحرام تمتنع
ولا للعظات تستمع ولا بالوعيد ترتدع دأبك أن تتقلب مع الأهواء وتخبط
خبط العشواء وهمك أن تراب في الاحتراث وتجمع التراث للوراث يعجبك
التكاثر بما لديك ولا تذكر ما بين يديك وتسعى أبدا لغاربك ولا تبالي الله
أعليك أم لك أتظن أن ستترك سدى وأن لا تحاسب غدا أم تحسب أن الموت يقبل الرشا

بين الاسد والرشا كلا والله لن يدفع المنون ولا بنون ولا ينفع اهل القبور سوى
العمل المبرور فطوبى لمن سمع ووعى وحقق ما ادعى ونهى النفس عن الهوى
وعلم ان الفائز من ارعوى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف
يرى ثم انشد انشاد وجل بصوت زجل شعر لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى
اذا سكن المثري الثرى وثوى به فجد في مراضي الله بالمال راضيا بما تقتني
من اجره وثوابه وبادر به صرف الزمان فانه يخلبه الاشقى بغول ونابه
ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره فكم خامل اخنى عليه ونابه وعاص هوى
النفس الذي ما اطاعه اخو ضلة الا هوى من عقابه وحافظ على تقوى الاله
وخوفه لتنجو مما يتقى من عقابه ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه بدمع
يضاهي الوبل حال مصابه ومثل لعينيك الحمام ووقعه وروعة ملقاه
ومطعم صابه وان قصارى مسكن الحي حفرة سينزلها مستنزلا عن قبابه
فواها لعبد ساءه سوء فعله وابدى التلافي قبل اغلاق بابه قال فظل
القوم بين عبرة يذرفونها وتوبة يظهرونها حتى كادت الشمس تزول
والفريضة تفوت فلما خشعت الاصوات والتأم الانصات واستكفت العبرات
والعبرات استصرخ مستصرخ بالامير الحاضر وجعل يجأر اليه من عامله الجائر
والامير صاغ الى خصمه لا عن كشف ظلمه فلما يئس من نفعه استنهض
الواعظ لنصحه فنهض ينقض الشيخ وانشد معرضا بالامير شعر عجبا لاخي

ولاية حتى اذا ما نال البغية بغى ليبدي ويلج في المظالم والغلا

يتدبرها طورا وطورا يولع ما ان يبالي حين يتبع الهوى فيما اصح

ام وبغاة يا ويحه لو كان يوقن انه ما حالة الا تحول لما طغى او لو

ما ناله من صغى سمعا الى فك الوشاة لما صغى فتفقد لمن اضحى

بكفه وتغاض ان الغي الرعاية ولغا وارح المراد اذا دعاك لتغيره

الاحاج اذا جاء السغب واحمل اذاه اذا (وان) اعضك مسه واسال

غرب الدمع منك وافرغا فليضحكنك الدهر منه اذا نبا عنه وشب كبده

لونا ولينزلن به الشمات اذا بدا مطلبا من شغله متفرغا ولتاوين

له اذا ما خلة اضحى على ترب الهوان ممرغا هذا له ولسوف يوقف موقفا

فيريه ربنا فضائح الثغاة ويحشرن اذ لهم فتح الفلا ويحاسبن على

القبضة والنقاة ويواخذن بما اجتنى ومن اجتنى ويطالبن بما احتسى

وبما ارتعى ويناقشن على الدقايق مثل ما قد كان يفعل بالورى بل

ابلغا حتى يعض على الولاية كفه ويود لو لم يسع منها ما ابتغى ثم قال ايها

المتوشح بالولاية المترشح للرعاية دع الادلال بدولتك والاغترار بصولتك

فان الدولة ريح تهب والقدرة برق يخلب وان اسعد الرعاة من سعدت

به رعيته واشقاهم في الدارين من ساءت رعايته فلا تك ممن يذر الآخرة

ويلهيها ويحب العاجلة ويبغيها ويظلم الرعية ويؤذيها واذا تولى

سعى في الأرض ليفسد فيها فوالله ما يعقل الذبّان ولا تحمل بالإنسان ولا يلحظ

الإساءة والإحسان بل سيوضع لك الميزان وكما تدين تدان قال فوجم الوالي لما

سمع وامتقع لونه وانتقع وجعل يتأفف من الإمرة ويبدي الزفرة بالزفرة

ثم عمد إلى الشاكي فأشكاه وإلى المشكو منه فأشجاه والطف لواعظه حباه وعرض

عليه أن يغشاه فانقلب عنه المظلوم منصورًا والظالم محصورًا وبتنا نتهادى لواعظ

بين رضه وبيناهي يقوض صفقته فاعتقبته أخطو متقاصرًا وأتبعه لمحًا باصرًا

فلما استشف ما أخفيه وفطن لمتقلب نجي فيه قال أخير لبيك من أرشد

ثم أقرب نجي وأنشد شعرًا أنا الذي تعرفه يا حارث ۔ حدث ملوك فكه منافث ۔

أطرب ما لا تطرب المثالث ۔ طورًا أخو جد وطورًا عابث ۔ ما غيرتني بعدك

الحوادث ۔ ولا التحى عودي خطب كارث ۔ ولا فرى نابي حد فارث ۔ بل مخلبي بكل

صيد ضابث ۔ وكل سرج منه ذئب عابث ۔ حتى كأني للأنام وارث ۔ سيان منهم ...

ونافث ۔ قال الحارث بن همام فقلت له تالله إنك لأبو زيد ولقد تمت لله ولا

قيام عمرو بن عبيد فهش هشاشة الكريم إذا أم وقال اسمع يا ابن أم شعر عليك

بالصدق ولو أنه أحرقك الصدق بنار الوعيد ۔ وابتغ رضا الله فأغبى الورى ۔

من أسخط المولى وأرضى العبيد ۔ ثم أنه ودع أخدانه وانطلق يسحب أردانه

فطلبناه من بعد بالري واستنشرنا خبره من مدارج الطي فما عرفنا من عرف

قراره ولا دري أي الجراد عاره المقامة الثانية والعشرين تعرف بالفراتية

المقامة الفراتية حكى الحارث بن همام قال يممت في بعض الفترات الى سقي الفرات

فلقيت بها كتابا ابرع من بني الفرات واعذب اخلاقا من الماء الفرات فعلقت

بهم لتهذيبهم لا لذهبهم وكاثرتهم لآدابهم لا لمآدبهم فجالستهم اخراني الانقطاع

ثم زددت وصلتهم الى الكور بعد الحور حتى انهم اشركوني في المرتع والمربع واحلوني

محل الانملة من الاصبع واتخذوني ابن انسهم عند الولائم والعرس وخازن سرهم

في الجد والهزل فاتفق ان ندبوا في بعض الاوقات لاستقراء مزرع الرزداق

فاختاروا من الجواري المنشآت جارية تحاكي الشابات تحسبها جامدة وهي تمر

مر السحاب تنساب الحباب كالحباب ثم دعوني الى الموافقة واستدعوني المرافقة

فلما ركبنا على المطية الفقاء وتبطنا الولية الماشية على الماء الغناء بها

شيخا عليه سحق سربال وسبت بال فعافت الجماعة حضره وعنفت من حضره

وهمت بابرازه من السفينة لولا ما ثاب اليها من السكينة فلما لج بنا الاستقلال

طلع واستراد طلع تعرض للمنافثة فصمت وجعل بعيد ان عطس فاشمت

فاخذ ينظر فينا الى ما ال اليه وينتظر المنعي عليه وجلبنا نحن في سجون

من جد وجوننا الى ان اعترض ذكر الكتابتين وفضلهما وتبيان افضلهما

فقال قائل ان كتبة الانشاء انبل الكتاب ومال مائل الى تفضيل الحساب

واحتد الحجاج وامتد اللجاج حتى لم يبق للجدال مطرح ولا للمراء مسرح فقال

الشيخ لقد اكثرتم يا قوم اللغط وازتم الصواب والغلط فان جلية الحكم

عندي فارتضوا بقضائي ولا تستفتوا أحداً بعدي علموا أن صناعة الإنشاء
أرفع وصناعة الحساب أنفع وقلم المكاتبة خاطب وقلم المحاسبة حاطب وأساطير
البلاغة تنسخ لتدرس ودساتير الحسابات تنسخ وتدرس والمنشئ جهينة
الأخبار وحقيبة الأسرار ونجي العظماء وكبير الندماء وقلمه لسان الدولة
وفارس الجولة ولقمان الحكمة وترجمان الهمة وهو البشير والنذير والشفيع والسفير
به تستخلص الصياصي وتملك النواصي ويقتاد العاصي ويستدنى القاصي وصاحبه
بريء من التبعات آمن كيد السعاة مقرب بين الجماعات غير معرض لنظم الجماعات
فلما انتهى في الفصل إلى هذا الفصل لحظ من لحاظ القوم أنه ازدرع حبّاً وبغضاً
وأرضى بعضاً وأحفظ بعضاً فعقّب كلامه بأن قال إلا أن صناعة الحساب موضوعة
على التحقيق وصناعة الإنشاء مبنية على التلفيق وقلم الحساب ضابط وقلم المنشئ
خابط وبين إتاوة توظيف المعاملات وتلاوة طوامير السجلات بون لا يدركه
قياس ولا يعتوره التباس إذ الإتاوة تملأ الأكياس والتلاوة تفرغ الرأس
وخراج الأوراج يغني الناظر واستخراج المدائح يعني الناظر ثم إن الحسبة
حفظة الأموال وحملة الأثقال والنقلة الأثبات والسفرة الثقات وأعلام
الإنصاف والانتصاف والشهود المقانع في الاختلاف ومنهم المستوفي الذي
هو يد السلطان وقطب الديوان وقسطاس الأعمال والمهيمن على العمال وإليه
المآب في السلم والهرج وعليه المدار في الدخل والخرج وبه مناط الضر والنفع

وفي يده بساط الاعطاء والمنع ولولا قلم الحساب لأودت ثمرة الاكتساب

ولاتصل التغابن الى يوم الحساب ولكان نظام المعاملات محلولا وجرح الظلامات

مطلولا وجيد التناصف مغلولا وسيف التظالم مسلولا على ان يراع الانشاء

متقول ويراع الحساب متأول والمحاسب مناقش والمنشي ابو براقش ولكليهما

حمة حين يرقى الى ان يلقى ويرقى وإعنات فيما ينشي حتى يغشى ويرشى الا

الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم قال الحارث بن همام فلما امتع

الاسماع بما راق وملأ استغنيبا فاستبهم علينا الانتساب ولو وجد

منتسبا لانتسب فخلصت من لبس على غمة حتى ذكرته بعد امة فقلت واقسم

بالفلك الدوار والفلك السيار انك لابو زيد وان كنت عهدته

ذا رواء وأبهة فتبسم ضاحكا من قولي وقال انا هو على استحالة حالي وحؤولي

فقلت لاصحابي هذا الذي لا يفرى فريه ولا يبارى عبقريه فحظوا منه

الود وبذلوا له الجد فرغب عن الانقباض ولم يرغب في النحلة وقال انما بعد

ان تحفظوا حق الاجل تحتفي وكسعتم بالاخلاق شرابي فما الكرم الا

بالعين السخينة ولا لكم سوى الاصحبة السخينة ثم انشد شعرا اسمع اخي

وصية من ناصح ما شاب محض النصح منه بغشه لا تعجلن بقضية مبتوتة

في مدح من لم تبله او خدشه وقف القضية فيه حتى تجتلي وصفيه في حالي

رضاه وبطشه ويبين خلب برقه من صدقه فهناك ان تر ما يشين فواره

كرمًا ولن ترى ابني نافثته ومن استحق الارتقاء رقيته ومن استحط لحظه حقرته

واعلم بان التبر في عرق الثرى خافٍ الى ان يستثار بحيلته وفضيلة الدينار يظهر

سرها من حكه لا من ملاحة نقشه ومن الغباوة ان تعظم جاهلا لصقال

ملبسه ورونق رقشه او ان تهين مهذبا في نفسه لدروس بزته ورثة

فرشه واخي لكم طمر هبيب لفضله ومفوف لبرد بعيب لخشه فما ان

يضر العضب كون قرابه اسمالا ولا الامراني عرشه واذا الفتى لم يغش عارا لم يكن

خلقا ولا البازي حقار عشه ثم ما علمت ان استوقف الملاح وصعد من

السفينة وصاح فندم كل منا على ما فرط في ذاته واعضى حضنه على قذاته

وتعاهدنا على ان لا نحتقر شخصا لرثاثة برده والا نزدري سيفا مخبوا

في غمده المقامة الثالثة والعشرين تتضمن القصة الجناسية وتعرف بالحريمية

حكى الحارث بن همام قال نبا بي مألف الوطن في شرخ الزمن لخطب خشيته

وخوف غشيته فارقت كاس الكرى ونصصت ركاب السرى وجبت في

سيري وعورا لم تدمثها الخطا ولا اهتدت اليها القطا حتى وردت حمى

الخلافة والحرم العاصم من المخافة وسرحت بها سوام الترح واستشعاره

ولبست لباس الامن وشعاره وقصرت همي على لذة اجتنيها وملحة

اجتليها فبرزت يوما الى الحريم لاروض طرفي واجيل في طرفه طرفي

فاذا فرسان متتالون ورجال متتالون وشيخ طويل اللسان طويل الطمرين

الطيلسان فلبيت من جديد الشباب خلق الجلباب وركضت إثر
النظارة حتى وافينا باب الإمارة وهناك صاحب المعونة متربعا في دسته
ومترفعا بسمته فقال له الشيخ أعز الله الوالي وجعل كعبه العالي أني
كفلت هذا الغلام فطيما وربيته يتيما ثم لم آله تعليما فلما مهر وبهر
جرد سيف العدوان وشهر ولم أخله يلتوي علي ويتبجح حين يرتوي مني
ويلتفح فقال له الفتى علام أثرت مني حتى نشرت هذا الخزي عني فوالله ما
سترت وجه برك ولا هتكت حجاب سترك ولا شققت عصا أمرك ولا
ألغيت تلاوة شكرك فقال له الشيخ ويلك وأي ريب أخزى من ريبك
وهل عيب أفحش من عيبك وقد ادعيت سحري واستلحقته وانتحلت
شعري واسترققته واسترقاق الشعر عند الشعراء أفظع من سرقة البيضاء
والصفراء وغيرتهم على بنات الأفكار كغيرتهم على البنات الأبكار فقال
الوالي للشيخ وهل حين سرق سلخ أو مسخ أو نسخ فقال والذي جعل الشعر
ديوان العرب وترجمان الأدب ما أحدث سوى أن بتر شكل شرحه وأغار
على ثلثي سرحه فقال له الوالي أنشدنا أبياتك برمتها ليبين ما اختانه
من جملتها فأنشد شعر يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى وقرارة
الأكدار دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا بعدا لها من دار
وإذا أظل سحابها لم ينتقع منه صدى لجهامه الغرار غاراتها لا تنقضي

واسيرها فانها مفتدى بجلايل الاخطار كم مزدهي بغرورها حتى بدا متمردا

متجاوزا المقدار قلبت له ظهر المجن واولغت فيه المدى وزرت لاخذ الثار

فاربا بعمرك ان يمر مضيعا فيها سدى من غيرها استظهار واقطع علايق

حبها وطلابها تلق الهدى ورفاهة الابرار وارقب اذا ما سالمت من

كيدها حرب العدى وبوائق الغدار واعلم بان خطوبها تجاوز لو طال المدى

وتمت سرى الاقدار فقال له الوالي ثم ماذا اصنع هذا قال اقدم للوجه

في الجرأة على ابانة الشد واستنزاء الاجزاء تحذف منها جنبين وتنقص من اوزانها

وزنين حتى صار الرزء فيها مذنبين فقال بين ما اخذوه من اين فلذها

اذني سمعك واخل للتفهم عنه ذهنك حتى تبين كيف اصلت على

منقد عدد اجزاميه الى تم انتد وانقاسه فقعد شعرها خاطب الدنيا

الدنية انها شرك الردى دار متى ما اضحكت في يومها ابكت غدا

واذا اظل سحابها لم ينتقع منه صدى غاراتها لا تنقضي واسيرها لا يفتدى

كم مزدهي بغرورها حتى بدا متمردا قلبت له ظهر المجن واولغت فيه المدى

فاربا بعمرك ان يمر مضيعا فيه سدى واقطع علايق حبها وطلابها

تلق الهدى وارقب اذا ما سالمت من كيدها حرب العدى واعلم بان

خطوبها تجاوز لو طال المدى فالتفت الوالي الى الغلام وقال لذلك من

خريج عارف ولبيساري فقال الفتى بريت من الادب وبنيه ولحقت من

جبن بناديه ويهوّض مبانيه ان كانت ابياته نمّت الى علي قبل ان الفت نظمي

وانما اتفق توارد الخواطر كما قد يقع الحافر على الحافر فكان الوالي حوّز

صدقه ونصره فندم على بادرة ذمّه وظل يفكر فيما يكشف له من الحقائق ويميّز

به الفائق من المائق فلم ير الا اخذهما بالمناضلة ولزّهما في قرن المساجلة

فقال لهما ان اردتما انتضاح العاطل واتضاح الحق من الباطل فتراسلا

في النظم وتباريا متجاولا في حلبة الاجازة وتجاريا ليهلك من هلك

عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة فقالا له بلسان واحد وجواب متوارد

قد رضينا بسبرك فمرنا بامرك فقال اني مولع من انواع البلاغة بالتجنيس

واراه لها كالرئيس فانظما الآن عشرة ابيات تجانسها بوشيه وترصيعها

بحليه وضمّناها شرح حالي مع الف لي بديع الصفة ألمى الشفة مليح التثنّي

كثير التيه والتجني مغرًى بتناسي العهد واطالة الصدّ واخلاف الوعد

وانا له كالعبد فانبرى الشيخ مجليًا وتلاه الفتى مصليًا وتجاريا بيتًا فبيتًا

على هذا النسق الى ان كمل نظم الابيات واتسق نظمها حوى رقي برقة

لفظه ‑ وغادرني ألف السهاد بغدره ؛ تصدّى لقتلي بالصدود وانّني لفي

اسره مذ حاز قلبي باسره ؛ اصدّق منه الزور خوف ازوراره ؛ وارضى استماع

الهجر خشية هجره ؛ واستعذب التعذيب منه وكلما ؛ اجدّ عذابي جدّ بي حب

بره ؛ تناسى ذمامي والتناسي مذمّة ؛ واحفظ قلبي وهو حافظ سرّه ؛

وأعجب ما فيه التناهي بعجبه • وأكبر من أن أفوه بكبره • لدى المدح لكن

خاب نشره • ولم أر طي الود من بعد نشره • ولو كان عدلاً ما تجنى وقد جنى

على وعيري بجنايته رشف ثغره • ولولا تثنيه شبّ أعشق • بداراً إلى من

نور بدره • وإني على تصريف أمري وأمره • أرى الرحلوا في انقيادي لأمره •

فلما أنشدها الوالي مراسلين بحث لذكائهما المتعادلين وقال أشهد بالله

أنكما فرقدا سماء وكندماني في وعاء وأن هذا الحدث ليسبق ما أتاه الله

ويستغني بوحده عمن سواه فنبا بها الشيخ من اتهام وثب إلى إكرامه

فقال الشيخ هيهات أن تراجعه مقتي أو يتعلق به ثقتي وقد بلوت كفرانه

للصنيع ومنيت منه بالعقوق الشنيع فاعترضه الفتى وقال يا هذا إن اللجاج

شؤم والحنق لؤم وتحقيق الظنة إثم وإعنات البريء ظلم وهبني اقترفت جرماً

أو اجترحت كبيرة أما تذكر إذ أنشدتني لنفسك فأبان أنك نظم سامح أخاك إذا

خلط منه الإصابة بالغلط • وتجاف عن تعنيفه إن زاغ يوماً أو قسط • واعذر إن عاصى

وهي إن عز وادي إذا شطط • واحفظ صنيعك عنده شكر الصنيع أم غمط • وإني

الوفاء وإن أخل بما اشترطت وما اشترط • واعلم بأنك إن طلبت مهذباً رمت الشطط •

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط • أو ما ترى المحبوب والمكروه لزّا في نمط •

كالشوك يبدو في الغصون مع الجنى الملتقط • ولذاذة العمر الطويل يشوبها

نغص الشمط • ولو انتقدت بني الزمان وجدت أكثرهم سقط • فجعل الشيخ يغضغض

نفضته الليل ويجلون حمامة البانة المطل ثم قال والذي زين السماء بالشهب
وانزل الماء من السحب ما يدعوني عن الاصطلاح الا التوقي من الافتضاح فان
هذا الفتى اعتاد ان امونه وانا ذو شقوة ومسكنة والدهر يبخ فلم اكن اشح
فكيف الان فانوب حبوس وحشو العيش بوس حيوان برئي هذه عاريه
وبيني لا تطوى به فارة قال فرق لهما قلب الوالي واوقف لهما من غير التبالي
وصبا الى اختصاصهما بالاسعاف وامر التفارق بالانصراف قال الحارث بن همام
وكنت متشوقا الى مرآة الشيخ لعلي اعلم علمه اذا غابت رسمه ولم يكن
وحان ليسهر عنه ولا بخرج لي فاد نومه فلما تقوضت الصفوف واحتفل
ووقفت لو توسمته فاذا هو ابو زيد والفتى فتاه فعرفت مغزاه فيما اتاه
وبينا اتفقد عليه لا استعرف لسر فرحت باماض طرفه واستوثق بابكه
نعم فلزمت موقفي واخرت منصرفي فقال الوالي ما امرك ولاي سبب
مقامك فابتدر الشيخ وقال ان اليوم صاحب مليوني فنتج عند هذا
عون بتانيبي وتخص محلوفي ثم افاض عليهما خلعتين ووصلهما بنصاب
عين واستعهدهما ان يعاشرا بالمعروف الى ظلال الحتوف فنهضا
ويديه مشيدين بشكر اياديه ومتبعهما الاعرف شواهما وانتقد من بحي هما
حتى تناجي الوالي واقتضيا الى الفضاء الخالي ادركنا احدهما معجبا
حوته فقلت لابي زيد ما اظنك استحضرتني الا لتخبرني فماذا اقول

ورأى ذلك معراجاً فقال بئس العبادة ثلبه والنفاق بالبر ليعلم انك

لا اتنا عطائك ووجدته سادّ خلتك فخاف ان يتقد غضبك فيلفحك لهبه

او يستشري خبثه فيسري اليك بطشه فقال ان رحل الان الى الرفا وانت

بلغني سهيل والسها فلما حضرت الوالي وقد خلا مجلسه وانجلى مغصه اخذ

يصف ابا زيد وفضله ويذم التقريظ ثم قال نشدتك الله لست الذي اعاره

الدست فغلّ والذي احلّك في هذا الدست ما انا بصاحب ذاك الدست

بل انا الذي تم عليه التدليس فازورّت مقلتاه واحمرّت وجنتاه وقال

والله ما انجزني قط فضح مريب لا انكشف معيب لكن ما سمعت بان

دلّس بعدما طلّس وتقلّس وتعمم لم ان لبس فتدرّى ابن سكيم ذلك الكليم

تلك لما اشفق منك ليعتبي طوره فظعن عن بغداد من فوره فقال لا قرّب

الله له نوًا ولا كلأه ان نوى فانا والله اشد من تنكر ولا دنيا امن

مكره ولولا حرمة ادبه لا اوغلت في طلبه الى ان يقع في يدي فاوقع به

واني لا اكره ان يشيع فعلته بمدينة السلام فافتضح بين الانام

ويحبط مكانتي عند الامام واصير ضحكة للخاص والعام فعاهدته

على ان لا افوه بما اعتمده ما دمت حلاً بهذا البلد قال الحارث بن همام

فعاهدته معاهدة من لا يتأول ووفيت له كما وفى السموأل المقامة

الرابعة عشرة وتعرف بالمكية حكى الحارث بن همام قال عاشرت بقطيعة الر

الربيع في إبان الربيع فتية وجوههم أبلج من أنواره وأخلاقهم أبهج من
نهاره وألفاظهم أرق من نسيم أسحاره فاجتليت منهم ما يزري على
الربيع الزاهر ويغني عن رنات المزاهر وكنا تقاسمنا على حفظ الوداد وحظر
الاستبداد وأن لا ينفرد أحد منا بالتذاذ ولا يستأثر ولو بجذاذ فأجمعنا
في يوم سماء دجنه ونحو حسنه وحكم بالاصطباح مزنه على أن نلهو بالخروج
إلى بعض المروج لنسرح النواظر في النواظر ونصقل الخواطر بشيم المواطر
فبرزنا ونحن كالشهور عدة وكندماني جذيمة مودة إلى حديقة أخذت زخرفها
وازينت وتنوعت أزاهيرها وتلونت ومعنا الكميت الشموس والسقاة
الشموس والشادي الذي يطرب السامع ويلهيه ويعطي كل مستمع ما
يشتهيه فلما اطمأن بنا الجلوس ودارت علينا الكؤوس وغلا علينا
ذمر عليه طمر فتجهمناه تجهم الغيد الشيب ووجدنا صفو يومنا
قد شيب إلا أنه سلم تسليم أولي الفهم وجلس يفض لطائم النثر والنظم
ونحن نتزوى من انبساطه ونتشزر لطي بساطه إلى أن غنى شادينا المطرب
ومغردنا المطرب بنظم إلام سعاد لا تصلين حبلي ولا تأوين لي مما ألاقي
صبرت عليك حتى عيل صبري وكادت تبلغ الروح التراقي وها أنا قد عزمت
على انتصاف أساقي فيه خلي ما يساقي فإن وصل الذي يرضي فوصل
وإن صرما فصرم كالطلاق فلما استفزنا العابث بالمثاني لم يتمالك

الاول ورفع الثاني فاقسم بتربة ابويه لقد نطق بما اختاره سيبويه فتشعبت

آراء الجمع في تجويز النصب والرفع فقالت فرقة رفعهما هو الصواب وقالت

طائفة لا يجوز فيهما الا الانتصاب واستبهم على آخرين الجواب واستعر بينهما

الاصطخاب وذلك الواغل يبدي ابتسام ذي معرفة وان لم يفه ببنت شفة

حتى اذا سكنت الزماجر وصمت المزجور والزاجر قال يا قوم انا انبئكم بتاويله

وأميز صحيح القول من عليله انه يجوز رفع الوصفين ونصبهما والمغايرة في

الاعراب بينهما وذلك بحسب اختلاف الاضمار وتقدير المحذوف في هذا المضمار

قال فتفرط من الجماعة افراط في مماراته وانخراط الى مباراته فقال اما اذا ادعيتم

نزال وتبجحتم للنضال فما كلمة هي ان شئتم حرف محبوب واسم لما فيه حرف

حلوب واي اسم يتردد بين فرد حازم وجمع ملازم واية هاء اذا التحقت

اماطت الثقل واطلقت المعتقل واين تدخل السين فتعزل العامل من غير

ان يحامل وما منصوب ابدا على الظرف لا يخفضه سوى حرف واي مضاف

اخل من عرى الاضافة بعروة واختلف حكمه بين مساء وغدوة وما العامل

الذي يتصل آخره باوله ويعمل معكوسه مثل عمله واي عامل نائبه ارحب منه

وكرا واعظم مكرا واكثر لله تعالى ذكرا وفي اي موطن يلبس الذكران

براقع النسوان وتبرز ربات الحجال بعمائم الرجال واين يجب حفظ المراتب

على المضروب والضارب وما اسم لا يفهم الا باستضافة كلمتين او الاقتصار

منه على ضربين ففي وضعه الأول لزام وفي الثاني إلزام وما وصف
إذا أُردِف بالنون نقص صاحبه في العيون وقُوِّم بالدون وخرج من
الزبون وتعرّض للهون فهذه ثنتا عشرة وفق عددكم وزنة لددكم
ولو زدتم لزدنا وإن عدتم عدنا قال المخبر بهذه الحكاية فورد علينا من أحاجيه
اللاتي هالت لمّا انهالت ما حارت له الأفكار وحالت فلمّا أعجزنا العوم
في بحره واستسلمت تمائمنا لسحره عدلنا عن استثقال الرؤية له إلى استنزال
الرواية عنه ومن بغي التبرّم به إلى ابتغاء التعلّم منه فقلنا والذي نزّل النحو
في الكلام منزلة الملح في الطعام وحجب مطالعه عن بصائر الطغام لا تلتكم
مراماً ولا شغفت لكم غراماً أو تخوّلني كلّ يد وتخصّني كلّ منكم بيد
فلم يبق في الجماعة إلا من أذعن لحكمه ونبذ إليه حباءه لكمّه فلمّا حصّله حشّ كأنّه
اضطرم شعلة ذكائه فكشف عن أسرار ألغازه وبدائع إعجازه ما جلا به
صدأ الأذهان وجلّى مطلعه بنور البرهان قال الراوي فهمنا حين
فهمنا وعجبنا إذ أُجِبنا وندمنا على ما تقدّمنا وأخذنا ما نعتذر إليه
اعتذار الأكياس وعرضنا عليه ارتضاع الكاس فقال مآرب لا حفاوة
ومشرب لم يبق له عندي حلاوة فأطلنا سرّاً وكدّروا إلينا معاودة
ثم شمخ بأنفه صلفاً ونأى بجانبه أنفاً وأنشد نهاني الشيب
عمّا فيه أفراحي فكيف أجمع بين الراح والراح وهل يجوز اصطباحي من معتّقة

وقد انار مشيب الراس اصباحي ‧ اليت لا خامرتني الخمر ما علقت ‧ روحي بجسمي
والفاظي بافصاحي ‧ ولا اكتست لي بكاسات السلاف يد ‧ ولا اجلت قداحي
بين قداحي ‧ ولا صبوت الى صرف مشعشعة ‧ ولا احتسيت مدامًا بالراح
ولا نظمت على مشمولة ابدا ‧ شملي ولا اخترت ندمانا سوى الصاحي ‧ نحا
مراحي حين خط على راسي فانبعث به من كاس ماحي ‧ ولاح يلحى على جري العنان
الى ملهى صحفًا لمن لا يرح لاحي ‧ ولو لهوت وفودي شاب حنا ‧ بين
المصابيح من شتان مصباحي ‧ ثم تجاهم ثم توفر صنعهم ‧ والشيب ضعف
لذا التوقير باصلاح ‧ ثم انه اناب اناب الاثيم واجتنب اجفال النعيم نعلك
ابن سراج سروج ‧ بعد الادب الذي يحاب البروج وكان قصارانا التحرق لبعده
والتفرق من بعده ذكر ما في هذه المقامة من النكت العربية والاحاجي النحوية
اما صدر البيت الاخير من الاغنية الذي هو فان وصلا الذ به فوصل فانه
نظير قولهم المرء مجزي بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر وهذه المسألة اوردها
سيبويه كتابه وجوز في اعرابها اربعة اوجه احدها وهو اجودها ان تنصب خيرا
الاول وترفع الثاني وتنصب شرا الاول وترفع الثاني ويكون تقديره ان
كان عمله خيرا فجزاؤه خير وان كان عمله شرا فجزاؤه شر فينتصب الاول على انه
خبر كان ويرتفع الثاني على انه خبر مبتدا محذوف وقد حذف في هذا الوجه كان
واسمها لدلالة حرف الشرط الذي هو ان على تقديرها وحذف ايضا المبتدا لدلالة

الفاء التي هي جواب الشرط عليه كقولهم إن تأتني فأنت مكرم لأنه كثيرا ما
يقع بعدها والوجه الثاني أن تنصبهما جميعا ويكون تقدير الكلام إن
كان عمله خيرا فهو يجزى خيرا وإن كان عمله شرا فهو يجزى شرا
فينتصب الأول على أنه خبر كان وينتصب الثاني انتصاب المفعول به والوجه
الثالث أن ترفعهما ويكون تقدير الكلام إن كان في عمله خير فجزاؤه
خير فيرتفع خير الأول على أنه اسم كان ويرتفع الثاني بأنه خبر مبتدأ محذوف
على ما بين في شرح الوجه الأول وقد يجوز أن ترفع خيرا الأول على أنه
فاعل كان وتجعل كان المقدرة ههنا هي التامة التي تأتي بمعنى حدث ووقع
فلا تحتاج إلى خبر كقوله تعالى وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ
ويكون التقدير في المسئلة إن كان خير فجزاؤه خير أي إن حدث خير
فجزاؤه خير والوجه الرابع وهو أضعفها أن ترفع الأول على ما تقدم
شرحه في الوجه الثالث وتنصب الثاني على ما بين ذكره في الوجه الثاني
ويكون التقدير إن كان في عمله خير فهو يجزى خيرا وعلى حسب هذا التفسير
والمقدرات المحذوفات فيه يجري إعراب البيت الذي عني به وهو ما ينظم
في هذا السلك المرء مقتول بما قتل به إن سيفا فسيف وإن خنجرا
فخنجر وأما الكلمة التي هي حرف جواب أو اسم لما فيه حرف جواب فهي
نعم إن أردت بها تصديق الإخبار والعدة عند السؤال فهي حرف وإن

عُنيت بها الابل فهي اسم والنعم تذكر وتؤنث ويطلق على الابل اذا انفردت
وعلى كل ماشية فيها ابل وفي الابل الحرف وهي الناقة الضامرة سميت حرفاً
تشبيهاً لها بحرف السيف وقيل انما الضخمة تشبيهاً لها بحرف الجبل واما
الاسم المتردد بين فرد خارج وجمع ملازم فهو السراويل قال بعضهم هو جمع
وواحده سروال مثل شملال وشمائل فعلى هذا القول جمع وقال بعضهم
هو واحد وجمعه سراويلات فعلى هذا القول هو فرد وكنى عنه بالخارج لانه
خارج ومعنى قوله ملازم اي لا ينصرف فكنى بالعز عن بابه ملازم وانما لم ينصرف
هذا النوع من الجمع وهو كل جمع ثالثه الف بعدها حرف مشدد او حرفان او ثلاثة
احرف لثقله وتفرده دون غيره من الجموع بان لا نظير له في الاسماء الآحاد واما
الهاء التي اذا الحقت اماطت الثقل واطلقت المعتقل فهي الهاء اللاحقة
بالجمع المقدم ذكره كقولك صيارفة وصياقلة فينصرف هذا الجمع عند الحاق الهاء
به لانها نقلته الى مثال الآحاد نحو رفاهية وكراهية فخفت بهذا السبب وصرف
لهذه العلة وقد كنى في هذه الاحجية عما لا ينصرف بالمعتقل كما كنى في التي قبلها
عما لا ينصرف بالملازم واما السين التي تعزل العامل من غير ان يجامل فهي السين
التي تدخل على الفعل المستقبل فتفصل بينه وبين ان التي كانت قبل دخولها من
ادوات النصب فيرتفع الفعل وتنتقل ان عن كونها الناصبة للفعل الى
ان المخففة من الثقيلة وذلك كقوله تعالى علم ان سيكون منكم مرضى و

ويقدّره علم انه سيكون واما المنصوب على الظرفية الذى لا يخفض سوى
حرف فهو عند ولا يجره من حروف الجر غير من خاصة وانما قول العامة ذهبت
الى عنده فهو لحن واما المضاف الذى اخل من عرى الاضافة بعروة وخالف
حكمه بين مسناه وعدوه فهو لدن ولدن من الاسماء الملازمة للاضافة
وطالما اتى بعدها مجرورها الا غدوة فان العرب نصبتها بلدن لكثرة
استعمالها اياها فى الكلام ثم نونتها ايضا ليتبين بذلك انها منصوبة
على الظرف لا انها من نوع المجرورات التى لا تنصرف وعند بعض النحويين
ان لدن بمعنى عند والصحيح ان بينهما فرقا لطيفا وهو ان عند يشتمل معناها
على ما هو فى ملكك وبمكنك مما دنا منك وبعد عنك ولدن يختص معناها
بما حضرك وقرب منك واما العامل الذى يتصل اخره باوله ويعمل معكوسه
مثل عمله فهو يا ومعكوسها اى وكلاهما من حروف النداء وعملهما فى الاسم
المنادى سيان وان كانت يا اجول فى الكلام واكثر فى الاستعمال وقد اختار
بعضهم ان ينادى باى القريب فقط كالهمزة واما العامل الذى نائبه ارحب
منه وكرا واعظم مكرا واكثر لله تعالى ذكرا فانه باء القسم وهذه الباء هى اصل
حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم فى قولنا اقسم بالله ودخولها
ايضا على المضمر كقولك بك لافعلن ثم ابدلت الواو منها فى القسم لانهما جميعا
من حروف الشفة ثم لتناسب معنييهما لان الواو تفيد الجمع والباء تفيد الالصاق

والمعنيان متقاربان ثم صارت الواو المبدلة من الباء أدور في الكلام وأعلق
بالأقسام ولهذا الغرض بابها أكثر فقد ذكرنا ثم إن الواو أكثر مواطنا من الباء لأن
الباء لا تدخل إلا على الاسم ولا تعمل غير الجر والواو تدخل على الاسم والفعل والحرف
وتجر تارة بالقسم وتارة بإضمار رب وتنتظم أيضا مع نواصب الفعل وأدوات العطف
كما في قوله تعالى ويعفو عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ولهذا وصفها ابن جني
الوكر وعظم الكر وأما الموطن الذي يلتبس فيه الذكران بجامع النسوان ويتبرز
ربات الحجال بعمائم الرجال فهو أوائل مراتب العدد المضاف وذلك ما بين الثلاثة
إلى العشرة فإنه يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفها كقوله تعالى سخرها
عليهم سبع ليال وثمانية أيام والهاء في غير هذا الموطن من خصائص المؤنث
كقولك قائم وقائمة وعالم وعالمة فقد رأيت كيف تنعكس في هذا الموطن حكم
المذكر والمؤنث حتى انقلب كل منهما في ضد قالبه وبرز في زي صاحبه وأما
الموضع الذي عجب منه حفظ المراتب على المضروب والضارب فهو حيث يشتبه
الفاعل بالمفعول فيه لتعذر ظهور علامة الإعراب فيهما أو في أحدهما وذلك إذا
كانا مقصورين مثل عيسى وموسى ومن الأسماء الإشارة نحو ذاك وهذا
فيجب لإزالة اللبس فيه لزوم كل منهما في رتبته ليتميز الفاعل منهما بتقدمه والمفعول بتأخره
وأما الاسم الذي لا يفهم إلا باستضافة كلمتين أو الإشعار على حرفين فهو ما
وضعها نحو لأن أحدهما إنما مركبة من حرف التي عجب ككيف ومن ما والقول الثاني هو

وهو الصحيح أن الأصل فيها ماما فزيدت عليها ما أخرى كما تزاد على إن فصار لفظهما
ماما فثقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد فابدلوا من ألف الأولى هاء فصار
مهما ومهما من أدوات الشرط والجزاء ومتى لفظت بها لم يتم الكلام ولا عقل
المعنى إلا بإيراد كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل أفعل وتكون مهما ملازمة
للفعل فإن اقتصرت على حرفين وهما مه التي بمعنى اكفف فهم المعنى وكنت ملازما
من ما اجتزأت به كف وأما الوصف الذي إذا أردف بالنون نقص صاحبه
في العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون فهو ضيف إذا
ألحقت النون استحال إلى ضيفن وهو الذي يتبع الضيف ويتنزل في التطفل
منزلة الوثيب **المقامة الخامسة عشر وتعرف بالكرجية** حكى الحارث بن همام
شتوت بالكرج لدين أقضيه وأرب أمضيه فبلوت من شتائها الكالح وصرها
النافح ما عرفني جهد البلاء وعكفني على الاصطلاء فلم أكن أزايل وجاري
ومستوقد ناري إلا لضرورة أدفع إليها أو إقامة جماعة أحافظ عليها فاضطررت
في يوم جوه مزمهر ودجنه مكفهر إلى أن برزت من كناني لمهم عناني فإذا شيخ
عاري الجلدة بادي الجردة قد اعتم بريطة واستثفر بفوطة وحوله جمع كثيف
يحواشي وهو ينشد ولا يحاشي شعر يا قوم لا ينبئكم عن فقري أصدق
من عريي وأن القر فاعتبروا بما بدا من ضري باطن حالي وخفي أمري
وحاذروا انقلاب سلم الدهر فإنني كنت نبيه القدر أوي إلى وفر وصبر

شيبُ صغري وشيبُ كبري، ونشكو كوني غداة ادري نحو الدهر سوفا لغدوه
وشنّ غارات الرزايا الغُبر، ولو يبلى تحجّلي وتبري حتى عفت داري وفاض
دري، وبار شعري في الورى وسعري، وصرت بعقوة قفرٍ وعشير غاري الطمرِ
من قشري، كانني المغزل في القرى، لادفء لسنة الوهن والصبر غير التشجع
واصطلاء الجمر فهل خصمٌ ذو وداءٍ عمر يبسرني بمطرفٍ او جمرٍ طلابةٍ
الله لا الشكر، ثم قال يا ابناء التراب والراتعين في الفراق من اولي خيرًا
فليبقِ ومن استطاع ان يرفق فليرفق فانّ الدنيا غدورٌ والدهر عثورٌ
والمكثر ندوده ضيقٌ والفهد منه صيّفٌ واني والله لطال ما ملكت
الشتاء بجانه واعددت لاصطلي قبل مواقاته وها انا اليوم يا سادتي
ساعدي وسادي وجلدي بردي وحفنتي جفنتي فليعتبر العاقل حالي
وليبادر صرف الليالي فانّ السعيد من اتعظ بسواه واستعدّ لمسراه
فقيل له قد حلوت علينا ادبك فاجلُ لنا نسبك فقال تبًّا للمفتخر بعظمٍ
نخرٍ انما الفخر بالتقى والادب لا النسب ثم انشد شعر لعمرك ما الانسانُ
الا ابنُ يومه على ما تجلى يومه لا ابن امسه وما الفخر بالعظم الرميم
وانما فخار الذي يبغي الفخار بنفسه ثم انه جلس محقوقفا واجرنثم متقفقفا
وقال اللهم يا من عمّ بنواله ودام بنواله صلّ على محمدٍ واله واعنّي على البرد
واهتوا الرواتح لحقا بوبرٍ من خصاصةٍ وبواسي بلو بتعاصيه قال

الزاوية فلما تجلى عن النفس الغيابة ولمح الالمعية حملقت عيني

نحوه وما مني لحظي يرجمه حتى استبنت انه ابو زيد وان تغريبه احبولة

صيد ولمح هوان تغربه فبادرته ولم ارتاب ان يتهكم فقال اقسم

بالشمس والقمر والزهر انه لن يستر الا من طابت خبيته واشرأبت المروءة

اليه فقلت ما عناه وان لم يدر بالقوم معناه وسألني ما يعانيه

من الرعدة واقشعرار الجلدة فعدت لفروتي بالنهار يا اخي وفي الليل

فراشي فنضوتها عني وقلت له اقبلها مني فما كنت بافرادها بحب

ثم انشد شعر من النسيج فروة اضحت من الرعدة لي جنة

البسنيها واقيا مهجتي وقي شر الانس والجنة سيكسبني اليوم ثناؤه

غد ويكسبني سندس الجنة قال فلما خلب قلوب الجماعة بافتنانه فالبرا

الفوا عليه من الفرا المنتقاة والجباب الموشاة ما اده ثقله ولم يكد يقله

فانطلق مستبشرا بالفرح مستسقيا بالمرح وتبعته الى حيث انقعب

النقبة وبدت السماء نقية فقلت له اشد ما فرهك البرد فلا تغتر

من بعد فقال ويك ليس من العدل سرعة العذل فلا تعجل بلوم هو ظلم

ولا تقف ما ليس لك به علم فوالذي نور الشيبة وطيب تربة طيبة لولم

اتعرض للجبة وصفر العيبة ثم ترح الى الفرار وتروع بالاكفهرار

وقال اما تعلم ان شيمتي الانتقال من صبا الى حميد والانعطاف

من عرو الى يد ولا دارك فدهشت لشقشقته وصدقتني وافتتني اضغاث ما انذرتني

فاعتضني عما قال الله تعالى من لغوك واسددوني بابن جزل ولهوك لجبته

جبة لثعلبية وحجبت بر الذبابة وقلت له والله لو لم اوارك ولعط غاش ولك

لما وصلت الى صلة ولا انقلبنا كفى من صلة بجاريني عن حاجتي اليك وسري

لك وعليك بان تسمح لي بيد الفروة او بعربني كابن الشتوة فنظر اليّ نظر

المعجب وانهمر انهمار المغضب ثم قال اما يد الفروة فابعد من يدا حتى

الذابح والميت الغابر واما كابن الشتوة فسبحان من طبع على ذهنك واوقى

وعاء حزنك حتى انسيت ما انشدتك بالدسكرة لابن سكرة شرحا لشتاء

وحاجه من حوايجه سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا كن وكيس وكانون

وكاس طلا بعد الكباب كس ناعم وكساء ثم قال الجواب يشفي خير من جلباب

مين فاكتف بما وعيت وانكفئ من حيث اتيت ففارقته وقد قدمت ودي

لشقوتي وحصلت على الرعية طول شتوتي المقامة السادسة والعشرون وتعرف بالاهوا

تعرف بالرسالة الرقطائية حكى الحارث بن همام قال حللت سوق الاهواز لابسا حلة

الاعوار فلبثت فيها مدة اكابد شدة وارجي يا ما مسودة الى ان رابت

مبادي المقام من عوادي الانتقام فرهنتها بعين القالي وفارقتها مفارقة

الطلل البالي وظعنت عن وشلها كبش الاثار راكضا الى المياه الغزار حتى

اذا صرت عنها مرحلتين وبعدت عنها سرى ليلتين ترآءت لي خيمة مضروبة

به وتارة يشبو به فقلت أيهما لعمر الله أنفع صدى أو أجدى على الناس هدى فلما انتهى
الى ظل الخيمة رايت غلمة دولة وشارة مرهوقة وشيخا عليه رثة سبسرولقيته
فاكرم تحيتي وحييته ثم تخاصر فضحك الي واحسن الرد علي وقال لا تعجلن
الى من تروق فاكهته وتشوق مفاكهته فجلست لاغتنام محاضرته لا لايثار
ما يحضره من سفر عن ذا به وكشر عن انيابه عرفت انه ابو زيد بحسن ملحه
وتبجح قلبه فتعارفنا وحقت بي فرحتان ساعتئذ ولم ادر بايهما انا احفى
فرحا واوفى مرحا اباستفادته من دخيرة استفاده ام بتعجب حاله بعد الحاله
فنازعتني نفسي الى ان اتعرف ختم سره واتطلع ذا عين يسره فقلت له من اين
ايابك والى من انتيابك وبما امتلأت عيابك فقال اما المقدم فمن طوس
واما المقصد فالى السوس واما الجدة التي اصبتها من رسالة اقتضيتها فاشرح
ان بي من شيء خلته وبرد على رسالته فقال دون مراحل حرب السوس اتحفني
الى السوس فخاصة اليها فهرا فعكفت بها عليه شهرا وهو يعلل كاسات
التعليل ويجري على عينيه التأميل حتى اذا احرج صدري وعيل صبري قلت له انه
لم يبق لك علة ولا لي في المقام تعلة وقد عزمت غدا ان ازجر غراب البين وارحل
عنك بخفي حنين فقال حاش لله ان اخلفك او اخالفك وما ارجأت
ان احدثك الا لاحبوك واذا كنت قد استربت بعدتي واعرضت عن السعة
مما عندي فاجنح لقصص سيرتي المستترة واضفها الى اخبار الفرج بعد الشدة

فقلت هات فما اطول طيلك واهول حيلك فقال اعلم ان الدهر العبوس

القاني الى طوس انا ابو سعيد فقير وحيد لا فتيل لي ولا نقير فلجاني صفر

اليدين الى التطوق بالدين فادّنت لسوء الاتفاق من هو عسر الاخلاق

انقطاع الدين

وتوهمت شح الثقات فتوسعت في الانفاق فما انفقت حتى تقاضى دين

لزمني حقه لانني سعفته فحرت في امري واطلعت غريمي على عسري فلم يصدق

املاقي ولا نزع عن ارهاقي بل جذبني الى القاضي ولج في اقتيادي الى القاضي وكلما

خضعت له بالكلام واستنزلت منه رفق الكرام ودعته في ان ينظرني الى مياسرة

او ينظرني الى ميسرة قال لي لا تطمع الى الانظار واحتجان النظار فوحقك ما ارى

منالك الخلاص او تسنى منالك الخلاص فلما رايت حنقه ولدده وان لا مناص

لي من ان اشاغبه ثم وانتشر لي رافعه الى والي الجرائم لا الى الحاكم في المظالم

وفضله

لما كان يبلغني من افضال الوالي ورقة القاضي وبخله فلما حضرنا باب امير

طوس السنان لا باس ولا بؤس فاسند عيشي وفاه وبيضاء والتاث

البر بسالة رقطاء وهي اخلاق سيدنا تحب وبعقوتها تلب وقربه تحف

ونايه تلف ومعلتره نسب وطيعته نصب وعربه ذكي وشهيره تالي

وطلفه زان ودؤيم بحبرات ربذهنه قلب وجرب ونعته شرف وعرب

خفيف سيد قلب مر فطن مغرب غرب عبوق محاق مسلف اعز

فتنه نابه فاصل زكي انوف مقل ان انات طبا اذ ثاب هياج مجد

وجدّ خطب محوّن . مناظم سرّه تأتلف وشآبيب جنابه تكف ونائل

يديه فاض وشحّ قلبه غاض وخلف سحابه تحتلب وذهب عبابه تجترب

من لفّ لفّه فلح وغلب وتاجر بابه جلب وخلب كفّ عن هضم ربحٍ

وبرئ من دنس عوجٍ وقرن لبابه بعزٍّ صنكب عن مذهب كبرٍ

لمن يوقّاب عند نهزة شرّ بل بعث عفة بر الطاطل فلذا عجب ونسيجه

عقائده شعقابه قلبا بها خلاب . اخلاقه غرّ رقت ونوقر فوق اذا انا ضلتم

غلاب نجح نصّ وقلا ان هفا نخل فليس بحقير جنابه لا باخل

بل باذل حزنه اذا نعته بذلا بلبه نابه . ان عضّ ازل ثلّ عزه عضاضه

بمنابه فاتحف صه نابه . وجد من لبّ وفطن وقرب وشطن ان

اذعن لفهيج زمن وجابه زمن مذ صنع شنئ لبابه حضّ بافاضته

بهتانه نعش وفرج وظاهر فانبهج وبادر فارتج وفاز بحق ابلج اعب

من سيله وقرنه اذ هز وبلى وتوّج صفاته تحتجب عفاة ارغد اخلاقه

ذا بهجة ممتد ظل خصبه فانزج ممن التمس صنوه شهبه زان بأ

طرفه بلبس خوف ربه نلبهن سيدنا فوزه بمفاخرنا ثلث وجلت

وقوته بصنائع عمت وعمت ولايم فهبحضرته خوت برقه محجلة

سبعة

من خطوته فانه نلبه ندبه شربه جلبه وحرج نوبه اثرت

وناظم فلانه يدنس برت اذا جاش لخطبه فلا يوجد نارلا ثم فش

ثم بالمال فإن جبر فلك خير منقلب وحليك رباطا مد منك هذا ثم نفث

ووثقه قد قرضب مغلقه خشوع وجلبابه خلق ونذله لو غره غاشم

يستجشم بحق لازم فإن من سيدنا بكفه بهبات كفته فوشح مجد فاق

ونائل بحر فبكى من ونابه لاخلت سجايا خليقة يقصدها شائم بقرى من رب

املي حبا ابنتي قال فلما استشف الأمير إليها ولمح السر المودع فيها

أوعز في الحال بقضاء ديني وفصل ما بين خصمي وبيني ثم استخلصني

لمثافنته واختصني بمنافثته فلبثت بضع سنين أنعم في ضفافه وأرتع

في ربيع دارته حتى إذا انحسرت مواهبه وأطال ذيلي ذهبه تلطفت في الارتحال

على ما ترى من حسن الحال قال فقلت له اشكر المولى الذي أتاح لك لقيان السمح

الكريم وأنقذك به من ضغطة الغريم فقال الحمد لله على سعادة الجد بالخلوص

من الخصم الألد ثم قال أيما أحب إليك أن أحذيك من العطاء أم أتحفك

بالرسالة الرقطاء قلت املاء الرسالة أحب إلي فقال هو وعيشك أخف

فإن تحمل ما يلج في الآذان أهون من تحمل ما يخرج من الأردان ثم كأنه

أنف واستحى فجمع لي بين الرسالة والحبا ففرقت من بينهن وفصلت

عنه بعينهن وأبت إلى وطني قرير العين بما حويت من الرسالة والعين المقامة

السابعة والعشرين في الليالي الوبرية وتعرف بالوبرية في نقدنا ناثر حكى الحارث بن همام

قال ملت في ريق زماني الذي غبر إلى مجاورة أهل الوبر لآخذ أخذ نفوسهم

سهم الاثبية والسهم العربية فشمرت تشمير من لا ابا له وجعلت

اخبط في الارض غورًا ونجدًا الى ان قضيت هجيرًا من اللاغية ونغرًا

من الثاغية ثم اويت الى عرب ذوي اقيال وابناء اقوال فاوطنوني

امنع جناب وفلّوا عني حد كل ناب فلبثت عندهم ولا امرح حصاني

سهام الى ان اضللت في ليلة منيرة البدر لقحة عزيزة الدر فلم اطب

نفسًا بالغاء طلبها والغاء حبلها على غاربها فشددت فرسًا عضانا

واعتقلت لدنًا خطارًا وسريت ليلتي جمعاء اجوب البيداء واخترق

كل شجراء ومرداء الى ان نشر الصبح رايته وحيعل الداعي الى الصلوة نزلت

عن متن الركوبة لاداء المكتوبة ثم جلت في صهوتها وزجرت من نجوتها

وسرت لا ارى زاوية الا قفوتها ولا نشزًا الا علوته ولا واديًا الا اجتزته ولا

راكبًا الا استطلعته جليتي مع ذلك يذهب هدرًا ولا يجدي وجدي صعدًا الى

ان حانت سكرة عمى ولفح هجير يذهل غيلان عن مي وكان يومًا اطول

من ظل القناة واحر من دمع المقلاة فايقنت اني ان لم استكن من الوقدة

واستجم بالرقدة ادنفني اللغوب وعلقت بي شعوب فعجت الى سرحة

كثيفة الاغصان وريقة الافنان لاغور تحتها الى المغيربان

فوالله ما استروحت نفسي ولا استراح فرسي حتى نظرت الى سلحج

في هيئة سائح وهو يسعى نحوي ويشتد الي فكرهت تناجزه

الى مكاني واستعذت بالله من شر كل مفاجي ثم توجبت أن يصيبني

مُنشدًا أو يُنبيني مُرشدًا فلما اقترب من سرحتي وكاد يحل بباحتي القمر

شيخنا السروجي متخاجرا بجرابه ومتطلبا أهبة جوابه فاستخبرته إذ ورد واستبنت

ما شرد ثم استوضحته من أين أتى وكيف بجره وبجره فأنشد بديها ولم يقل إيها

شعر قل لمستطلع دخيلة أمري • لك عندي كرامة وعزازه • أنا ما بين جوب أرض فأرض •

وسُرى في مفازة فمفازة • زادي الصيد والمطية نعلي • وجهازي الجراب والعكازه •

فإذا ما هبطت مصرًا فبيتي • غرفة الخان والنديم جرازه • ليس لي ما أسى أن فات

أو أحزن إن خان الزمان ابتزازه • صرت آمن البيت خلوا من الهم وبعدي عن الأسى

صحانه • أرقد الليل ملء جفني وقلبي • بارد من حرارة وحزازه • لا أبالي من أي كأس

تقوّت • ولا ما حلاوة من مرارة • لا ولا أستجيز أن أحمل الذل عجزًا إلى دمشق •

وإذا مطلب كسى حلة العار • سعدًا لمن يروم نجازه • ومتى اهتز للدناءة نكس عاف

طبعي لطباعه واهتزازه • فالمنايا ولا الدنايا وخير • من ركوب الخنا ركوب الجنازه •

ثم رفع إلي طرفه وقال للأمر ما جدع قصير أنفه فأخبرته خبرًا ما فتي السارق وعاقه

في نوى والنابعه فقال دع الالتفات إلى ما فات والطلاح إلى ما طاح ولا تأس

على ما ذهب لو أنه واد من ذهب ولا تسل من مال عن ربعك واصرم نار

شبابك ولو كان ابن بوحك وشقيق روحك ثم قال هل لك في أن تقيل

وتحامى الثقال والثقل فإن الأبدان أنضاء تعب والهاجرة ذات لهب و

ولن يصقل الخاطر وينشط الفاتر كمناقلة الخواطر خصوصاً في شهري ناجر

فقلت ذاك إليك ما أريد أن أشق عليك فافترش التراب واضطجع وأطاعني

أن هجع وارتفقت على الحرس ولا النعاس قد خذلني السهر لما نمت إلا السنة فلم

أفق إلا والليل قد دجا والنجم قد بلج ولا الترجي ولا المسرج فبت بليلة

نابغية وأحزان يعقوبية أسا والوجوم وأساهر النجوم أفكر تارة في

رحلي وأخرى في رحلتي إلى أن وضح لي عند افترار ثغر الصبح وجه الحق

راكب يخد في الدو فلمعت إليه بثوبي ورجوت أن يعرج إلى صوبي فلم يعبأ

بالماعي ولا وعى لناعي بل سار على هينته وأصماني بسهم إهانته وقصدت

إليه لأستردفه واحتمل تغطرفه فلما أدركته بعد الأين وأجلت فيه

مسرح العين وجدت ناقتي مطيته وضالتي لقطته فما كذبت أن أدرته

عن سنامها وجاذبته طرف زمامها وقلت أنا صاحبها ومضلها ولي

رسلها ونسلها فلا تكن كأشعب فتتعب وتشغب فأخذ يلمح ويصوي

وينجح ولا يستحيي وبينا هو يزور ويلين ويستأسد ويستكين إذ غشينا

أبو زيد لابساً جلد النمر وهاجماً هجوم السيل المنهمر فخفت والله أن يكون

يومه كأمسه ويبدو مثل نحسه فألحق بالقارظين وأصير خبراً بعد عين

فلم أر إلا أن ذكرته العهود المنسية والفعلة الأمسية وناشدته الله في

البوء بالتلافي لما فرط بالتلاف فقال معاذ الله أن أجهز على مكلوم أو أصلي

لبصروي بل لابنتك لأخبر كنه حالك واكون عينا لك فمكن منه وانا

جاثى وانجاب استحاثى واطلعته طلع القصة ونرفع صاحبي بالبهجة فنظر اليه

نظر الليث الغريب الى الفريسة ثم اشرع تلك الرمح واقسم له بمن انار الصبح

لئن لم ينج مصاحبا الباب ويرض من الغنيمة بالإياب ليوردن سنانه وريده

وليفجعن به وليده ووديده فنبذه نبذ القلامة وحام واقلت لاحصا

فقال لي ابو زيد نشأتها وشتمتها فانها رحمة لحسبتين وقيل اهون من ولين

قال الحارث بن همام فحرت بين لوم ابي زيد وشكره ونظه نفعه بعثره مكابدة

بذات صدرها وكتمت ما اثار سري فقال لي بوجه طلق ولسان ذليق شعر

يا اخي الحامل ضيمي دون اخواني وقومي ان يكن ساءك امسي فلقد سرك يومي

فاغتفر ذا لهذا واطرح شكري ولومي ثم قال ما اثق وانت مثق فكيف تقوى

وعلى تقريب الارض بركض طرفه اثما دكين فيا عهد انا فقدت مطيتي وعلا

الطيتي حتى وصلت الى حلتي بعد اللتيا والتي تفسير ما اورد في هذه المقامة

من الالفاظ اللغوية والامثال العربية قوله زمان تجاوزته ودابقه وقد

يخفف نبها الدبق وقوله اخذ نفوسهم يعني افزعهم يقال منه احد

واحذه واحذه بكسر الهمزة وضمها والجمع نحو المائة من الابل والثلة القطيع من الغنم

والراغية الابل والثاغية الشاة ومنه قولهم ما له راغية ولا ثاغية اي ناقة

ولا شاة ولدا انفا بانا يحلقون للملوك اذا غابوا وقوله انساء اموالي بحقا

يقال للمنطيق انه ابن قوّاله وقوله فندّت منها عصا الكندرة الوثوب على
ظهر الفرس الحضار والحضير الغنيمة العدو مأخوذ من الحضر فهو لعدو وقوله
افترى كل نجراء ومرداء لا فتراء تتبّع الارض الشجراء ذات الشجر والمرداء الخالية
من النبات ومنه اشتقاق الامرد لخلوّ وجهه من الشعر وقوله حيعل الداعي
الى الصلاة يعني به قول المؤذن حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح والمصدر الحيعلة
ومثله من المصادر الهيللة والحوقلة والحمدلة والجعفلة والبسملة والحسبلة والسبحلة
فالهيللة حكاية قول لا اله الا الله والحمدلة حكاية قول الحمد لله والحوقلة
حكاية قول لا حول ولا قوة الا بالله والبسملة حكاية قول بسم الله والحسبلة
حكاية قول حسبنا الله والسبحلة حكاية قول سبحان الله والجعفلة حكاية قول
جعلت فداك وقوله فنزلت عن متن الركوبة يعني المركوبة يقال ناقة ركوب
وركوبة وحلوب وحلوبة وقتوبة فمنها ركوبهم والصهوة مقعد الفارس
من ظهر الفرس والتحوّي الخطوة والجزع قطع الوادي عرضا وقوله صكة عمي
يعني به قائم الظهيرة وقد اختلف في اصله فقيل كان عمي رجلا من عدوان اغار
قوما عند قائم الظهيرة وصكّهم صكة شديدة فصار مثلا لكل من جاء في
ذلك الوقت وقيل المراد به الظبي لانه يسدر في الهواجر فيصطك بما يستقبله
كالمصطكّ الاعمى ثم صغّر الاعمى تصغير الترخيم فقيل عمي كما صغّروا اسود
وازهر فقالوا سويد وزهير وقوله وكان يوما اطول من ظل القناة

يوصف اليوم الطويل بظل القناة كما يوصف اليوم القصير بابهام القطاة
وابهام الحبارى والعرب تزعم ان ظل الرمح اطول ظل ومنه قول الشاعر شعر
ويوم كظل الرمح قصّر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر وقوله احرّ من
دمع المقلاة المقلاة هي التي لا يعيش لها ولد فدمعها ابدا حار لحزنها على
ولدها لانه يقال ان دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة ولهذا قيل
للمدعو له اقرّ الله عينك ماخوذ من القرّ وهو البرد وقيل للمدعو عليه اسخن
الله عينه ماخوذ من السخونة وهي الحرارة وقيل ان اقرار العين ماخوذ
من القرار فكانه دعا له ان يرزق ما يقرّ عينه حتى لا يطمح الى ما لغيره وكانت
الجاهلية تزعم ان المقلاة اذا وطئت على قتيل شريف عاش ولدها والى هذا
اشار بشر بن ابي خازم في قوله شعر تظل مقاليت النساء يطأنه يقلن الا
يُلقى على المرء مئزر وقوله علقت به شعوب يعني المنية ولا يدخل هذا الاسم
اداة التعريف مثل دجلة وعرفة وقوله اغوّر بحثها الى المغربان التغوير
النزول للقائلة كما ان التعريس النزول اخر الليل للتهويم والاستراحة والمغربان
تصغير مغرب كأن قياس تصغيره مغيرب الا ان العرب الحقت اخره الفا
ونونا على طريق الشذوذ وقوله مضطبنا الهبير بجوابه الاضطبان أن
يجعل تحت ضبنه والاحتضان ان يحمل الشي تحت حضنه والضبن ما بين
الابط والكشح واقل ما يشمله الابط ثم الضبن وهو اسفل الابط ثم

ثم الحصن وهو عند الجنب والجواب مصدر جاب يجوب جميع المصادر التي جاءت
على وزن تفعال هي بفتح التاء الا قولهم تبيان وتلقاء الاحمر وقوله بجره
يريد بجميع امره الظاهر والباطن واصل البجر العقد التي تنشر في العصب والبجر
العقد التي تنشر في البطن وقوله ولم يقل ايها اي لم يأمرني بالكف يقال
للمستزاد ايه ولمن يستكف ايها وقوله لامر ما جدع قصير انفه قصير هذا
مولى جذيمة الابرش وكان جدع انفه بيده حين قتلت الزباء مولاه ثم
اتاها واوهمها ان عمرو بن عدي ابن اخت جذيمة هو الذي جدع انفه
اتهاما له بانه غش خاله جذيمة اذ اشار عليه بقصدها فحظي بهذا القول
عندها حتى جهزته مرارا الى العراق فكان يأتيها بالطرف من الحلل فجعل
في اخر نوبة الرجال في الغرائر مشادين وتوصل الى قتلها والاخذ بثار مولاه
منها وقصته مشهورة وقوله ولو كان ابن بوح يعني ولد الصلب يقال
الى انه ولد في اخر النار وهي جمرتها وجمعها بوح وقيل ان البوح من اسماء
الذكر وقوله في شهري ناجر هما شهرا الحر وقيل انهما حزيران وتموز وانكر ابو بكر
محمد بن دريد هذا القول وقال هما طلوع النجمين وقوله بت بليلة نابغية
اومى الى قول النابغة فبت كاني ساورتني ضئيلة من الرقش في انيابها السم
ناقع وقوله المعت الشروب يعني اشرب الماء قليلا من المع ولم يجز وقوله يلدغ
ويصوي هذا مثل يضرب لمن يظلم ويشكو يقال ضاق الهر يصغي صبيا

وصِيباً بفتح الصاد وكسرها اذا صوّتت وكذلك الفرخ وما احسن قول ابن
الرومي في هذا المعنى شعر تشكى المحب وتشكو وهي ظالمة كالقوس تصمي الرمايا
وهي مرنان وقوله تمرة وبلين هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم يذل ويقال ان
اصله ان الجدي تمرة وهو صغير فاذا كبر لان وقوله لا يباع جلد النمر هذا المثل
يضرب للمنيع الحرز لان النمر اجرأ سبع واقله احتمالا للضيم ومن هذا تنمّروا لهم
تنمّر اي صار مثل النمر وقوله فالحق بالقارظين الاصل في القارظ ان الذي
يجني القرظ وهو النبات المدبوغ به والقارظان المشار اليهما احدهما من عنزة
والآخر من النمر بن قاسط وكانا خرجا يجنيان القرظ فلم يرجعا ولا عرف لهما
خبر فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى ايابه واليهما اشار ابو ذؤيب في قوله شعر
وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب لوائل وقوله القعلة
الاسبية هذا من شواذ النسب لان القياس ان يقال في النسب الى اسى
بفتح الهمزة وقد كسرها هنا في النسب وقوله حروري سمومي الحرور الريح الحارة ليلا
والسموم الريح الحارة نهارا وقد يقام احدهما مقام الاخرى مجازا وقوله ليث
العريسة يعني مأوى السبع يقال عِرّيس وعِرّيسة باثبات الهاء وحذفها
كما يقال غاب وغابة وعرين وعرينة فاما الغيل والخيس فلم يلحقوا بهما
الهاء وقوله افلت وله حصاص هذا المثل يضرب لمن نجا من هلكة اشفى عليها
وكاد يهوي فيها والحصاص العدو وقيل انه الضراط وقوله ويل اهون من ويلين

ويلين هذا المثل يضرب لمن ناله بعض المكروه ومثله قول الشاعر شعرا ابا منذر
افنيت بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من بعض وقوله انا تئق وانت مئق
فكيف نتفق هذا المثل يضرب للمتنافيين في الخلق فالتئق هو الممتلي
غيظا مأخوذ من قولهم اتأقت الاناء اذا ملأته والمئق هو الباكي فكان
التئق يسرع الى الشر لغيظه والمئق يضيق ذرعا باحتماله ومثله قول بعضهم
انا كالف وانت صالف فكيف نأتلف وقوله لطيتي يعني لقصدي ووجهي
وقد يقال فيها طية بالتخفيف وقوله اللتيا والتي اللتيا تصغير التي وهو
على غير قياس التصغير المطرد لان القياس ان يضم اول الاسم اذا صغر وقد ترك
هذا الاسم على فتحته الاصلية عند تصغيره الا ان العرب عوضته عن ضم اوله
بان زادت الفا في اخره واجرت اسماء الاشارة عند تصغيرها على حكمه فقالت
في تصغير الذي والتي اللذيا واللتيا وفي تصغير ذا وذاك ذيا وذياك وقد اختلف
في معنى قولهم بعد اللتيا والتي فقيل هما اسمان من اسماء الداهية وقيل المراد صغير المكروه
وكبيره المقامة الثامنة والعشرين وتعرف بالسمرقندية في الخطبة العاطلة عن
الاعجام اخبر الحارث بن همام قال استبضعت في بعض اسفاري الفنك
فقصدت به سمرقند وكنت يومئذ قويم الشطاط حموم النشاط ارمي
عن قوس المراح الى غرض الافراح واستعين بماء الشباب على ملاح
السراب فوافيتها بكرة عروبة بعد ان كابدت الصعوبة فسعيت وما

وبقيت الى ان حصل البيت فلما نقلت المرشدي وملكت قول عندي

عجت الى الحمام على الاثر فامطت عني وعثاء السفر واغتنمت غسل الجمعة

بلا ريث ثم بادرت في هيئة الخاشع الى مسجدها الجامع لاحظى بقرب

الامام واتقرب بافضل الانعام فخطبت بان جليت في الحلبة وتخيرت

المركز لاستماع الخطبة ولم يزل الناس يدخلون في دين الله افواجا ويردون

فرادى وازواجا حتى اذا اكتظ الجامع بحفله وطفل تساوي الشخص وظله

برز الخطيب في اهبته متهاديا خلف عصبته فارتقى في منبر الدعوة الى ان

مثل بالذروة فسلم مشيرا باليمين وجلس حتى ختم نغم المؤذنين ثم قام

وقال الحمد لله الممدوح الاسماء المحمود الالاء الواسع العطاء المدعو لحسم

اللأواء مالك الامم ومصور الرمم واهل السماح والكرم ومهلك عاد وارم

ادرك كل سر علمه ووسع كل مصر حلمه وعم كل عالم طوله وهد كل مارد

حوله احمده حمد موحد مسلم وادعوه دعاء مؤمل مسلم وهو الله لا اله الا هو

الواحد الاحد العادل الصمد لا ولد له ولا والد ولا ردء معه ولا مساعد ارسل

محمدا للاسلام ممهدا وللملة موطدا ولادلة الرسل مؤكدا وللاسود والاحمر

مسددا وصل الارحام وعلم الاحكام ووسم الحلال والحرام ورسم الاحلال والاحرام

كرم الله محله وكمل الصلوة والسلام له ورحم آله الكرماء واهله الرحماء

ما همر ركام وهدر حمام وسرح سوام وسطا حسام اعملوا رحمكم الله عمل

عن الصلحاء واكدحوا لمعاد كدح الاصحاء وادرعوا اهوالكم ردع الاعداء وعدوا

للرحلة اعداد السعداء وادرعوا حلل الورع وداووا علل الطمع وسووا

اود العمل وعاصوا وساوس الامل وصوروا لاوهامكم حلول الاهوال وحلول

الاهوال ومساورة الاعلال ومصارمة المال والآل واذكروا الحمام

وسكرة مصرعه والرمس وهول مطلعه واللحد ووحدة مودعه والملك وروع

سؤاله ومطلعه والحوا الدهر ولوم كره وسوء عاله ومكره كم طمس

معلما ودمر مطعما وطحطح عرمرما ودمر ملكا مكرما همه سلك المسالح

وسح المدامع وادراك المطامع فاداء السمع والسامع عم حكمه الملوك

والرعاع والمسود والمطاع والمحسود والحساد والاساود والاساد

ما هو للآمال وعكس الآمال ولا وصل الاوصال وكلم الاوصال ولا

سد الاوساد ولوم واساء ولا اصح الا ولدا للآلاء وودع الاوداء الله الله

وعاكم الله الام مداومة اللهو ومواصلة السهو وطول الاصرار وحمل الاوزار

واطراح كلام الحكماء ومعاصاة الرسل السماء اما الدهر حصادكم والمدر مهادكم

اما الحمام مدرككم والصراط مسلككم اما الساعة موعدكم والساهرة موردكم

اما اهوال الطامة لكم مرصدة اما دار العصاة الحطمة الموصدة حاميهم

مالك ورداؤهم حالك وطعامهم السموم لا امال اسعدهم ولا ولد ولا عدد

حماهم ولا عدد الا رحم الله امرءا ملك هواه وام مسالك هداه واحكم

طاعة مولاه وكدّ لروح مأواه وعمل ما دام العمر مطاوعًا والدهر موادعًا

والصحة كاملة والسلامة حاصلة والا دهمه عدم المرام وحصر الكلام

والمام الآلام وحموم الحمام وهدوء الحواس ورواس الارماس اها لها حسرة

اهمها موكد وامدها سرمد ومحارسها مكمد ما لوالهها حاسم ولا لسدمه

راحم ولا لراحا عراه عاصم الهمكم الله احمد الالهام واردأكم رداء الاكرام

واحلكم دار السلام واسئله الرحمة لكم ولاهل ملة الاسلام وهو اسمح

الكرام والمسلم والسلام قال الحارث بن همام فلما رايت الخطبة نخبة

بلا سقط وعروسًا بغير نقط دعاني الاعجاب بنمطها العجيب الى استجلاء

وجه الخطيب فاخذت اتوسمه جدًا واقلب الطرف فيه جدًا الى ان وضح

لي بصدق العلامات انه شيخنا ذو المقامات ولم يكن بدّ من الصمت في

ذلك الوقت فامسكت حتى تحلل من الفرض وحل الانتشار في الارض ثم

وجهت تلقائه وابتدرت لقاءه فلما لحظني خفّ في القيام واحفى

ثم استصحبني الى داره واودعني خصائص اسراره وحين انتشر جناح

الظلام وحان ميقات المنام احضر اباريق المدام معكوفة بالفدام فقلت

اتحسوها امام النوم وانت امام القوم فقال مه انا بالنهار خطيب

وفي الليل اطيب فقلت والله ما ادري اعجب من تسليك عن ناسك

وصدك كاسك فاشاح بوجهه عني ثم قال اسمع مني شعر لا تبك الفا نأى ولا دارا

دارِ ودُر مع الدهر حيث ما دارا واتخذ الناس كلهم سكنا ومثّل الارض كلها دارا

واصبر على خلق من تعاشره وداره فاللبيب من دارا ولا تضع فرصة السرور فما

تدري ايوما تعيش ام دارا واعلم بانّ المنون جائلة وقد ادارت على الورى دارا

واقسمت ان لا تزال قانصة ما كرّ عصر الحياة وما دارا فكيف تنجو من الحبالة من

لم ينج كسرى منها ولا دارا قال فلما انتشينا الكؤس وطربت النفوس جرّعني

اليمين الغموس على ان احفظ عليه الناموس فاتبعت مرمه ووعيت نغمه

ونزلته بين الملاء منزلة الفضيل وسدلت الذيل على مخازي الليل ولم يزل

دابه ودابي الى ان نهتا ابا بن فودعته وهو مصرّ على التدليس ومسترسل

الحمد لله المقامة التاسعة والعشرون وتعرف بالواسطية

وحكى الحارث بن همام قال لجاني حكم دهر قاسط الى ان انتجع ارض

واسط فقصدتها وانا لا اعرف بها سكنا ولا املك فيها وطنا ولما حللتها حلول

الحوت بالبيداء والشعرة البيضاء في اللمة السوداء قادني الحظ

الناقص والجد الناكص الى خان ينزله شذاذ الآفاق واخلاط الرفاق

وهو لنظافة مكانه وظرافة سكانه يرغّب الغريب في ايطانه وينسيه هوى

اوطانه فاستفردت منه بحجرة ولم اماكس في اجرة فما كان الا كلمح

او خطفة حتى سمعت جاري بيت بيت يقول لنزيل في البيت قم

يا بنيّ لا قعد جدّك ولا قام ضدّك واستصحب ذا الوجه البدعي اللون

الدرّي والاصل النقي والجسم الشقي الذي نُحِف ونشر وسُجن وسُحر وسعى
وعُظِم وادخل النار بعدما الظم ثم اركض الى السوق ركض المشوق فقايض
به اللائح الملقح المفسد المصلح المكحل المفرح المعنى المروح ذا الزفير المحرق
والجبين المشرق واللفظ المقنع والنيل الممنع الذي اذا طرق رعد وبرق ونح
بالحرق ونفث في الحزن قال فلما قرأت شقشقة الهادر ولم يبق الا هدر
الصادر برز فتى يميس وما معه انيس فرايته عضلة تلعب بالعقول وتغري
بالدخول في الفضول فانطلقت في اثر الغلام لاخبر مجرى الكلام فلم يلبث
سعي العقارب ويتفقد نصابه الحوانيت حتى انتهى عند الرواح الى حانة
القداح فناول بايعها رغيفا وتناول منه مزجا لطيفا فعجبت من فطانة
المرسِل والمرسَل وعلمت انهما سرحية وان لم اسئل وما كذبت ان
بادرت الى الخان منطلق العنان لانظر كنه مهمي وهل فرطس قدا
سهمي فاذا انا في الفراسة فارس وابو زيد بوصيد الخان جالس فتهادينا
بشرى الالتقاء وتفاوضنا خبر الاصدقاء ثم قال ما الذي نابك
حتى زاملت حبابك تلك دهر ماض وجود فاض فقال والذي
انزل المطر من الغمام واخرج الثمر من الاكمام لقد فسد الزمان وعم العدوان
وعدم المعوان والله المستعان فكيف انت وعلى اي وصف اجلك
فقلت تحت الليل نيصا وادجت فيه حيصا فاطرق يفكر في الارض

رض ويفكر في ارتياد الارض والغرض ثم اهتز هزة من اكبر فقد اوجدت
له مرض وقال قد علق بقلبي ان نصاهر من يأسو جراحك ويريش جناحك فقلت
وكم جامع بين غل وقل ومن الذي يرغب في صل بن صل فقال انا المشير
بك واليك والوكيل لك وعليك مع ان دين القوم جبر الكسير وفك
الاسير واحترام العشير واستنصاح المشير الا انهم لو خطب اليهم ابرهيم بن
ادهم او جبلة بن الايهم لما زوجوه الا على خمسمائة درهم اقتداء بما اصدق
الرسول صلى الله عليه واله ازواجه وعقد به انكحة بناته على انك لن تطالب
بصداق ولا تلجأ الى طلاق ثم اني سأخطب في موقف عقدك ومجمع
حشدك خطبة لم يفترع ذروة سمع ولا خطب بمثلها في جمع قال الحارث
بن همام فانذهلت بوصف الخطبة المتلوة دون الخطبة المجلوة حتى قلت
له قد وكلت لبك بهذا الخطب فابتره تدبير من طب لمن حب فنهض مهرولا
ثم عاد متهللا وقال ابشر باعتناب التهمم واجتلاب الذر فقد تليت العقد
واكفلت النقد وكان قد ثم اخذ في قرمدة اهل الخان واعداد حلواء الخوان
فلما مد الليل اطنابه واغلق كل ذي باب بابه اذن في الجماعة الا احضروا
في هذه الساعة فلم يبق فيهم الا من لبى صوته وحضر بيته فلما اصطفوا
لديه واجتمع الشاهد والمشهود عليه جعل يرجع الاصطرلاب ويضعه
ويلحظ التقويم ويدعه الى ان نعس القوم وغشي النوم فقلت يا هذا ضع

الخان

الفارس المرام وخلص لناس من الناس فنظر نظرة في النجوم ثم انقبض من عظائم
الوجوم وامسك بالطومار والكتاب المسطور لينكشف سر هذا الامر المستور ولينشر
ذكره الى يوم النشور ثم انه جثا على ركبته واسترعى الاسماع لخطبته وقال
الحمد لله الملك المحمود المالك الودود مصور كل مولود ومآل كل مطرود ساطح
المهاد وموطد الاوطاد ومرسل الامطار ومسهل الاوطار عالم الاسرار ومدركها
ومدمر الاملاك ومهلكها ومكور الدهور ومكررها ومورد الامور ومصدرها
عم سماحه وكمل ركامه وهمل وطاوع السؤال والامل واوسع
المرمل وارمل احمده حمدا ممدودا واوحده كما وحده الاواه وهو الله
لا اله للامم سواه ولا صادع لما عدله وسواه ارسل محمدا صلى الله عليه وآله
علما للاسلام واماما للحكام ومسددا للرعاع ومعطل احكام ود وسواع
اعلم وعلم وحكم واحكم واصل الاصول ومهد واكد الوعود واوعد اوصل
الله له الاكرام واودع روحه السلام ورحم آله واهله الكرام ما لمع آل وملع
دال وطلع هلال وسمع اهلال اعملوا رعاكم الله اصلح الاعمال واسلكوا مسالك
الحلال واطرحوا الحرام ودعوه واسمعوا امر الله وعوه وصلوا الارحام وراعوها
وعاصوا الاهواء واردعوها وصاهروا اهل الصلاح والورع وصارموا رهط
اللهو والطمع ومصاهركم اطهر الاحرار مولدا واسراهم سؤددا واحلاهم موردا
واصحهم موعدا وها هو امكم وحل حرمكم مملكا عروسكم المكرمة وماهرا لها كما

كما مهر الرسول ام سلمه وهو اكرم صهر ودع الاولاد وملك ما اراد وما سها

ولا وهم ولا وكس ملاحمه ولا وصم اسال الله لكم احماد وصاله ودوام اسعاده

والهم كلا منا ومنكم اصلاح حاله والاعداد لمعاده وله الحمد السرمد والمدح

لرسوله محمد فلما فرغ من خطبته البديعة النظام العرية من الاعجام عقد

العقد على الخمس المئين وقال لي بالرفاء والبنين ثم احضر الحلواء التي كان اعدها

وابدى الابهة عندها فامتدت ايدي الجماعة عليها وكنت اهوي بيدي اليها

فزجرني عن المواكلة وانتصب للمناولة فوالله ما كان باسرع من نشح الاحان

حتى خر القوم للاذقان فلما رايتهم كاعجاز نخل خاوية او صرعى بنت حانة

علمت انها احدى الكبر وام العبر فقلت يا عدي نفسه وعبيد فلسه اعددت

تصغير عدو

للقوم حلوا ام بلوى فقال لم اعد خبيص البنج في صحاف الخلنج فقلت اقسم

بمن اطلعها نيرا يهتدي بها السارين طرا لقد جئت شيئا نكرا وابتنيت

في الخزايات ذكرا ثم جرت فكرتي في صيور امري وخيفة من عدوى عره حتى

صيور الامر عاقبته

طارت نفسي شعاعا وارتعدت فرائصي ارتياعا فلما راى استطارة فرقي واستشاطة

قلقي قال لما هذا الفكر المرمض والروع المومض فان يكن فكرك في اجلي من

اجلي فانا الان ارتع واطفر واقوي هذه البقعة مني واقفر وكم مثلها فارقتها

وهي تضج وان يكن نظرك لنفسك وحذرا من حبسك فتناول فضالة الخبيص

وطب نفسا عن التنغيص حتى تامن المستعدي والمعدي ويمهد لك المقام بعدي

والا فاما المقترب الآن تحتجب بحجر ثم عمد لاستخراج ما في الجيوب من الاكياس

والمخبوء وجعل يستخلص خالص التبر كل مخزون ومخبأة كل مندمج ومدفون حتى

غادرها القاع صفصفا كمعظم استخرج محجة ثلثاها من ما اصطفاه وندم وشمر عن ذراعيه

ويحرم اقبل على اقبال من لبس الصفاقة وخلع الصلافة وقال هل انت في المصاحبة

الى البطيحة لاصلك بجزوى مليحة فاستثبت لربا النفع جملا مباركا الا ابن ما كان ولم

يحمله من خان وخان اذ لا امثل لي بنكاح حرتين ومعاشرة ضرتين ثم قلت له

فوالى المطبع بطاعة الكامل له بصاعه قد كفتني الاولى بحرا فاطلب الحرة الاخرى

فتبسم من كلامي وقال لا تلزمني فلو بت عندي عذاري وابيت لي ان زوراي فقابلني

بانقباضي وتجلى له اعراضي انشد شعرا باصابه عن الموده والرهان اصرفه ومعنفي

في حوبه من جاورت تضيف الصوف لا تلحني فيما ابيت فتق بهم عروف ولقد بلوتهم فلم

ارهم يراعون الضيوف ويلوبهم فوجدتهم لما سبكتهم زيوف مابهم الا مخفان

تمكن او محوف لا بالصدق ولا الوفي ولا الحنى ولا العطوف فوثبت فيهم وثبة

الذئب لضرى على الخروف وتركتهم صرعى كانهم سقوا كاس الحتوف وعكفت فيها قشوه

بيده وهم رغم الانوف ثم اشتنبت بعضهم حلو الجنانى والقطوف ونهبا لما خلفت مكلوم

هشا خلفي بطوف وتركتها رايات الارائك والدرانك والسجوف ولكم امتطيت تجالي

ما لبس يلغ بالسيوف ووقفت في هول تراع الاسد منه من الوقوف ولكم سفكت

كفى

وكم فتكت وكم هتكت حتى اوبقت وكم اراق لخاطر مولقا الذنوب كم خفوف

لكنّي اعددتُ حسن الظن بالمولى الرؤوف قال فلما انتهى الى هذا البيت لجّ في الا

والظّ بالاستغفار حتى استمال هوى قلبي المنحرف ورجوتُ له ما يُرجى للمعترف

المعترف ثم انه غيّض دمعه المنهلّ وتأبط جرابه واستقلّ وقال لابنه احمل

الباقي والله الواقي قال الحارث فلما رأيتُ انسياب الحيّة والجنّة

وانتهاء الداء الى الكيّ علمتُ ان تربّصي بالخان محلّة للهوان فضممتُ رحلي

وجمعتُ للرحلة ذيلي وبتّ ليلتي اسري الى الطيب واحتسب الله تعالى على الخطيب

المقامة الثلاثون وتعرف بالصورية حكى الحارث بن همام قال ظعنتُ

من مدينة المنصور الى بلدة صور فلما حصلتُ بها ذا رفعة وخفض ومالك

رفع وخفض تقتُ الى مصر توقان السقيم الى الاساة والكريم الى المواساة

فرفضتُ علائق الاستقامة وقضضتُ عوائق الاقامة واعروريتُ

ابن النعامة واجفلتُ نحوها اجفال النعامة فلما دخلتها بعد معاناة الأين

ومداناة الحين كلفتُ بها كلف النشوان بالاصطباح والحيران بتنفس الصباح

فبينما انا يوما بها اطوف وتحتي فرس قطوف اذ رأيتُ عرجاء من الخيل

مصبرة كمصابيح الليل فسألت لانتجاع الخبر عن العصبة والوجهة فقيل ان القوم

شهود واما المقصد فاملاك مشهود فحدتني سمعة النشاط على ان سرتُ

مع الافراط لافوز بحلواء اللقاط واحوز حلواء السماط فافضينا بعد مكابدة

العناء الى دار رفيعة البناء وسيعة الفناء تشهد لبانيها بالثراء والسناء

فلما أن أنا عن صهوات الحمول وعقلنا الأقدام المتخول رأيت دهليزاً أعجل الأبصار
مزخرفة ومكللاً بمخاريق معلقة وهناك شخص على طبقة فوق دكة الطبقة قرأ بنى
عنوان الصحيفة وهراه هذه البدعة الطريفة ودعاني النظر بتلك المناصل إلى أنه
عمدت لذلك المجالس فعرجت عليه مصرفاً الأقدار لم عرفني من رب هذه الدار فقال
ما لها معين ولا صاحب مبين إنما هي مصطبة المتقين والمدرسين ودرجة
المتقشفين والمجاورين ضلت في نفسي إنا لله على ضلالة السعي واحتمال الرحى
وهممت في الحال بالرجوع لكنني استحييت العود من فوري والقهقرة دون غرضي
فولجت الدار متجرعاً الغصص كما يلج العصفور القفص فإذا بها أرائك مفروشة
وطنافس مفرشة ونمارق مصفوفة ونجوم مرصوفة وقناديل الملك تبيت
في بردة وبهمس بين حفدة تخين جالس كأنه ابن ماء السماء نادى وما من
مثل الأخماد وحرمة سامان أستاذ الأستاذين وقدوة الشحاذين لا عمه هذا
حاله
العقد المجل في هذا اليوم الأغر المحجل إلا الذي جل وخاب وشب في الكدية وشاب
فعجبت من هذا الضمير فما أشار إليه وإذا نوافي إحضار المنصوص عليه فزخ شيخ
قد مال بالمتوان قامته ونور القتيان نعامته فنا شرف الجماعة بإقباله وبادرت
إلى سعيدنا ادام الجلس على ذريته وسكتت الضوضاء لهيبته ازدلف إلى مسنده
ومسح سبلته بيده ثم قال الحمد لله المبتدي بالإفضال المبتدع للنوال المتقرب
إليه بالسؤال الموصل المحقق للآمال الذي شرع الزكاة في الأموال وزجر عن نهر

عن السؤال وندب الى مواساة المضطر وامر باطعام القانع والمعتر ووصف عباده

المقربين في كتابه المبين فقال وهو اصدق القائلين والذين في اموالهم حق معلوم

للسائل والمحروم احمده على ما رزق من طعمة هنيئة واعوذ به من استماع دعوة بلا نية

واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الجزي المتصدقين والمتصدقات ومحق

الربوا ويربي الصدقات واشهد ان محمدا عبده الرحيم ورسوله الكريم ابتعثه لينسخ

الظلمة بالضياء وينتصف للفقراء من الاغنياء فرق بالمساكين وخفض جناحه

للمستكين وفرض لهم حقوقا في اموال المثرين وبين ما يجب للمقلين على المكثرين صلى

الله عليه صلوة تحظيه بالزلفة وعلى اصفيائه اهل الصفة اما بعد فان الله

شرع النكاح ليتعففوا وسن التناسل لكي تتضاعفوا فقال سبحانه وتعالى انا

انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا وهذا ابو الدراج

ولاج بن خراج ذو الوجه الوقاح والافك الفضاح والهرير والصياح والابرام

والالحاح يخطب سليطة اهلها وشرطة بعلها قنبس بنت ابي العنبس لما بلغه

من انحرافها بالحافها واسرافها في سفافها وانكماشها على معاشها واغفالها

عند هراشها وقد بذل لها مهرا من الصدقات ثلاثا وعكاكا وصفعا وكرازا

فانكحوه نكاح مثله وصلوا حبلكم بحبله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من

فضله اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم واسئله ان يكثر في المصائب

نسلكم ويحرس من العاطب شملكم فلما فرغ الشيخ من خطبته وابرم للختن عقد

خطبنا لنا وظن من النثار ما جاد وبعد الاكثار واغرى الشحيح بالايثار ثم نهض الشيخ
يسحب لاذياله ويقدم ارذاله قال الحارث بن همام فتبعته لانظر وجهة النجوم وكلا
بيحار اليوم فعاج بهم الى سماط قد نشر طهاته وتناصفت في الحسن جهاته فحين تبوا
كل منهم في مجلسه وطفق يرفع في روضة انسه لاحت من الصف وقربت من الزحف
لحانت من الشيخ لفتة الي ونظرة هجم بها طرفه علي فقال لي ابني يا بوم هلا عاشرت
معاشرة من شيمه كرم فقلت والذي خلقها طباقا وطبقها اشراقا لا وددت لما في
ولا لست رفاقة او تخبرني من مدب صباك ومن اين مهب صباك فتنفس الصعداء
مرارا وارسل البكاء مدرارا حتى اذا استنزف الدمع واستنضب الجمع وقال لي
اسمع شعر مسقط الراس سروج وبها كنت اموج بلدة يوجد فيها كل شيء
ويروج وردها من سلسبيل وصحاريها مروج وبنوها ومغانيها نجوم وبروج
حبذا نفحة رياها ومرآها البهيج وازاهير رباها حين تجتاب الثلوج من راها
قال مرجى جنة الدنيا سروج ولمن ينزاح عنها زفرت ونشيج مثلها الا فيئ
مذ نزحت عنها العلوج عبرة تهمي وشجو كلما قر يهيج وهموم كل يوم خطبها
خطب مريج ومساع في الترجي قاصرات الطرف عوج ليت يومي حم لما حم
لي منها الخروج قال الحارث بن همام فلما تبين بلده وتبين ما انشده ايقنت
انه علامتنا ابو زيد وان كان الهرم قد اوهنه بيد فبادرت الى مصافحته
واغتنمت مواكلته من صحفته وظلت مدة مقامي بمصر اعشوا الى شواظه واحشوا

واحتوا احدهم من يد الفاظر الى ان نعب بيننا غراب البين ففارقته مفارقة

الجفن للعين المقامة الحادية والثلاثون وتعرف في نسخة ابي ... بالحجازية

حكى الحارث بن همام قال كنت في عنفوان الشباب وريعان العيش اللباب اقلي

الاكتنان بالغاب واهوى الانسلال عن القراب لعلمي ان السفر ينتج الظفر وينتج

الظفر ومفارقة الوطن تعمر الفطن ومحض من فطن فاجلت قداح الاستشارة

واقدحت زناد الاستخارة ثم استجشت جاشا اثبت من الحجارة واصعدت

الى ساحل الشام للتجارة فلما خيمت بالرملة والقيت بها عصى الرحلة صادفت

بها ركابا تعد للسرى ورحالا تشد الى ام القرى فعصفت بي ريح الغرام واهتاج

لي شوق الى البيت الحرام فزممت ناقتي وودعت علاقتي وعلاقتي وقلت لائمي

اقصر فاني ساختار الغار على المقام وانفق ما جمعت بارض حجر واسلو بالحطيم

عن الحطام ثم انتظمت مع رفقة كنجوم الليل لهم في السير جرية السيل والى الخير

جرية الخيل فلم نزل بين ادلاج وتاويب وايجاف وتقريب الى ان حبنا ايدي

المطايا بالجحفة لميقاتنا الى الجحفة فحللناها متاهبين للاحرام متباشرين

بادراك المرام فلم نلبث الا ان انخنا الركائب وحططنا الحقائب حتى طلع علينا

من بين الهضاب شخص ضاحي الاهاب وهو ينادي يا اهل ذا النادي هلم الى

ما ينجي يوم التنادي فانخرط اليه الحجيج وانثالوا واحتفوا به وانضووا فلما

راى تالبهم حوله واستطاعهم قوله (واستماعهم) تسنم احدى الاكام ثم تنحنح مستفتحا

للكلام وقال يا معشر الحجاج الناسلين من الفجاج اتعقلون ما تواجهون والى من

توجهون ام تدرون على من تقدمون وعلام تقدمون اتخالون ان الحج هو اختيار

الرواحل وقطع المراحل واتخاذ المحامل وانضاء الزوامل ام تظنون ان النسك

هو نضو الاردان وانضاء الابدان ومفارقة الولدان والتنائي عن البلدان كلا

والله بل هو اجتناب الخطية قبل اجتلاب المطية واخلاص النية في قصد تلك

البنية وامحاض الطاعة عند وجدان الاستطاعة واصلاح المعاملة امام اعمال

اليعملة فوالذي شرع المناسك للناسك وارشد السالك في الليل

الحالك ما ينقي الاغتسال بالذنوب من الانغماس في الذنوب ولا يعدل تعرية الاجسام

بتعبية الاجرام ولا يغني لبس الاحرام عن التلبس بالحرام ولا ينفع الاضطباع

بالازار مع الاضطلاع بالاوزار ولا يجدي التقرب بالحلق مع التقلب في ظلم

الخلق ولا يرحض التنسك بالتقصير دون التمسك بالتقصير ولا يسعد بعرفة

غير اهل المعرفة ولا يزكو بالخيف من رغب في الحيف ولا يشهد المقام الامين الا من استقام

ولا يحظى بقبول الحج من زاغ عن المحجة فرحم الله امرءا صفا ثم سعى الى الصفا

وورد شريعة الرضا قبل شروعه على الاضا ونزع عن تلبيسه قبل نزع ملبوسه

وفاض بمعروفه قبل الافاضة من تعريفه ثم رفع عقيرته بصوت اسمع الصم وكاد

يزعزع الجبال الشم وانشد شعر ما الحج سيرك تاويبا وادلاجا ولا اعتيامك

اجمالا واحداجا الحج ان تقصد البيت الحرام على تجريدك الحج لا تقضي به حاجا

جا - ويمتطي كاهل الانصاف متخذا - ريع الهوى هاديا والحق منهاجا - وان تواسى

ما اوتيت مقدرة - من مد كفا الى جدواك محتاجا - فهذه ان تحوتها حجة

كملت - وان تخلل الحج منها كان اخداجا - حسب لمرانين عبثا انهم عرسوا - وما

جنوا ولقوا كدا او انضاجا - وانهم حرموا اجرا ومبهجة - والحجوا حرصهم من ثجا

او هاجا - اخي ابغ بما تبنيه من قرب - وجه المهيمن ولا تجا وحاجا - فليس يخفى

على الرحمن خافية - ان خلص العبد في الطاعات او داجا - وبادر الموت بالحسنى

تقدمها - فما يهنئه داعي الموت ان فاجا - وارض التواضع خلقا لا تزايله -

عنك الليالي ولو البستك التاجا - ولا تثم كل خال لاح بارقه - ولو رأى الوهن

السكب ثجاجا - ما كل داع باهل ان يصاخ له - كم قد اضم بنجي بعض من ناجا -

وما اللبيب سوى من بات مقتنعا - يبلغه مدرج الايام ادراجا - فكل كثر الى

قل مغبته - وكل نار الى لين وان هاجا - قال الراوي فلما القم عقم الافوا

ه بسحر الكلام استروحت ريح ابي زيد وما دبا الارتياح الى صيد فمكثت حتى آ

نست حكمته والخوف من آكنه ثم دلفت اليه لا تضح صفحات محياه واستشف

جوهر حلاه فاذا هو الضالة التي انشدها وناظم القلائد التي انشدها فقا

عنان اللوم للالف وتنزل منزلة البر عند اللقف وسألته ان يلازمني

فابى وبز ملوق فنبا وقال كتبت اليت في حجتي هذه ان لا احتقب ولا استحقب

ولا اكتسب ولا انتسب ولا ارتفق ولا ارافق من يرافق ثم ذهب

يهرول فغادرني اوجل فلم ازل افرده نظري واوقد له شموع ناظري حتى توقل

احد الاطواد ووقف الحجيج بالمصاف فحين شاهد اجتماع الركبان في الكثبان وقع بالبنان

على البنان واندفع ينشد شعر لمن نلوذ باكنافه مثل ملجا على الندم الا لا كلام

اطاع كلاما من الخدم كيف يا قوم يستوي سعي بان ومن هدم سيقيم المفرطون غدا

ماتم الندم ويقول الذي اقترف طوبى لمن خدم ويك يا نفس فتخذي ملجا عند ذي

القدم وازدري زخرف الحياة فوجدانه عدم واذكري مصرع الحمام اذا خطبه صدم

واندبي فعلك القبيح وابكي له بدم وادبغيه بتوبة قبل ان تحلم الادم فعسى الله ان

يقيك السعير الذي احتدم يوم لا عثرة تقال ولا ينفع الندم ثم آلى ان يعضب لسانه وانطلق

لشانه فما زلت في كل مورد نرده ومعرس نتوسده اتفقده فافتقده واستنجد من ينشده

فلا يجده حتى خلت ان الجن اختطفته او الارض انتسفته فما بثثت في الغربة كهذه الكربة

ولا منيت في غربة بمثلها من زفرة المقامة الثانية والثلاثون في تفقه ابي زيد

المسائل بجوابه حكى الحارث بن همام قال اجمعت حين قضيت مناسك الحج واقمت وظائف

العج والثج ان اقصد طيبة مع رفقة من بني شيبة لازور قبر المصطفى واخرج

من قبيل من حج وجفا فارجف بان المسالك شاغرة وعرب الحرمين متنافرة

فحرت بين اشفاق يثبطني واشواق ينشطني الى ان ألقي في روعي الاستسلام

وتغليب زيارة خير الانام فعضضت القعدة واعددت العدة وسرت والرفقة

لا نلوي على عرجة ولا نثني في تاويب لادلاج حتى وافينا حي بني حرب

حرب فأزمعنا أن نقضي ظلّ اليوم في حلّة القوم وبينا نحن نتخيّر المناخ ونرود الروض

النفّاح إذ رأيناهم يركضون كأنّهم إلى نُصُب يوفضون فرابنا انثيالهم وسألنا

ما بالهم فقيل قد حضر ناديهم فقيه العرب فأهرعهم لهذا السبب فقلت لرفقتي

ألا نشهد مجمع الحيّ لنتبيّن الرشد من الغيّ فقالوا لقد أسمعت إذ دعوت ونصحت

فما ألوت ثمّ نهضنا نتبع الهادي ونؤمّ النادي حتى إذا أطللنا عليه واستشرفنا

الفقيه المشهود إليه الفقير ذا الشمرة والبرد والفواقر والعقر وقد اعتمّ القفداء

واشتمل الصمّاء وقعد القرفصاء وأعيان الحيّ به محدقون وأخلاطهم عليه

ملتفّون وهو يقول سلوني عن المعضلات واستوضحوا عنّي المشكلات

فوالذي فطر السماء وعلّم آدم الأسماء إنّي لفقيه العرب العرباء وأعلم من

تحت الخضراء فصمد له فتى مفتوق اللسان جريء الجنان وقال إنّي حاضرت فقهاء

الدنيا حتى انتخلت منهم مائة فتيا فإن كنت ممّن يرغب عن بنات غير ويرغب

منا فاستمع وأجب لتقابل بما يجب فقال الله أكبر سيبين المخبر

وينكشف المضمر فاصدع بما تؤمر قال ما تقول فيمن توضّأ ثمّ لمس ظهر

نعله قال انتقض وضوؤه بفعله النعل الزوجة قال فإن توضّأ ثمّ

أكّأه البرد قال يجدّد الوضوء من بعد البرد النوم قال أيمسح المتوضّئ

أنثييه قال قد ندب إليه ولم يوجب عليه الأنثيان الأذنان قال أيجوز

الوضوء ممّا يقذف الثعبان قال وهل أنظف منه للعريان الثعبان مج

ثعب هو مسيل الوادي والعربان جمع عرب قال أيستباح ماء الضرير قال نعم

ويجتنب ماء البصير الضرير حرف الوادي والبصير الكلب قال أيحل الطوف

في الربيع قال يكره ذلك للحدث الشنيع الطوف الغوط والربيع النهر قال

أيجب الغسل على من أمنى قال لا ولو ثنى أمنى بمعنى أتى منى وأمنى ومنى

قال فهل يجب على الجنب غسل فروته قال أجل وغسل ابنة الفروة جلدة الرأس

والأبنة عظم المرفق قال فإن أخل بغسل فأسه قال هو كما لو ألغى غسل رأسه الفاس

العظم المشرف على فقرة القفا قال ما تقول فيمن تيمم ثم رأى روضا قال يبطل تيممه

فليتوضأ الروض جمع روضة وهي القطعة التي يبقى في الحوض قال أيجوز أن يسجد

الرجل في العذرة قال نعم وليجانب القذرة العذرة فناء الدار قال أفيحل له

السجود على الخلاف قال لا ولا على أحد الأطراف الخلاف الكم قال فإن سجد على شماله

فلا بأس بفعاله الشمال جمع شملة قال فهل يجوز السجود على الكراع قال نعم دون الذراع

الكراع ما استطال من الحرة وهي أرض فيها حجارة سود قال أيصلي على رأس الكلب

قال نعم كسائر الهضب رأس الكلب ثنية معروفة قال ما تقول فيمن صلى وعانته بارزة

قال صلاته جائزة العانة الجماعة من حمر الوحش قال فإن صلى وعليه صوم قال يعيد ولو صلى

مائة يوم الصوم ذرق النعام قال فإن حمل جروا وصلى قال هو كما لو حمل باقلى

الصغار من القثاء والرمان قال العروة قال لا ولو صلى على المروة العروة مبلغة

الكلب قال فإن قطر على ثوب المصلي نجو قال يمضي في صلاته ولا غرو النجو السحاب

الذي ذهب ماؤه قال أيجوز ان يأتم الرجال بمضجع قال وصنيع المقنع لا لبس

المقنع والمقنع لابس المدرع قال فان ائتم بمن في يده وقف قال يعيد ولو

ائتم الف الوقف السوار من العاج او الذبل واراد انه لا يجوز للرجال الائتمام بلابس

قال فان امهم من فخذه بادية قال صلوته وصلوتهم ماضية الفخذ العشيرة والبادية

الذين يسكنون البدو واختار بعض اهل اللغة تسكين الخاء منها ليحصل الفرق بينها

وبين الفخذ من الاعضاء قال فان امهم الثور الاجم قال صل وعلك ذو الثواب

والاجم الذي لا رمح له قال ايدخل القصر في صلوة الشاهد قال لا والغائب

صلوة الشاهد صلوة المغرب سميت بذلك لانها تصلى عند طلوع الشاهد اي النجم

قال ايجوز للمعذور ان يفطر في شهر رمضان قال ما رخص فيه الا للصبيان المعذور

المختون وهو ايضا المعذر قال فهل للعريان ان ياكل فيه قال نعم بملء فيه العريان

المسافر الذي يرحل من اخر الليل الى السحر ثم يرحل قال فان افطر فيه العراة قال

لا ينكر عليهم الولاة العراة الذين تاخذهم العرواء وهي الحمى برعدة قال فان اكل الصايم

بعدما اصبح قال هو احوط له واصلح اصبح اي استصبح بالمصباح قال فان عمد لان اكل

ليلا قال ليبشر بالقضاء ليلا فرخ الحبارى وقيل هو ولد الكروان وجمعه كروان

قال فان اكل قبل ان تتوارى البيضاء قال بالغمر والغمر البيضاء من اسماء الشمس قال

فان استثار الصايم الكيد قال افطر ومن احل الصيد الكيد القيء واستثاره اي استدعاه

قال فهل يفطر بالجاحة الطابخ قال نعم لا يعاطي الطابخ الطابخ الحمى الصالب قال فان

ضحكت المرأة في صومها قال بطل صوم يومها ضحكت هٰهنا اي حاضت ومنه قوله تعا

فضحكت فبشرناها باسحق قال فان ظهر الجدري على ضرتها قال يفطر ان اذن بمضرتها

الضرة اصل الابهام واصل الثدي ايضا قال ما يجب في مائة مصباح قال حقتان يا صاح

المصباح الناقة التي تصبح في المبرك ولا تنهض حتى يرتفع النهار قال فان ملك عشر

خناجر قال يخرج شاتين ولا يشاجر الخناجر النوق الغزار واحدها خنجور

قال فان سمح للساعي بجميمة قال يا بشرى له يوم قيامه الساعي جابي الصدقة

والجميمة خيار المال قال ايستحق حملة الاوزار من الزكوة جزءا قال نعم اذا كانوا

غزاة الاوزار السلاح وغزاة جمع غاز قال ايجوز للحاج ان يعتمر قال لا ولا ان يختمر

الاعتمار لبس العمارة وهي العمامة والاختمار لبس الخمار قال فهل يجوز له ان يقتل

الشجاع قال نعم كما يقتل السباع الشجاع الحية قال فان قتل زمارة في الحرم قال عليه

بدنة من النعم الزمارة النعامة وسمي صوتها الزمار قال فان رمى ساق حر فجدله قال

يخرج شاة بدله ساق حر ذكر القماري (جمع قمري) قال فان قتل ام عوف بعد الاحرام قال يتصدق

بقبضة من طعام ام عوف الجرادة (كنية امرأة) قال ايجب على الحاج استصحاب القارب قال نعم

ليسوقهم الى المشارب القارب طالب الماء بالليل والحاج اسم الجمع والواحد حاج قال

ما تقول في الحرام بعد السبت قال فعل يقفه لثالوث الحرام المحرم والسبت حلق

الرأس وهو من تحليل الحج قال ما تقول في بيع الكميت قال حرام كبيع الميت الكميت

الخمر قال العجوز بيع الخل بلحم الجمل قال لا ولا بلحم الحمل الخل ابن المخاض ولا يجوز بيع اللحم

اللحم بالحيوان سواء كان من جنسه او من غير جنسه قال أيحل بيع الهدية قال لا

ولا بيع الشبية الهدية بالتشديد ما يهدى الى الكعبة ويقال ايضا هدية بتسكين

الدال وتخفيف الياء والشبية الخرقة قال أيباع الجبار مع زهوه قال نعم ويؤكل

معه الزهو البسر الاصفر والاحمر والمعو قال ما تقول في بيع العقيقة قال محظور

على العقيقة العقيقة ما يذبح عن المولود في اليوم السابع من ولادته قال أيجوز

بيع الداعي على الراعي قال لا ولا على الساعي الداعي بقية اللبن في الضرع والساعي

جابي الصدقات قال أيباع الصقر بالتمر قال لا ولا ما المتخلق والامر الصقر الدبس

قال فهل يجوز ان يباع الشافع قال ملجوارة من دافع الشافع الشاة التي معها

سخلها قال أيباع الابريق على بني الاصفر قال يكره ذلك كبيع المغفر الابريق

السيف الصقيل لكثرة مائه وبنو الاصفر الروم قال أيجوز أن يبيع الرجل صفيقه

قال لا ولكن يبيع صفيقة الصبي الولد على كبره والصفيق الناقة الغزيرة الدر قال

أيشتري المسلم السلاة قال نعم ويورث عنه اذا مات السلاة حجارة الشجر وهي ايضا

خوص الثمام قال فان اشترى عبدا فبان به جراح قال ما في رده جناح الا ان

يجمع الدقاح قال أيثبت الشفعة للشريك في الصحراء قال لا ولا للشريك

الصفراء الصحراء الاتان التي يمازج بياضها غبرة والصفراء الناقة او الاتان

في الفلاة فلا يجى يمنع ولخلا الكلاة الرطب قال ما تقول في صيد الكافر قال

حل للمقيم والمسافر الكافر البحر وصيد السمك الطافي فوق مائه قال أيجوز

ان يضحى بالجول قال هو واجد للمقبول الجول جمع حائل قال فهل يضحى بالطالق قال نعم

ويقرى منها الطارق الطالق الناقة ترسل حيث شاءت قال فان ضحى قبل طلوع الغزالة

قال شاته لحم بلا محالة الغزالة الشمس بها اذا طلعت الغزالة ولا يقال غربت وانما

الجونة تسمى بها عند مغيبها لانها تسود حين تغيب كما قال الشاعر تبادر الجونة

ان تغيبا قال ايحل الكسب بالطرق قال هو كالقمار بلا فرق الطرق الضرب بالحصا

وهو مما فعل الكهنة قال ايسلم القائم على القاعد قال يحظر على الاباعد القاعد

التي قعدت عن الحيض وعن الازواج قال ايبيت العاقل تحت الرقيع قال احبب

في البقيع الرقيع السماء وعنى بالبقيع بقيع المدينة قال ايمنع الذمي من قتل العجوز

قال لتعارضه في العجوز لا يجوز العجوز الخمر وقتلها مزجها قال ما تقول في الهود

قال هو مفتاح التهجد الهود التوبة ومنه قوله تعالى انا هدنا اليك قال ايجوز

ان ينتقل الرجل عن عمارة ابيه قال ما يجوز لخامل ولا نبيه العمارة القبيلة قال ما

تقول في صبر البلية قال اعظم به من خطية الصبر الحبس والبلية الناقة تحبس عند قبر

صاحبها فلا تسقى ولا تعلف الى ان تموت وكانت الجاهلية تزعم ان صاحبها يحشر

عليها قال ايحل ضرب السفير قال ويحل على المستشير السفير ما تساقط من ورق الشجر

والمستشير الجمل السمين وهو ايضا الجمل الذي يعرف اللاقح من الحائل قال ايعزر الرجل

اباه قال يفعله البر ولا يأباه التعزير التعظيم والنصرة قال ما تقول فيمن افقر اخاه

قال حبذا ما توخاه افقره اعاره ناقة يركب فقارها قال ما تقول فيمن اعرى ولده

وان قال يا حبذا ما اعتمد اعراه اعطاه ثمرة نخلة عاما قال فان اصطلى مملوكه

الناس قال لا اثم عليه ولا عار الملوك العربين الذي لم يجد بعد حتى يتوى قال ايجوز للمرأة ان

تضرب بعلها قال اذا حظر احد فعلها البعل النخل الذي يشرب بعروقه من الارض قال اتجعل

تؤدب المرأة على الخجل ومنه قول الحطيئة للنساء انكن اذا جعتن دقعتن وان شبعتن

خجلتن قال اجل والخجل سوء احتمال الغنى قال كما تقول فيمن يحك انكه الاحد

قال اثم ولو اذن له فيه بعض ثلثه اذا اغتابه وقدح في عرضه قال ايجوز الحاكم على

صاحب النور قال نعم ان كان من غائلة الجور الثور المجنون قال فهل له ان يضرب على يدي

اليتيم قال نعم الى ان يرشد ويستقيم بعد الضرب على يده اذا حجر عليه قال فهل يجوز

ان يتخذ الربيض قال لا ولو كان ارضا الربيض الربض قال فمتى يبيع بيته لنفسه

الربض ما حول المدينة من البيوت

قال حين يعدم الحطب من البيت التبع القصيرة قال فهل يجوز ان يبتاع الرب حسا

قال نعم اذا لم يكن معنا المعش النخل المجتمع والمعشى الذي لا عيب فيه قال ايجوز

ان يكون الحاكم ظالما قال نعم اذا كان عالما الظالم الذي يشرب اللبن قبل ان

يروب ويخرج زبده قال ايستغنى من لسبت الصبرة قال نعم اذا احسنت منه

السهرة البصرة الترس قال فان تعرض عن العقل قال ذلك عنوان الفضل لعقل

ضرب من الوشي قال فان كان له جار قال لا اخا له ولا اكبار المسي

الملوين والحبار النخل الذي فات اليد وحبه الفاسد قال ايجوز ان يكون

الشاهد مريبا قال نعم اذا كان اريبا المريب الذي يكثر عنده اللبن الرائب

قال فان بان انه لاط قال هو كما لو لاط حوض الجنة قال فان عثر على انه مرب

قال ترد شهادته ولا يقبل عذره باي قيل قال فان وضح انه مان قال هو وصفه

ذات المانن الذي يقول ويكفي المؤمن من مان يمون قال فما يجب على عابد الحق قال

علمت بالخالق الغائب ههنا كالحامد لحق الذئب قال فما تقول فيمن فقأ عين بلبل

عامدا قال يفقأ عينه قولا واحدا فالبلبل الرجل الخفيف قال فان جرح قطاة امرأة

فماتت قال النفس بالنفس اذ فاتت القطاة ما بين الوركين قال فان افتدى حامل

حشيشا من مهره قال ليكفر بالاعتاق عن ذنبه فالحشيش الجنين الملقى ميتا قال فما

يجب على المختفي في الشرع قال القطع لانه من الردع (الزم) فالمختفي نباش القبور قال فما تقول

فيمن سرق اساود الدار قال يقطع ان ساوت ربع دينار فالاساود الآلات المستعملة

كالاجانة والقدر والجفنة قال فان سرق ثمينا من ذهب قال لا قطع كما لو غصب

الثمين الثمن كما يقال في النصف نصيف وفي السدس سديس قال فان بان على امرأة

السرق قال لا حرج عليها ولا فرق فالسرق الحرير الابيض قال اينعقد نكاح لم يشهده

القوارى قال لا وخالق البارى فالقوارى الشهود لانهم يقرون الاشياء اي يتبعونها

قال فما تقول في عروس باتت بليلة حرة ثم ردت في الحافرة قبل البحث قال يجب لها

نصف الصداق ولا تلزمها عدة الطلاق يقال باتت العروس بليلة حرة اذا امتنعت

على زوجها فان افتضها قيل باتت بليلة شيباء والرد في الحافرة يعني الرجوع في

الطريق الاول ويكنى به عن طلاقها وردها الى اهلها فقال له السائل لله در

وتلك من بحر لا ينضب الماتح وحبر لا يبلغ مدحه المادح ثم اطرق اطراق الحيي

وادام ارمام العيي فقال له ابو زيد يا فتى فلحى بنى ولحى بنى فقال لو شئت في كنانتي

مرماه ولا بعد اشراق صبحك ما راته عيناه اي ابن راحي بنت فما الحسن ما اتيت

فانشد بلسان ذلق وصوت صهصلق شعر انا في العالم مثله ولا اهل

العلم فتلك عيرانه كل يوم بين تغريب وترحال والغريب المنار لو حل بطحاله

نظب له ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن هُدي ويهدي فاجعلنا ممن يهتدي

ويهدي فنادى اليه القوم ذود امع بشر وسألوه ان يزورهم الفينة بعد

الفينة فنهض يتبعهم العود ويزجي الامر والذود قال الحارث بن همام فاعترضت

وقلت مهدي بك سعيتنا متى صرت ضيفها فقال هيهات يحول ثم انشد ولي

شعر لبست لكل زمان لبوسا ولابست صرفيه نعمى وبوسى وعاشرت كل

جليس بما يلائمه لاروق الجليسا فعند الرواة ادير الكلام وبين السقاة

ادير الكؤوسا وطورا بوعظي اسيل الدموع وطورا باللهو اسر النفوسا

وان شئت ارعف كف البراع فساقط درا يحلي الطروسا وكم مشكلات

حكين الشموس خفاء فصرن بكشفي الشموسا وكم ملح لي خلبن العقول

واستأثرن في كل قلب رسيسا وعذراء قضيت منها الغنى علاها السناء

طلبنا حبيسا على انني من زمان خصصت بنكد ولا كبد مرءوس موسى

يسعر لي كل يوم وغى احاد من لظاها وطيسا ويطرقني بالخطوب التي

يذهب الهوى ويشيب الرأس ويدني الى البعيد البغيض، ويبعد عن القريب النسيب

ولولا خسائس اخلاقه لما كان حظي منه خيبة فقلت خفض الاحزان ولا تلم الزمان

واشكر لمن نقلك عن مذهب ابليس الى مذهب ابن ادريس فقال دع الهذر ولا تهتك

الاستار وانهض بنا لنذهب الى مسجد يثرب فعسى ان نرحض بالمزار درن الاوزار فقلت

هيهات ان اسير وافقد النفيس فقال انا لله لقد اوجبت ذمًّا وطلبت اذ طلبت ما ضاع

ما يشين النفس ويبقي اللبس فلما اكلت اوضح لي المعمّا وكشف عني الغمّا شددنا الاكوار

وسرت وسار ولم ازل من مسامرته مدة مسايرته بما انسانا طعم المشقة وورثت

معه بعد الشقة حتى اذا دخلنا مدينة الرسول وفزنا بالسول شام وطوحت بي غربة

وشرقت المقامة التاسعة والثلاثون وتعرف بالتفليسية اخبر الحارث بن همام

قال عاهدت الله تعالى مذ نيفت الا اؤخر الصلاة ما استطعت فكنت مع جوب

الفلوات ولهو الخلوات اراعي اوقات الصلوات واحاذر من تأثيم الفوات واذا رافقت

رحلة او حللت بحلة هجرت بصوت الداعي اليها وانتدبت ممن يحافظ عليها فاتفق

حين دخلت تفليس ان صليت مع زمرة مفاليس فلما قضينا الصلاة وازمعنا

الانفلات برز شيخ بادي اللقوة بالي الكسوة والقوة فقال عزمت على من خُلق

من طينة الحرية وتفوق درّ العصبية الا ما تكلف لي اللبثة واسمع مني نفثة

ثم له الخيار من بعد فبيده البذل والرد فعقد له القوم الحبا ورسوا امثال

الربا فلما انس حسن انصاتهم ورزانة حصاتهم قال يا اولي الابصار الثاقبة

الراقمة والبصائر الرائقة ما يغني عن الخبر العيان وينبي عن النار الدخان

شيب لائح ووهن فادح وداء واضح والباطن فاضح ولقد كنت والله ممن

ملك ومال وولي وآل ورفد ونال ووصل فلم تزل الجوائح تسحت والنوائب تنحت

حتى الوكر قفر والكف صفر والشعار ضر والعيش مر والصبية يتضاغون من الطوى

ويتمنون مصاصة النوى ولم أقم هذا المقام الشائن وأكشف لكم الدفائن إلا بعد

ما شقيت ولقيت وشبت مما لقيت فليتني لم أك بقيت ثم تأوه تأوه الأسيف

وأنشد بصوت ضعيف شعر أشكو إلى الرحمن سبحانه تقلب الدهر وعدوانه

وحادثات نزعت ريشه وقصت مجدي وبنيانه واهتصرت عودي وبال

من نقض الأحداث أعضاءه وأعجلت ربعي حتى جلت من ربعي المحل جيرانه

وغادرتني حائرا بائرا أكابد الفقر وأحزانه من بعد ما كنت لما شئته يحب

النعمى وأبنائه يخبط العافون أوراقه ويحمد الساعون نيرانه فأصبح اليوم

لم يكن أغاثه الدهر الذي عانه وأنور من كان له رائه ومعاف عاق الرفقة

فهل فتى يجبر ما رث من شيخ دهره خانه يفرج الهم الذي همه ويصلح الشان

شانه قال الراوي فصبت الجماعة إلى أن تستبين كنه حاله وتستشف

حقيقته فقالت له قد عرفنا فضلك فطلبنا در مزنك فعرفنا دوح شعبك

واحسر اللثام عن نسبك فأعرض إعراض من منى بالإعنات وبشرا بهنات وجلى

ملعن الضرورات وبما فيه من تعبيس المروات ثم أنشد بلفظ صادع وجرس خادع

شعر لعمرك ما كل فرع يدل جناه اللبيب على اصله فكل ما احلا من نوعيه ولا

تسل لشهد عن نحلة وميز اذا ما اعتصرت الكروم سلافة عصرك من خله

وتمحص عن جبره وتشري كلا شري مثله فغار على الفطن اللوذعي دخول الغبيه

في عقله فازدهى القوم بذكائه ودهائه واختلبهم بحسن اداته مع ادائه حتى جمع له خبايا

الحبن وخبايا الثبن وقيل له يا هذا انك جمعت على بكثير كثير وتعرضت لخليته خطير

فخذ هذه الصبابة وهبها لاخطا لا اصابة فتنزل لهم منزلة الكثر وتصل مقوله بالشكر

ثم تولى يجر شطره ويذهب بخبط طرفه قال المخبر بهذه الحكاية فتوقت الى تحصيل اجليته

متضلع في مشيته فنهضت انهج منهاجه واقفو ادراجه وهو يلحظني شزرا ويوسعني

هجرا حتى اذا خلا الطريق وامكن التحقيق نظر الي نظر من هش وبش وماحض بعدما

ينفق

غش وقال اني لاخالك اخا غربة ورائد صحبة فهل لك في رفيق يرفق بك ويرفد

فاغتبط

عليك وينفق فقلت له ان هذا الرفيق لي الف الموفق فقال لي قد جئت فا

مين

واستكرمت فاربط ثم ضحك مليا وتمثل لي بشرا سويا فاذا هو شيخنا السروجي لا

مقامته

جسمه ولا شبهة في وسمه ففرحت بلقياه وكذبت لقوته وهممت بملامته على سوء

فحياه وانشد قبل ان الحاه شعر ظهرت برث لكيما انال صفو يجي اوان

ببرق

المرتجي واظهرت للناس اني فلجت فكم نال قلبي بما ارتجي ولولا الرثاثة لم

لم ازرقن اقدر بعض

يرتجى ولولا التقامج لم القى فرجا ثم قال انه ليس بهذه الارض مرتع ولا

في اهلها مطمع فان كنت الرفيق فالطريق الطريق فسرنا منها متجردين وصاحبته ما

عاماً بن اجودين وكنت على ان اصحبه ما عشت فابى الدهر الشت المقامة [illegible]

والثلاثون وتعرف بالزبيدية حكى الحارث بن همام قال لما جبت البلاد الى

زبيد صحبني غلام ربيته الى ان بلغ اشده وثقفته حتى اكمل رشده وكان قد انس

باخلاقي وعلم مجالب وفاقي فلم يكن يتخطى مرادي ولا يخطئ في المرامي لاجرم انه

فزينة الخالطة بصفري واخلصته لحضري وسفري فالوى به الدهر المبيد

حين ممشانا زبيد فلما شالت نعامته بغتة وسكنت نامته بغتة عاماً لا

اسيغ طعاماً ولا اريغ غلاماً حتى لجاتني شوائب الوحدة ومتاعب الخدمة

والقعدة الى ان اعتاض عن الدرة الخرز واتناول من هو سداد من عوز

فقصدت من بيع العبيد لسوق زبيد وقلت ابغي عبداً يعجب اذا قلب ويحمد

اذا جرب ولكن ممن خرجه الاكياس فاخرجه الى السوق الافلاس فاهتز كل

منهم للطلب ووثب وبذل تحصيله عن كثب ثم دارت الاهلة دورها وتقلبت

كورها وحورها ولا نجز من وعودهم وعد ولاح لها عد فلما رايت النخاسين

ناسين ومناسين علمت ان ليس كل من خاطب يعزي وان لن يحك جلدي مثل

ظفري فنهضت مذهب التفويض وبدرت الى السوق بالصفر والبيض فاني

لاستعرض الغلمان واستشرف الاثمان اذ عارضني رجل قد اختطم بلثام وقبض

على يد غلام وقال يا معشر التشري من غلاماً صنعاً في خلقه وخلقه بديعاً

بكل ما نطق به مصطلقاً يشبك ان ثلاثة ان قلت وعاء وان تصبك عزم

وان شئتم السعي في الارشاد وان تصاحبه ولو يوماً ما عفّ ولن تعقّه بطلب نفعا

وهو على الكبر الذي قد جمعنا اسمانه فظن كاذباً ولا ادّعى ولا اجاب نطعام دعا

ولا استجاز نشر قدماً فطالما ابدع منها صنعا وفاق في النظم وفي النثر معا

والله لولا اصناك عيش صدعه وصبية اضحوا اراة جوعه ما بعته بملك كسرى اجمعا

فلما تاملت خلقه القويم وحسنه العميم خلته من ولدان جنة النعيم وقلت ما هذا

الا ملك كريم ثم استنطقته عن اسمه لا لرغبة في علمه بل لانظر اين فصاحته من صباحته

وكيف لهجته من بهجته فلم ينطق بحلوة ولا مرة ولا فاه فتوهّمته امرءاً ولا حرة فضربت

عن صفحه وظلت بتجالعتك وشحّاً وفغار في الضحك والجد ثم اغتض باسر الحلي

وانشد شعر يا من تلهب غيظه اذ لم ابح باسمي لما هكذا من ضعف ان كان

لا يرضيك الا كشفه فاصخ له انا يوسف يا يوسف ولقد كشفت لك الغطاء فان

تكن فطناً عرفت وما اخالك تعرف قال فشرى عقلي بشعره واستبى لبي بسحره حتى

ذهبت عن التحقيق وانسيت قصة يوسف الصديق ولم يكن لي همّ الا مساومة

مولاه فيه واستطلاع طلع الثمن لاوفيه وكنت احسب انه سيغلو الثمن ويتغالى في

السوم على فما آل الى حيث خلت ولا اعتلى بما به اعتللت بل قال ان العبد اذا

نزر ثمنه وخفت مؤونته برّ به مولاه ولطف عليه هواه واني لاوثر تحبيب

هذا الغلام اليك بان اخفف ثمنه عليك فزن مائتي درهم ان شئت واشكر لي

ما حبيت فنقدته المبلغ في الحال كانه نقدني لتخلص لحلال ولم يخطر لي ببال ان كلام

ثم قال فلما خفقت الصفقة وحقت الفرقة هملت عينا الغلام وانهلّ دمع

الغمام ثم اقبل على صاحبه وقال شعر لحاك الله هل يباع مثلي لكيما يشبع الكرش الجياع

وهل في شرعة الانصاف اني اكلف خطة لا تستطاع وان ابلى بروع بعد روع

ومثلي حين يبلى لا يراع اما جربتني فخبرت مني نصائح لا يمازجها خداع

وكم ارصدتني شركا لصيد فعدت وفي حبائلي السباع وقدت بي الاصاعب

فاستقادت مطاوعة وكان بها امتناع وأي كريهة لم ابل فيها وغنم لم يكن

لي منه باع وما ابدت لي الايام جرما فينكشف في مصارحة القناع ولم تعثر بحمد

الله مني على عيب به تكمى او تذاع فلم ساغ عندك بيع عهدي كابتذال

الضياع ولم سمحت فديتك بامتهاني وان اشرى كما يشرى المتاع وهلا

صنت عرضي عنه صونك حبيتك يوم جد بنا الوداع وقلت لمن يساوم في

هذا سكاب فما يعار ولا يباع فما انا دون ذاك الطرف لكن طباعك فوقها

تلك الطباع على اني سانشد عند بيعي اضاعوني واي فتى اضاعوا قال

فلما وعى الشيخ ابياته وعقل مناغاته تنفس الصعداء وبكى حتى ابكى البعداء

ثم قال للتاجر ان هذا الغلام محل ولدي ولا امتريه على افلاذ كبدي ولولا

خلو مراحي وخبو مصباحي لما درج من عشي الى ان يبتاع نعشي وقد رايت

ما نزل به من لوعة البين والموصل لبين هين فهل لك في تسلية قلبه

وتبريد كربه بان تعاهدني على الاقالة ان ضبني استقلت وان لا تستثقلني

اذا ثقلت في الآثار المنتقاة المروية عن الثقات من قال بالدم فاقتلوه لعنه

الله عترته قال الحارث بن همام فوعدته وعدا ابرد الحشا وفي القلب اشتعال

فاستدرج الغلام اليه وقبل ما بين عينيه والشيخ والدمع يرفض من جفنيه

شعر خفض فديتك النفس ما تلاقي من برحاء الوجد والاشواق تما طول

مدة الفراق ولا تبك ركائب للتلاقي بحسن عون القادر الخلاق ثم قال

استودعك من هو نعم المولى ونعم الوكيل ووقف تلبث الغلام في زفير وعويل

ريثما يقطع مدى ميل فلما استفاق وكفكف دمعه المهراق قال اتدري

لم اعولت وعلام عولت فقلت اظن فراق الوالد هو الذي بكاك فقال

انك لفي واد وانا في واد ولكم بين مريد ومراد ثم انشد شعر لم ابك

والله على الف نزح ولا على فوت نعيم وفرح وانما مدمع اجفاني سفح

على غبي لحظه حين طمح ورطه حتى بغى وافتضح وضيع المنفوش شعر

البيض الوضح ويلك اما تأتيك هاتيك الملح يا نبي حز ويحيى لم ينح اذ كان

ذي يوسف معنى قد وضح قال فمثلت مقاله في مرآة الذاهب ومعرض الملام

فصلت صلت المحق وبرئ من لعنة الرق فجلنا في مخاصمة اتصلت

عملا كمر وافضت الى محاكمة فلما اوضحنا للقاضي الصورة وتلونا عليه السورة

قال الآن من انذر فقد اعذر ومن حذر كمن بشر ثم فقصر وان

فيما شرحناه لدليلا على ان هذا الغلام قد بهتك فاذ رعيت ونصح لك

لئن فهما وعيت فاستر ذا آه بلبهك واكتمه ولو بنفسك فلا تلم بحذار من

اعتلاقه والطمع في استرفاده فانه الادهم غير معرض للتقويم وقد كان ابوه

احضره اصيل افول الشمس اعترف بانه فرعه الذي نشاه وان لا وارث

له سواه فقلت اوتعرف اباه اخزاه الله فقال وهل يجهل ابو زيد الذي

جرحه جبار وعند كل قاص له اخبار واخبار فخرجت احوقل وحوقلت و (وقفت)

جرحه جبار اي لا قصاص ولا ارش فيه

ولكن حين فات الوقت وايقنت ان لثامه كان شرك مكيدته وبيت

تصيده فنكست طرفي فيما لقيت وآليت ان لا اعامل ملثما ما بقيت

ولم ازل اتأوه لخسر صفقتي والافتضاح بين رفقتي فقال لي الفاضح

حين راى تشاكي وحرارة مناصي يا هذا ما ذهب من مالك ما وعظك

ولا اجزع الملك من ايقظك فاتعظ بما نابك وكاتم اصحابك ما اصابك

وتذكر ابدا ما دهاك لتنجي الذكرى دواهيك وتخلق بخلق من ابتلي

فصبر وجعلت له العبر فاعتبر فوددت لو البس ثوب الخجل والحزن ساحبا

ذيل الغبن والغبن ونويت مكاشفة ابي زيد بالهجر ومصارمته

بدا الله فجعلت اتنكب عن ذراه واتجنب ان اراه الى ان غشيني

في طريق ضيق لجا في بحبة شيق فازدت على ان عبست وما

بسمت فقال ما بالك شمخت بانفك على الفك فقلت أأنسيت

انك اخلفت وحلت وفعلت فعلتك التي فعلت فاضطرب سهانا

ثمّ انشد مُلافيًا شعريًا من بعد صدود وموحش وجمجم وغدا يلتمس

ملاذًا ومآلًا من دون الاسهام ويقول هل حُرٌّ يُباع كما يُباع الادهم فقد

فما انا فيه بدعًا مثل ما شروهم فقد باعت الاسباط قبلي يوسفًا وهُم هُم هذا

واقسم بالتي تسري اليها المُهّم والطائفين بها وهم شعث النواصي سُهّم

ما فُتّ ذاك الموقف المُخزي ونفسي بدرهم فاعذر لحاك وكف عن ملام

من لا يُفهم ثمّ قال امّا معذرتي فقد لاحت وامّا دراهمك فقد طاحت

فان كان اقتسارك مني وازورارك عني لفرط شفقتك على عين نفقتك

فلست ممن يلسع مرّتين ويوطي على جمرتين وان كنت طويت كشحك

واطعت شُحّك لتستنقذ ما علق باشراكي فلتبك على عقلك البواكي

قال الحارث بن همّام فاضطرني بلفظه الخالب وسحره الغالب الى ان عدت

لصفيًّا وبه حفيًّا ونبذت فعلته ظهريًّا وان كان شيئًا فريًّا

المقامة الخامسة والثلاثون وتعرف بالشيرازية

روى الحارث بن همّام قال عرّجت في تطوافي بشيراز على نادٍ يستوقف المجتاز ولو كان على اوفاز

فلم استطع تعدّيه ولا خطت قدمي في تخطّيه فتجنّبت اليه لاسبر

جوهره وانظر كيف ثمره من زهره فاذا اهله افراد والعايج اليهم مفاد

فبينما نحن في فكاهة اطرب من الاغاريد واطيب من حلب العناقيد

اذا احتفّ بنا ذو طمرين قد كاد يناهز العمرين يحيّي بلسان طلق وابا

وابان ابا رسطيون ثم احتبى حبوة المتندمين وقال اللهم اجعلنا من المهتدين

فازدراه القوم لطمريه ونسوا ان المرء باصغريه ولهذا ابتداعوه

فصل الخطاب وبعثه وبعوده من الاخطاب وهو لا يفيض بكلمة ولا

يبين عن سمة الى ان سبر قرايحهم وخبر شايلهم وراجحهم ثم

استخرج دفاينهم واستنثل كنانتهم قال يا قوم لو علمتم ان وراء

الفدام صفو المدام لما احتقرتم ذا اخلاق وقلتم ما له من خلاق

ثم فجر من ينابيع الادب والنكت النخب ما جلب به بدايع العجب وسوغ

ان يكتب بذهب للذهب فلما خلب كل خلب وقلب اليه كل قلب

تحلحل للرحل وتاهب ليذهب فعلقت الجماعة بذيله وغادت سرب

سيله وقلت لقد ارتبنا فنبه ثم تدحلت حجبتها من مضلك ومحلك

نضمت صوت من افحم ثم اعول حتى زعم قال الراوي فلما رايت

شوب ابي زيد ودوبه واسلوبه المالوف وصوبه تاملت الشيخ

على سهومه محياه وسهو كبرياه فاذا هو اباه فكتمت سره كما يكتم

الداء الدخيل وسترت مكره وان لم يكن بجميل حتى اذا انتزع من

اقواله وقد عرف عثوري على حاله ومضى يعني مضحاله ثم طفق

ينشد بلسان مبتهل شعر استغفر الله واعتوله من قرطاس

انقلت ظهريه يا قوم كم من عاتق عانس ممدوحة الاوصاف

فنكتها لانثى وارتأيت بطلب حرة تود او دمية فكلما استنبت في قبلها
احللت بالذنب على الاضبة ولم تزل نفسي تحن عنها وقبلها الابكار مستترة حتى
نهاني الشيب لما بان في مفرقي عن تلكم العصبة فلم ازل منتاب بهوى دما
من عاشق يوما ولا معيبة وها انا الان على ما ترى مني ومن حرفتي الكربة
ارب بكر طال تعنيسها وحجبها حتى من الاهوية وهي على التعنيس محظوبة
كخطبة الغانية المعشرة وليس يكفيني لتجهيزها على الرضا بالدون الا مبرة وانا
لا اتوكل على درهم والارض قفر والسماء مصحية فهل معين لي على نقلها ممهورة
بالقينة الملهية فيغسل الهم بصابونة والقلب من افكاره المضنية
مني الثناء الذي تصوغ نثاره مع الادعية قال فلم يبق في الجماعة الا من ندب
له كفه وابتاع الميمون فلما بحثت بعشرة وكانت مشتراه خذ بشيء عليهم
بصالح ونشر عن ساق سارح قال الحارث بن همام فبعثني الاستعراف لستير
خدره ومن قبل في حدثان امره فكان وشك فيامي مثل له يراني فازدلف
مني وقال افضة عن سر قتل مثلي باصاح مزج المدام ليس قتلي بالهدم
او حسام والتي عنيت هي البكر بنت الكرم لا البكر من بنات الكرام ولتجهيزها
الى الكاس والطاس فيا ايها الذي نوى وقفا في فهم ما قلته وتحكم في التغاضي
ان شئت ووفي الملام ثم قال انتم غرباء وانت ... وبيننا بون بعيد ثم ودع
وانطلق وودّه في نظرة من بني علق المقامة السادسة والثلاثون وتعرف بالملطية

الملطية أخبر الحارث بن همام قال اجتزت بملطية مطية البين وحقيبتي ملأى من العين

فجعلت مجراي مذ ألقيت بها عصاي أن أتورد موارد المرح وأستصيد شوارد

الملح فلم يفتني بها منظر ولا مسمع ولا خلا مني ملعب ولا مربع حتى إذا لم يبق

لي فيها مأرب ولا في الثواء بها مرغب عمدت لإنفاق الذهب في ابتياع الأهب

فلما أكملت الإعداد وتهيأ الظعن منها أو كاد رأيت نفرًا رهط فهمًا وأبهة

وإنسًا وأريحية ودماثتهم تنبه الألحاظ وفكاهتهم حلو الألفاظ فحففتهم

طلبًا لمنادمتهم لا لمدامتهم وشغفًا بممازجتهم لا بمزاحمتهم فلما انتظمت

عاشرهم واعجبت معاشرهم ألفيتهم أبناء علات وقد ألفت فلوات لا أم

لحمة الأدب قد ألفت شملهم ألفة النسب ساوت بينهم في الرتب لا

مثل كواكب الجوزاء وكالحلقة المتناسبة الأجزاء فما بهجني الاهتداء إليهم و

الطالع الذي طلعني عليهم طفقت أمحض بقدحي مع قداحهم وأستشفي

بأحاديثهم لا براحهم حتى إذ تناجيهم المفاوضة إلى التحاجي بالمفاضة

كقولك إذا عنيت بن الكراماة ما مثل النوم فات فائتنا ما مثل السهاد أو

ونحو الشوك والتمر فبينا نحن ننشر القشب والرث وننثل السمين

والغث طلع علينا شيخ قد ذهب حبره وسبره ومحي جبره وصبره فمثل

مثول من يسمع وينظر ويلتقط ما ينثر إلى أن نفضت الأكياس و

الباس فلما رأى أجبال القرائح وإكداء الماتح والمائح جمع ذلاله

ومدلاً بأنه الروي فقال ما كل سوداء تمرة ولا كل صهباء خمرة فاعتلقنا به

اعتلاق الحرباء بالاعواد وضربنا دون وجهه بالاسداد وقلنا له ان

دواء الشق ان يحاص والجروح قصاص فلا تطمع في ان تجرح وتشق

الفتق وتستريح فلوى عنانه راجعاً ثم جثم بمكانه راضياً وقال اما

اذا استثرتموني بالبحث فاحكم حكم سليمان في الحرث اعلموا يا ذوي

المثالب الادبية والشمول الذهبية ان وضع الاحاجي لامتحان الالمعية

واستخراج الخبيئة الخفية وشرطها ان تكون ذات مماثلة حقيقية والفاظ معنوية

ولطيفة ادبية فمتى نافت هذا النمط ضاهت السقط فلم تدخل السفط ولم

اركم حافظتم على هذه الحدود ولا ميزتم بين المقبول والمردود فقلنا له صدقت

والحق نطقت فكل لنا من لبابك وافض علينا من عبابك فقال افعل

لئلا يرتاب المبطلون ويظنوا بي الظنون ثم قابل ناظور القوم وقال شعر

يا من سما بذكاء في الفضل واري الزناد ۔ ماذا يماثل قولي جوع امد بزاد ثم نحا

الى الثاني وقال وانشد شعر يا ذا الذي فاق فضلا ولم يدنس بشين ؛

ما مثل قول المحاجي ظهر اصابه عين ؛ ثم لحظ الثالث وانشا يقول شعر

يا من نتائج فكره مثل النقود الجائزة ؛ ما مثل قولك للذي حاجيت صادق العل

ثم التفت الى الرابع وقال شعر يا مستنبط الغامض من لغز واضمار ؛ الا كشف

لي ما مثل قولك العذ بنارة ثم رنا الى الخامس ببصره وانشد شعر يا ايها الا

الالمعي اخو الذكاء المنجلي: ما مثل اهملها بين هنيت وبجل. ثم التفت

السادس وقال شعر يا من تقصر عن مداه وخطاه محاربه وتضعف. ما مثل قولك

للذي اضحى يحاجيك الكفف الكفف. ثم خلج السابع بحاجبه وقال شعر يا من له

فطنة تجلت وبشر في الذكاء جليت. بين فان زلت ذا بيان ما مثل قول التيقن

اقلت. ثم استنصت الثامن وانشد شعر يا من حدائق فضله مطلولة الازهار

عطرة: ما مثل قولك للمحاجي ذي الحجى ما اخنا وقضة. ثم خلج التاسع ببصره وقال شعر

يا من نشأ السر في القلب لنكت وفي البراعة اوضح لنا ما مثل قولك للمحاجي دمعا

قال الراوي فلما انتهى الى هز منكبي وقال شعر يا من له النكت التي تجلى الصدور

بها وبنكت انت المبين فقل لنا ما مثل قولي خالي اسكت. ثم قال قد امهلتكم

وامهلكم وان شئتم ان اعلكم عللتكم قال فنجانا لهب الغليل الى استعطاء

العلل فقال لست كمن يستأثر على نديمه ولا ممن يمنه فوائده ثم كر على الاول

وانشد وقال شعر يا من اذا اشكل المعنى جلته افكاره الدقيقة ان قال

يوما لك المحاجي خذ ثلث ما مثله حقيقة. ثم ثنا جيده الى الثاني فقال شعر

يا من بدا بيانه عن فضله مبينا ماذا امثال قولهم حار وحش تبنا. ثم اومى

الى الثالث بلحظه وانشد شعر يا من غدا في فضله وذكائه كالاصمعي ما

مثل قولك للذي حاجاك انفق نفع. ثم حملق الى الرابع وقال شعر يا من

اذا ما عويص دجا انار ظلامه ماذا يماثل قولهم استنشق ريح مدامه.

ثم اومض الى الخامس وقال شعر يا من تنزه فهمه عن ان يروّي او يستحث

ما مثل قولك للذي اضحى يحلي غط هلكا ۔ ثم اقبل قبل السادس وانشد شعر

يا ايها الفطن الذي بان فيها كماله سار بالليل مدة اي شيء قاله ۔ ثم نحا ببصره

الى السابع وقال شعر يا من علا بفهم اقام في الناس سوقه لك البيان مبين

ما مثل اجبته فرقعه ۔ ثم قصد قصد الثامن وانشد شعر يا من به زريت في

الفضل فاتت كل ذروة ۔ ما مثل قولك اعط ابعادا بغير عروة ۔ ثم ابتسم الى التاسع

وقال شعر يا من حوى حسن الدراية والبيان بغير شك ۔ ما مثل قولك للمحاجي

ذي الذكاء التوء ملكي ۔ ثم نظر بمجمع على [illegible] وقال شعر يا من سما بتفوق

فطنته في المشكلات ونور كوكبه ۔ ماذا امثال صغير جملة بينه تبيانا [illegible]

قال الحارث بن همام فلما اطربنا بما سمعناه وطالبنا بكشف معناه قلنا له

لسنا من خيل هذا الميدان ولا لنا بحل هذا العقد يدان فان ابنت مننت

وان كتمت عنت فظل يناجي نفسه ويقلب فيخيبه حتى هان بذل

الماعون عليه فاقبل حينئذ على الجماعة وقال لهم اعلمكم ما لم تكونوا تعلمون

ولا ظننتم انكم تعلمون فاقبلوا عليه لا وعيه ورضوا به الاشياء ثم جعل

في نفسه صقل الاذهان واستفرغ معه الاذان حتى اصبحت الافهام

انور من الشمس والاكمام كان لم تغن بالامس ولما هم بالمرتحل [illegible]

تنفس كما يتنفس الثكول ثم قال اما اذا شعر كل شعب لي شعب

ويرى بعد وحب غربتي بسروج مسقط رأسه القلب صبّ هواها على الكره

لجو الذي منه الهبت . وإلى روضها العناء . وما الروض حسن ملاءها البعيد

ولا اعذوذب عذب . قال الراوي فقلت لأصحابي هذا أبو زيد السروجي الذي

أذل مُلَح الأحاجي وأحرز أصحابُهم حُسْن توشيته واعتياد الكلام

لتشبيته ثم التفت إليه فإذا به قد طمر وتأتى بما قمر فعجبنا مما صنع ولم

ندر أين سكع وصقع تفسير الأحاجي المودعة في هذه المقامة أما جمع

أمد بلاد فمثل الطوامير وأما ظهر أصابع فمثل مطاعين وأما صادق

جارة فمثل الفاصلة وأما شارد الهدية بناء فمثل هادية وأما أهل حلية

فمثل الغاشية وأما الكفف كهف فمثل تحمد وأما التشفير تلك فمثل الأخطار

ولما ما اختار حفصة فمثل أبارم لأن الأرقم من أسماء العقدة وقد نطق بها النبي

صلى الله عليه وسلم فقال لا أرقم ربع العشر وأما دون جامعه فمثل طائفة وأما

خالي اسكت فمثل خالصة لأنك إذا ناديت مضافا إلى نفسك جاز لك حذف

الياء وإثباتها ساكنة ومتحركة وقد حذفت ههنا وقت النداء والهمزة في أصل

الأبجدية وصه بمعنى اسكت وأما تحت تلك فمثلها بيك وأما حمار وحش نيّا فمثل

فرأ ين لأن الفرا حمار الوحش ومنه الخبر كل الصيد في جوف الفرا وأما خوله

انعق نعمى فمثل منعم لأن الأمر من مان يمون من ومضارع ومن نعم

ولما استغن بع مدامة فمثل رحاح لأن الأمر من استغنى آل الحجر رخ وأما

واما اعط هلكا فمثله صنوبر لان البور الهلكى وفي القران وكنتم قوما
بورا واما سار بالليل مدة فمثله سرحان واما احبب جبانا فمثله مقلاع
لان الامر من ومق يمق واللاع الجبان يقول فلان هاع لاع اذا كان
جبانا جزوعا واما اعط ابريقا بغير عروة فمثله اسكوب لان الاوس
العطا لان الامر منه اس والكوب الابريق بغير عروة واما الثور للملك فمثله
اللالي لان اللا على بنية المثنى ثور الوحش واما صفر جحفل فمثله [illegible]
لان المكا الصفير قال الله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية
والاصل في المكا المد ولكنه قصر في هذه الاحجية كما حذفت الهمزة من القرا
في الحجية وكلا الامرين من ضرائر المعدد وحذف همزة الممدود جائز المقامة السابعة
والثلاثون وتعرف بالصعدية حكى الحارث بن همام قال صعدت الى صعدة
وانا ذو شطاط يحكي الصعدة واشتداد يبذ بنات صعدة فلما رايت نضرتها
وخضرتها سالت خبار الرواة عمن تحويه من السراة ومعادن الخيرات
جذوة في الظلمات ونجدة في الظلامات فنعت لي بها قاض رحب الباع
خصيب الرباع يمتري الشبب الطباع فلم ازل اتقرب اليه بالالمام واستقري
عليه الاوهام حتى صرت صديق صومه وسلمان بيته وكنت مع ارتياد
شهده وانتشاق رنده اشهد مشاجر الخصوم واسبر بين المعصوم
والموصوم فبينا القاضي جالس الاحتفال في يوم الحفل والاحتشاد اذ دخل

دخل شيخ بالي الرياش بادي الارتعاش فبصر بجحفل بصر نقاد ثم قدم انه لم

خصما غير منقاد فلم يكن الا كحسو طائر او وحي اشارة حتى احضر غلاما

كانه ضرغام فقال الشيخ ايد الله القاضي وعصمه من التغاضي هذا كالقلم

الردي والسيف الصدي يجهل اوصاف الانصاف ويرضع اخلاف الخلاف

ان انشدت احجم واذا اعربت اعجم وان اذكيت اخمد ومتى شوقت ركد

مع اني كفلته مذ دببت الى ان شبت وكنت له الطف من ربت فاكبر القاضي

ما شكاه ونظر به من حواليه ثم قال اشهد ان العقوق احد الثكلين

ولرب عقوق اشر للعاق فقال الغلام وقد امضه هذا الكلام والذي نصب

القضاة للعدل وملكهم اعنة الفصل والفصل ما حافظ الا اضعت

ولا ادعى الا امنت ولا الح الا اخرجت ولا اقرى الا واضرمت بيد

انه كان يبغي بعض الانوق ويطلب الطيران من النوق فقال له القاضي بم

اعنتك وامحن طاعتك قال انه منصرف من المال ويرى بالاعمال ان يسي

ان الحظ بالسؤال واستمطر سحب النوال لينتفع بما الذي غاض

ويجبر من حاله ما انهاض وقد كان حين اخذت بالدرس وعلمني ادب

النفس اشرب قلبي ان الحرص متعبة والطمع معيبة والشره متجنة والسلة

ملامة ثم انشد من قلب صبر وبحث خوافيه شعر ارض بادنى العيش

واشكر عليه شكر من القل كثير لديه وجانب الحرص الذي اهرى له

يحط قدر المسترق النبيه وتحام عن عرضك واستنبه كما يحامي الليث عن لبوته
واصبر على ما ناب من فاقة صبر اولي العزم واغض عليه ولا تري ما آل الحال
خوالك المسؤول الذي بيده ولكن من ان تنبث عيبه اخفى بذي خبيئة من ما
ومن اذا الخلوة بباحة لم يران يخلق ديباجته قال فعبس الشيخ واكفهر
وانذر على ابنه وهر فقال له صه يا عقوق يا من هو الشجي والشرق
ويلك تعلم امات البضاع وغطي الاتضاع لقد تحكمت العرب بالاخبى وا
الفضال حق الفريحى ثم كانه ندم على من فرط من فيه وحفة المعنى على ملامه
فرنا اليه بعين عاطف وخفض له جناح ملاطف وقال له يا بني ان من امر بالقناعة
ونحن من القراعة هم ارباب البضاعة والوا المكسبة بالصناعة فاما ذووا القربة
فقد حرموا المحظورات وهيهات جهلت هذا التاويل ولم يبلغك ما نثل
الذي عارض اباه فيما قال فقاها باه لا تقعدن على ضر ومسغبة لكي يقال عزيز
مصطبر وانظر بعينك هل ارض معطلة من النبات كارض حفها الشجر فعد عما
الاعتبار به فاني فضل العود ما اثمر وارحل ركابك عن ربع ظمئت به الى الجناب
الذي يهمي به المطر واستنزل الري من در السحاب فان بلت يداك به فليهنك
الظفر وان بعدت فما في الرد منقصة عليك قد رد موسى قبل والخضر فلما
راى القاضي تنافي قول الفتى وتغلبه بما البس من اهله نظر اليه بعين
غضبى وقال انهما مرة وغضبا اخرى اف لمن ينقض ما يقول ويتلون كما

كما يتلون الغول فقال الغلام والذي جعلك مفتاحًا للحق وفتاحًا بين الخلق لقد

اشبت مذ اسبت وصدقت ذهني منصبت على اثر الباب الفتح والعطا

الشرح وهل يجي من يتبرع بالكلى واذا استطعم بتولها فقال له القاضي منه

نفع الخواطر سهام صايب ما كل برق خالب خير البروق اذا شمت ولا تشهد الا

بما علمت فلما تبين للشيخ ان القاضي قد غضب للكرام واعظم تخجيل جميع الانام

علم انه سيفضح كلمته ويقطع اكرومته فما كذب ان نصب شبكته وسوى فخ

سمكته وانشا يقول شعر يا ايها القاضي الذي علمه وحلمه ارجح من رضوى

قد ادعى هذا على جهله ان ليس في الدنيا اخو جدوى وما درى انك من معشر

عطاؤهم كالمن والسلوى تجد بما تشتهيه مستخرجًا ما افترى من كذب الدعوى

وانثني جذلان اثني بما اوليت من جدواك من عدوى قال فهش القاضي لقوله

واجله من حوله ثم لفت وجهه الى الغلام وقد فصل له اسهم الملام فقال انك

بطل زعمك وخطا وهمك فلا تجعل سبها بذم ولا تحث عودًا قبل تجم واني

وابيك عن عطا وعز ابيك فانك ان عدت تعطر حاقي بك مني ما تستخطر

فسقط الغلام في يده ولاذ بحقو والده ثم نهض يجيد وبعد الشيخ منشدًا شعر

من صابرا وصابر دهره فليقصد القاضي في صعبه سماحه اروى من صبه

وعدله اغنى من نعده قال الراوي فحرت بين تعرف الشيخ وتنكره الى ان

اخرزمت للمسير فناجيت النفس بتتبعه ولو على رباعه لعلي اظهر على اسراره

واعرف نجره وناره فتبددت العلق وانطلقت حابن طلق ولم ازل الخطو واعتقبه

واقترب اليه الى ان تراءى الشخصان وحق التعارف على الخلصان فابدى حينئذ الاهتشاش

ووقع الارتعاش وقال لمن كان بازائه فلا عاش عرفت عند ذلك انه السروجي

بلا محالة ولا حول لحالة واسرعت اليه لاصلحه واستعرف سانحه وبارحه

دونك ابن اختك البر وتوكى وحي فلم يعد الفتى ان ترنم فرحا فعدت

وقد استبنت عينها ولكن لم استبن ابنها

المقامة الثامنة والثلاثون المروية

حكى الحارث بن همام قال حبب الي مذ سعت قدمي ونفث قلمي ان اتخذ الادب

شرعة والاقتباس منه نجعة فكنت انقب عن اخباره وخزنة اسراره فاذا الفيت

بغية الملتمس وجذوة المقتبس شددت يدي بغرزه واستنزلت منه زكاة كنزه

على اني لم الق كالسروجي في غزارة السحب ووضع الهناء مواضع النقب الا انه

كان اسير من المثل واسرع من القمر في النقل وكنت لهوى ملاقاته واستحلاء

مقاماته ارغب في الاغتراب واستعذب السفر الذي هو قطعة من العذاب

فلما طوحت الى مرو ولا غرو بشرني بلقائه زجر الطير والفال الذي هو بريد الخير

فلم ازل انشده في المحافل وعند تلاقي القوافل فلا اجد عنه مخبرا ولا ارى له

اثرا ولا عثيرا حتى غلب الياس على الطمع وانزوى التاميل وانقمع فاني لذات

يوم بحضرة والي مرو وكان ممن جمع الفضل والسرو اذ طلع ابو زيد في خلق

بال وخلق متدان فحيا الوالي تحية المحتاج اذا لقي رب التاج ثم قال له

ل اعلم وُقيت الذمّ وكُفيت الهمّ انّ من عُذقت به الاعمال اُعلقت به الامال ومن

رُفعت له الدرجات رُفعت اليه الحاجات وانّ السعيد من اذا قدر وواتاه

القدر ادّى زكاة النعم كما يؤدّي زكوة النعم والتزم لاهل الحرم كما يلتزم لذوي

الرحم وقد اصبحت بحمد الله عميد مصرك وعماد عصرك تُزجى الركائب الى حرمك

وتُرجى الرغائب من كرمك وتُنزل المطالب بساحتك وتُستنزل الراحة من راحتك

وكان فضل الله عليك عظيما ثمّ انّي شيخ تَرِب بعد الاتراب وعدم الاقتاب

حين شاب فقصدتك من محلّة نازحة وحالة رازحة آملا من بحرك دُفعة ومن

جاهك رفعة والتأميل افضل وسائل السائل ونائل النائل فوفّ ما يجب

عليك واحسن كما احسن الله اليك واياك ان تلوي عذارك عن ازديارك

وامّ دارك او تقبض راحتك عن امتياحك وامتيار سماحك فوالله ما مجد

من جمد ولا رشد من حشد بل اللبيب من اذا وجد جاد وان بدا بعائدة

عاد والكريم من اذا استوهب الذهب لم يهب ان يهب ثمّ امسك يرقب

اُكُل غرسه ويرصد مطية نفسه واحبّ الوالي ان يعلم هل ظفره ثمدًا ام

لم يجد مددًا فطفق يرتئي في استبراء نقده واستشفاف فرنده و[illegible]

على ابي زيد سرّ صمته وسبب ابطاء صلته فنفر مغضبا وانشد مقتضبا

شعر لا تحقرنّ ابيت اللعن ذا ادب ٭ لان بدا خَلَق السربال سُبروتا

ولا تضع لاخي التأميل حرمته ٭ اكان ذا لسن ام كان سكّيتا ٭ وانخ بعرفك من

مغتبطا وانفس بعوثك من الغيب مكنونا فخرها الفتى بال الشاد برا ذكرا
ثنا فلله الركبان او صبا رما على المشترى حمدا بموهبة غبن ولو كان ثمنا اعطاه
بامونا لولا المرية صانت العقدة من نظمن اذا اشرابت الى ما طابت الموتى
لكنه لا بناء المجد مجد ومن حب النتاج ثنى نحو العنا البنا وما نشر
الشكر ذو كرم الا وانفق بنشر المسك معنونا وليس والبخل لم يمنن اجتماعهما
حتى لتحسب ذا ضبا وذا حوتا والشح فى الناس محبوب خلائقه وليامد الكف
ما يفعله معونا والشح على اموالهم علل يوسعننا بلا دمنا وتبكينا لحدثها
كما ان من نشب حتى يرى مجدى جد ذاك مهونا ومنصب ملك منزل
رابعة من الزمان تولت لعود محزونا فالله من ان تستهينه حالك
تلك الحال ام شيئا فقال له الوالى لقد احسنت فاتق ولد الرجل انت تنظر اليه
من حمرمن ثم اشد وهو معض نظم لا تسئل المرء من ابوه وقد تحلى الرشد
حلا او فخرم فما يشين السلالة حين حلا فلا فضلها كونها ابنة الحصرم
فاكتسبه الوالى لبيانه الفائق حتى جلا مقعدها ثم قرب له من سبب
ما اذن بطول ذيله وقصر ليله فتهض عنه يردد ملاك وقلب جذلان وبغيه
حاد باحدقه وقد ثنيا خطو حتى اذا خرج من بابه وفصل عن عتابه قلت له هنيئا
بما اوتيت وملكت بما اوليت فاسفر بوجه وقال الا وقال شكرا لله تعالى ثم
خطر الخشا الا وانشد بما لا نظم من يكن ما له اللجا فخطا او سما فذو الطبيب الاصول

بفيض انقعت لا بفيض لي ويقول انقعت لا بفيض لي ثم قال للغسالين

الادب طوبى لمن جثى وذاب ثم ودعني وذهب واودعني اللهب المقامة

التاسعة والثلاثون العمانية اخبر الحارث بن همام قال لهجت مذ اخضر

ازاري وبقل عذاري بان اجوب البراري على ظهور المهاري اتخذ طوراً سلك

نائه عوزاً حتى قلبت العالم والمجاهل وبلوت المنازل والمناهل وادميت

السنابك والمناسم وانضيت النواجي والرواسم فلما مللت الاصحار وقد

سنح لي ارب بصحار ملت الى اختبار البحار واختيار الفلك السيار فنقلت

اليه اساودي واستصحبت زادي ومزادي ثم ركبته ركوب حاذر نادم ذي

نفس وجاذر فلما شرعنا في القلعة ورفعنا الشراع للسرعة سمعنا من شاطي المرسى

حين دجا الليل واغسى هاتفاً يقول شعرا اهل ذا الفلك القويم المرجى

في البحر العظيم بتقدير العزيز العليم هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم

فقلنا اقبسنا نارك ايها الدليل وارشدنا كما يرشد الخليل الخليل فقال

اتستصحبون ابن سبيل زاده في زبيل وظله غير ثقيل وما يبغي سوى مقيل

فاجمعنا على الجنوح اليه ولا نبخل بالماعون عليه فلما استوى على الفلك

قال اعوذ بمالك الملك من مسالك الهلك ثم قال انا روينا في الاخبار

المنقولة عن الاحبار ان الله تعالى ما اخذ على الجهال ان يتعلموا حتى اخذ

على العلماء ان يعلموا وان معي لعوذة عن الانبياء ماخوذة وعندي لكم

معجزة براهينها صحيحة وما دس في الكتمان ولا من يخشى الحرمان فانصتوا لمقالي
وتفهموا واعلموا ما تعلمون وعلموا ثم صاح صيحة المباهي وقال اتدرون
ما هي هي والله حرز السفر عند مسيرهم في البحر والجنة من الغم اذا جاش موج
اليم وبها استعصم نوح يوم الطوفان ونجا ومن معه من الحيوان على ما صدعت
به آي القرآن ثم قرأ بعد اساطير تلاها وزخارف جلاها وقال اركبوا فيها
بسم الله مجريها ومرسيها ثم تنفس تنفس المغرمين او عباد الله المكرمين وقال
اما انا فقد نفثت فيكم مقام المبلغين ونصحت لكم نصح البالغين وسلكت بكم محجة
الراشدين فاشهد اللهم وانت خير الشاهدين قال الحارث بن همام فاعجبني بيانه
البادي الطلاوة وعجبت لاصواتنا بالتلاوة وانسرب لي من حرسه مطلع شمسه
فقلت له بالذي سخر البحر اللجي الست السروجي فقال لي بلى وهل يخفى ابن جلا
فاحمدت حينئذ السفر وشكرت له عن نفسه اذ سفر ولم نزل نسير والجو صحو والبحر
رهو والعيش صفو والزمان لهو وانا اجد للقياه وجد المثري بعقيان وافرح
بمناجاته فرح الغريق بمنجاته الى ان عصفت الجنوب وعسفت بالجنوب ونسي
السفر ما كان وجاءهم الموج من كل مكان فلجأنا لهذا الحادث لثار الى الجزائر
لنريح ونستريح ريثما تواتي الريح ونادى علينا السروجي فلما اذن ادعي
النفير قال لي ابو زيد ان نجوى العود بالقعود فهل لك في استشارة
السعود بالصعود فقلت له اني لك لاتبع من ظلك واطوع من نعلك فنهضنا الي

الى جنية على صفحة من الربوة لم تكف في مرأى المبرة وكلائنا لامر ما فسلكنا

يهتدى بها سبيلا فاقبلنا نجوس خلالها ونتفيأ في ظلالها حتى افضينا

الى قصر مشيد له باب من حديد ودونه زمرة من عبيد فناسمناهم لنتخذهم

سلما الى الارتقاء وارشية للاستقاء فالفينا كلا منهم في شغل كبير

وكرب به سمير فقلنا ايتها الغلمة لم هذه الغمة فلم يحيروا النداء ولا فاهوا

ببيضاء ولا سوداء فلما رأينا نارهم نار الحباحب وخبرهم كسراب السباسب

قلنا شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه فابتدر خادم قد علته

كبرة وعلقته عبرة وقال يا قوم لا توسعونا عتبا ولا توجعونا سبا فانا

لفي حزن شامل وشغل عن الحديث شاغل فقال له ابو زيد نفس خناق

البث وانفث ان قدرت على النفث فانك ستجد مني عرافا كافيا

ووصافا شافيا فقال اعلم ان رب هذا القصر هو قطب هذه البقعة

وشاه هذه الرقعة الا انه لم يخل من كمد خالق من ولد ولو بلي بسكم

المغارس ويتخير من المغارس النفائس الى ان بشر بحمل عقيلته وادنت تمام

بعد سبيلته فنذرت له النذور واحصيت الايام والشهور وعمل عمل التاج

وصيغ الطوق والتاج عسر مخاض الوضع حتى خيف على الاصل والفرع فما منا

من يعرف قرارا ولا يطعم النوم الا غرارا ثم اجهش بالبكاء واعول وردد

وطول فقال له ابو زيد اسكن يا هذا واستبشر وابشر بالفرج وبشر

فتنادى عن هذا الطلق الذي اشترعها في الحلق فتبادرت الغلمة الى مولاهم مبشرين

بانكشاف بلوائهم فلم يكن الا كلا ولا حتى برز من هلم بنا اليه فلما دخلنا عليه

ومثلنا بين يديه قال لابي زيد ليهنك ما نالك ان صدق مقالك ولو بذل

ذلك وكان حكمك مستعظما ولو رمت شططا فاستحضر قلما مبريا وزندا

مجنيا وزعفرانا قد ديف في ماء ورد نظيف فلما رجع النفس حتى احضر

ما التمس فتجمد ابو زيد وعفر واستخف ثم اخذ القلم واختفر وكتب على الزند

بالمرهف شعر ايها المجتبى اتى منصحي : لك والنصح من شروط الدين : انني

مستعصم بكتمان : وفرار من التكوين مكين : ما ارى فيه من يروعك من : الف

مداج ولا عدو مبين : فمتى ما بدت سريرة بها : الى منزل الاذى والهون :

وراى لك الشقاء الذي : تلقى فتبكي بدمع عين هتون : فاستدم عيشك المصفى

ان تبيع المصون بالمظنون : واحترس من مخادع لك يبدي : لطف الهوى بالوجه الحصين :

ولعمري لقد نصحت ولكن : كم نصيح مشبه بظنين : ثم انه طوى المكتوب على القفل وقفل

عليه مائة قفلة وشد الزند في خرقة حريرة بعد ما ضمخها بعبير وامر بتعليقها

على لبة الماخض وان لا يعلق بها يد حائض فلم يك الا كفواق شارب أو

فواق حالب حتى اندلق مخض الولد لخصيتي الزند بعقدة الولد الصمد

فامتلأ القصر حبورا واستطار عنه وعبيده سرورا واحاطت الحاضرات بالجنين

تثني عليه وتقبل بين يديه وتبرك بما من حظه حتى خيل الي ان الاسدي ذو

دُرٍّ برّا والفرقد اوبين ثم انثال عليه من جوائز الحباب ووعدنا بالصلات ما يفوق الغنا

ويبقى لوجه المنار لم يحل بفناء الدخل مذ نجح التحمل الى ان اعطى البحر الامان

وتشوق الامام الى عمان فاكتفى اجدبه بالنحلة وناصب لنا علم نسيج الوالي

بحركته بعد تجربته بركته بالبحر او عزا الى خزانته وان يطلق يده في خزانته قال الحارث

بن همام فلما رايته قد مال الى الحنث يكسب بحثت عليه بالتعنيف وبحثت له

مفارقة المالف والالف فقال اليك عني واسمع مني شعر لا تصبون الى

وطن • فيه تضام وتمتهن • وارحل عن الدار التي • تعلي الوهاد على القنن •

واهرب الى كن يقي • ولو تحضنا حضن • وارب بنفسك ان تقيم • بحيث

يغشاك الدرن • ودع التذكر للمعاهد • والحنين الى سكن • وجب البلاد

فايها • ارضاك فاختره وطن • واعلم بان الحر في • اوطانه يلقى الغبن • كاللؤ

في الاصداف • يزدرى ويبخس في الثمن • ثم قال حسبك ما استمعت وحبذا

لو اتبعته وحضت معاذيري وقلت لم يكن عقد بي عقد واعتذر ووقه حتى

لم يعد ثم شيعني تشييع الاقارب الى ان ركبت في القارب فوجع عند ولنا الشكو

الفراق وادكر واود لو كان هلك لحين والله

المقامة الاربعون التبريزية

اخبر الحارث بن همام قال ازمعت التبرز من تبريز حين نبت بالذليل والعزيز

وخلت من الحمي والمجير فبينا انا في اعداد الاهبة وارتياد الصحبة لقيت ابا

زيد السروجي ملتفا بكساء ومحتفا بنساء فسالته عن امره والى اين مسيره

فاوقعنا الى مرأة سنيّ بامرة الشفوف طاهرة الثغور وقال تزوجت هذه لتونسني في

الغربة وترحض عني قشف العزبة فلقيت منها عرق القربة مطلي بحجي وتلطمني

فانا منها نضو وجى وحلف شجو وشجي وها نحن قد تساعينا الى الحاكم ليضرب على يد

الظالم فان انتظم بيننا الوفاق والا فالطلاق والانطلاق قال فقلت الى ان احس

لمن الغلب وكيف يكون المنقلب فجعلت شغلي ديدنه وجهتها وان كنت

لا اعنى فلما حضر القاضي وكان ممن يرى فضل الامساك ويبغض بنفاثة الحلاك

جثا ابو زيد بين يديه وقال ايد الله القاضي واحسن اليه مطيتي هذه ابية

القياد كثيرة الشراد مع اني اطوع لها من بنانها واحنى عليها من جنانها فقال لها

القاضي ويحك اما علمت ان النشوز يغضب الرب ويوجب الضرب فقالت انه ممن

يدور خلف الدار وياخذ الجار بالجار فقال له القاضي تبا لك اتبذر في السباخ وتستفتح

حيث لا افراخ اغرب بعيني لا نعم عوفك ولا امن خوفك فقال ابو زيد انها ورب مرسل

الرياح لاكذب من سجاح فقالت بل هو ومن طوق الحمامة وجنح النعامة لاكذب

من ابي ثمامة حين مخرق باليمامة فزفر ابو زيد زفير الشواظ واستشاط استشاطة

المغتاظ وقال لها ويلك يا دفار يا فجار يا غصة البعل والجار اتعمدين في الخلوة

لتعذيبي وتبدين في الحفلة تكذيبي وقد علمت اني حين بنيت عليك ودنوت

اليك الفيتك اقبح من قردة وايبس من قدة واخشن من ليفة وانتن من جيفة

واثقل من هيضة واقذر من حيضة وابرد من قشرة واحمق من

من محلة واوسع من مجلة فسترت عوارك ولطالما ابديت عارك على انه لو جليت علي شيرين
بجمالها وزبيدة بمالها وبلقيس بعرشها وبوران بفرشها والزباء بملكها ورابعة
بنسكها وخندف بفخرها والخنساء بشعرها في صخرها لأنفت ان تكون قعيدة
رحلي وحاضنة طفلي فتنمرت المراة وتنمرت وحسرت عن ساعدها وشمرت
وقالت له يا ألأم من مادر واشأم من قاشر واجبن من صافر واطيش من طامر
أترميني بشنارك وتفري عرضي بشفارك وانت تعلم انك احقر من قلامة واعيب
من بغلة ابي دلامة وافضح من حبقة في حلقة واحير من بقة في حقة وهب انك الحسن
البصري في الفطنة والوعظ والشعبي في العلم والحفظ والخليل في العروض والنحو وجريرا
في الغزل والهجو وقسا في الفصاحة والخطابة وعبد الحميد في البلاغة والكتابة
وابا عمرو في القراءة والاعراب والاصمعي في رواية عن الاعراب أتظنني أرضاك
اماما للمحراب وحساما للقراب لا والله ولا بوابا للباب ولا عصا للجراب فقال
لها القاضي اراكما شنا وطبقة وحدأة وبندقة فاتركي ايتها المراة اللدد
واسلكي في سيرك الجدد واما انت فكف عن سبابها وقر عينها اذا اتى البيت
عن بابه فقالت المراة والله ما اسجن عنه لساني الا اذا كساني ولا ارفع
له شراعي دون اشباعي فحلف ابو زيد بالمحرجات الثلاث انه لا يملك سوى
أي الطلقات الثلاث
اطماره الرثاث فنظر القاضي في قصصهما نظر الالمعي وافكر فكرة اللوذعي
ثم اقبل عليهما بوجه قد قطبه ومجن قد قلبه وقال ألم يكفكما التشاجر في مجلس

الحكم والاقدام على هذا الجرم حتى ترامتيما من حصن المحافظة الى حيص المخادعة

وايم الله لقد اخطات استكما الحفرة ولم يصب سهمكما الثغرة فان امير المؤمنين

اعز الله ببقائه الدين نصبني لافرق بين الحكماء لا لافرق بين القرباء فوحق

نعمته التي احلتني هذه الحلة وملكتني العقد والحل لئن لم تفصحا لي عن جلية خطبكما

وخبيئة خبكما لاندّدنّ بكما في الامصار ولاجعلنكما عبرة لاولي الابصار فاطرق ابو

زيد اطراق الشجاع ثم قال سماع سماع نظم انا السروجي وهذي عرسي وليس

كفو البدر غير الشمس وما تنافى انسها وانسي ولا تناءى دبرها عن حبسي

ولا عدت سقياي ارض غرسي لكننا منذ ليال خمس نصبح في ثوب الطوى ونمسي

لا نعرف المضغ ولا التحسي حتى كان الحفوت في النفس اشباح موتى نشروا من رمس

فحين عز الصبر والتاسي وشفنا الضر الاليم المس قمنا بهذا السعي للتحسي

هذا المقام لاجتلاب فلس والفقر يلحي الحر حين يرسي الى التحلي بلباس اللبس

فهذه حالي وهذا درسي فانظر الى يومي وسل عن امسي وامر بجبري ان تشا

او حبسي فيدك بتّ صحتي ونكسي فقال له القاضي ليثب انسك ولتطب

نفسك فقد حق لك ان تغفر خطيئتك وتوفر عطيتك فثارت الزوجة

عند ذلك واستطالت واشارت الى الحاضرين فقالت نظم يا اهل ثم لكم

حاكم اوفى على الحكام ... ما فيه من عيب سوى ... النده ...

فصدق والشيخ ... عودة مازال مهموزا فسرح الشيخ وقد نال من

جبذاه عصيصا وبيزا. وردني اخيب من شائم بقاطني في شهر تموز. كانه
لم يدر ان لذا لفقد الشيخ الا اجزا وانى ان شئت غادرته. اضحوكة في اهل
تبريز. قال فلما رأى القاضي اجتراء جنانهما واتصالات لسانهما علم انه قد منى منهما
بالداء العياء والداهية الدهياء وانه متى رجح احد الزوجين وصرف الآخر صفر
اليدين كان كمن قضى الدين بالدين او صلى المغرب ركعتين فظلم وطرم واخرنطم
وبطرم وهمهم وغمغم ثم التفت يمنة وشامة وتململ كاسف ونادم والحذر بدا
القضاء ومصاعبه ويعيد نوائبه ومثالبه ويبتدى طالبه وخاطبه ثم تنفس كما
يتنفس الكئيب واجهش حتى كاد يغص بالنحيب قال ان هذا الشيء عجيب او شىء
في موقف يبهما عالم في قضيتين معضلتين والحق ان ارضي الخصمين ومن ابن
ومن اين ثم عطف الى حاجبه المنفذ لنائبه وقال ما هذا يوم حكم وقضاء وفصل
وامضاء هذا يوم الاغتمام هذا يوم الاضطرام هذا يوم البحران هذا يوم الخسران
هذا عصيب هذا يوم يصاب فيه ولا يصيب فارحني من هذين المهذارين واقطع
لسانهما بدينارين ثم فرق الاصحاب واغلق الباب واشعر انه يوم مذموم وان القاضي
فيه مهموم لئلا يحضر فيه خصوم قال فاشترى الحاجب على دعائه وتباكى لبكائه ثم نقد
ابا زيد وعرسه المثقالين وقال اشهد انكما لاحيل الثقلين لكن احترما مجالس
الحكام واجتنبا فيها فحش الكلام فما كل قاض قاضي تبريز ولا كل وقت تسمع
الاراجيز فقالا له مثلك من يحب شكرك قد وجب ونهضا وقد خطبا بذينار

واصلها اطلب القاضي اذ ربن ولنشرح ما تضمن هذه المقامة من الالفاظ اللغوية

والامثال العربية قوله لقيت منها عرق القربة يضرب هذا المثل لمن يلقى شدة من

الامر الذي يزاوله كان حامل القربة يلقى جهدا حتى يعرق وقوله جعلته دبر اذني

معنى اطرحته وهو كقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم وقوله اكذب من سجاح هي التي

تنبأت في عهد مسيلمة الكذاب سارت اليه لتناظره فتزوجته ثم اسلمت

ووهبت نفسها له وهذا الاسم مبني على الكسر مثل حذام وقطام لكونه من الاسماء

المعدولة واشتقاقه من السجاحة وهي السهولة ومنه قولهم اذا ملكت فاسجح وقولها

اكذب من ابي ثمامة هي كنية مسيلمة الكذاب وكانت تنبأ باليمامة وحرب بها

الى ان سار اليه خالد بن الوليد فقتله وقوله لا نعم عوفك والعوف الحال والعوف

ايضا الذكر ويدعى به للباني على اهله فيقال له نعم عوفك وقوله يا دفار يا لكاع هذان

الاسمان معدولان عن دافرة ولكعة والدفر النتن ومنه سميت الدنيا ام دفر

وكل ما يجيء بصيغة فاعلة ثم عدل بها الى فعال مبني على الكسر هذا النداء كقولك

يا لكاع يا خباث يا دفار يا فجار ولا يجوز استعمال ذلك في غير النداء الا في ضرورة

الشعر كقول الشاعر شعر اطوف ما اطوف ثم آوي الى بيت قعيدته لكاع

واما قوله احمق من رجلة هو ضرب من الحمض ينبت في مجاري السيل فيجيء فيقلعها

واما قولها الأم من مادر فهو رجل من بني هلال بن عامر كان اتخذ حوضا يسقي

ابله فلما رويت سلح فيه ومدره بسلحه لئلا ينتفع به من بعده واما قولها اشأم

اشأم من قاشر فانه فحل كان في بعض قبائل سعد بن زيد مناة ما طرق ابلا الا
ماتت وقيل المراد به العام المجدب وسمي قاشرا لقشره وجه الارض من النبات
واما قولها اجبن من صافر فقد اختلف في تفسيره فقال بعضهم يعني به كل ما يصفر
من الطير وخص بالجبن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو وعصابة الارض وقيل انه
طاير بعينه اذا جنه الليل يعلق ببعض الاغصان ويطرب ويصفر طول الليل خوفا من
ان ينام فيؤخذ وقيل انه الذي يصفر بالمراة لريبة فهو يجبن وقت صفيره مخافة
ان يظهر على امره وقيل ان المراد به في المثل المصفور به وهو الذي يصفر به للصيد
ليهرب فعلى هذا القول فاعل ههنا بمعنى مفعول كقوله تعالى من ماء دافق اي مدفوق
وكقولهم راحلة بمعنى مرحولة وهو كثير في كلامهم وقد جاء مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى
حجابا مستورا اي ساترا وقوله تعالى انه كان وعده مأتيا واما قولها الطيش من
طامر فالمراد به البرغوث وسمي طامرا من طمر لكثرة وثوبه واما قول القاضي
الا كما شنا وطبقة وحذات وبندقة فانه اراد به ان كلا منكما كفؤ لصاحبه ومقاوم له
ولكل من المثلين تفسير مختلف فيه اما شن وطبقة فان العلماء يختلفون
في معنى قولهم وافق شن طبقة فقال الاكثرون انهما قبيلتان فشن هو ابن
افصى بن دعمي بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار وطبقة حي من اياد
وكانت طبقة لا تطاق فاوقعت بها شن فانتصفت منها وقال بعضهم
كان شن رجلا من دهاة العرب وكان الزم نفسه ان لا يتزوج الا بامراة

ثلاثمة فكان يجوب البلاد في ارتياد طلبته فصاحبه رجل في بعض اسفاره فلما اخذ منهما
السير قال له الشن اتحملني ام احملك فقال له الرجل يا جاهل هل يحمل الراكب ا فسكت
وسارا حتى اتيا على زرع فقال له الشن اترى هذا الزرع قد اكل ام لا فقال يا جاهل
اما تراه في سنبله فاسكت الى ان استقبلتهما جنازة فقال له الشن اترى صاحبها حيا
ام ميتا فقال له ما رايت اجهل منك اتراهم حملوا الى القبر حيا ثم انهما وصلا الى قرية
الرجل فصار به الى منزله وكانت له بنت تسمى طبقة فاخذ يطرفها بحديث رفيقه فقالت
له ما نطق الا بالصحيح ولا استفهم الا عما يستفهم عن مثله اما قوله اتحملني ام احملك
فانه اراد اتحدثني ام احدثك حتى نقطع الطريق بالحديث واما قوله اترى هذا
الزرع أُكِلَ ام لا فانه اراد هل استسلف اهله ثمنه ام لا واما استفهامه عن حياة
صاحب الجنازة فانه اراد به اخلف عقبا يحيى ذكره ام لا فلما خرج الرجل خطبها شن الى
ابيها لكمالها فخطبها اليه فزوجه اياها وسار بها الى قومه فلما خبروا ما فيهما من الدهاء
والفطنة قالوا وافق شن طبقة فسارت مثلا ويحكى عن الاصمعي انه سئل عن تفسير
هذا المثل فقال الشن وعاء من ادم كان قد استشن فلما اتخذ له غطاء وافقه
ضرب فيه هذا المثل واما حداة وبندقة فانه يقال في المثل المضروب لمن يعبث بعدوه قد يلي
ينظره هل احد وراك بندقة وكان في الاصل حداة باثبات الهاء في الحداة وقد اختلف
في المراد بهما فقيل هو الطائر المعروف وبندقة هي بندقة الرامي وقيل انهما قبيلتان من سعد
العشيرة فاغارت حداة وكانت تنزل بالكوفة على بندقة وكانت تنزل باليمن فنالت

لت منهم ثم كرت بنو فزارة على بني خزرادة فلحت عليهم وروى بعضهم هذا المثل حذاء

غزوة محموز على مثال عصا وقفا وزعم انه اسم القبيلة واما قوله اخطات استك

الحفرة فانه مثل يضرب لمن يخطي الشي عن قصده ويضع الشي في غير موضعه واما

قوله طلسم وطرسم فمعنى طلسم كره وتجهم ومعنى طرسم اطرق وقوله اخرنطم وبرطم

اي غضب وقطب وقيل معنى اخرنطم اي غضب مع تكبر ومعنى برطم اي غضب مع [illegible]

وقوله همهم وغمغم اي لم يبين الكلام

المقامة الحادية والاربعون التنيسية

قال اخبر الحارث بن همام قال لحظت دواعي التصابي في غلوا شبابي فلم ازل زيرا

للغيد واذنا للاغاريد الى ان وافى النذير وولى العيش النضير فنهضت الى الرشد

بالانشاء وندمت على ما فرطت في جنب الله ثم اخذت في كسع الهنات بالحسنات

وتلافي الهفوات قبل الفوات فملت عن معاناة الغانيات الى ملاقاة الثقات

وعن مماطنة القينات الى مداناة اهل الديانات والا اصحب الا من نزه عن الغي وفاؤه

منتشر الى الحق وان الفيت من هو خليع الرسن مائل الى الوسن انايت داري عن

داره وفررت من عره وعاره فلما القتني الغربة بتنيس واحلتني مسجدها

الانيس رايت به ذا حلقة ملتحمة ونظارة مزدحمة وهو يقول بجاش متين

ولسان مبين مسكين ابن ادم واي مسكين ركن من الدنيا الى غير ركين

واستعصم منها بغير مكين وذبح من حبها بغير سكين يكلف بها العناق

ويجلب عليها الشقاوة ويعتد فيها المفاخرة ولا يتزود منها للاخرة

اقسم بمن مرج البحرين ونور القمرين ورفع قدر الحجرين لو عقل ابن ادم لما نادم ولو فكر

فيما قدم لبكى الدم ولو ذكر المكافات لاستدرك ما فات ولو نظر في المآل لحسن قبح

الاعمال فيا عجبا كل العجب لمن يقتحم ذات اللهب ويكتنز الذهب ويخون النشب لذوي

النسب ثم من البدع العجب ان ينذرك وخط الشيب وتدنس بالعيب ولست

ترى ان تتوب وتهذب المعيب ثم اندفع ينشد انشاد من يرشد شعر يا ويح من

انذره شيبه وهو على غي الصبا منكمش يعشو الى نار الهوى بعدما اصبح من

ضعف القوى يرتعش ويمتطي اللهو ويمتده اوطا ما يفترش المفترش لم ينه

الشيب الذي ما راه في راسه ذا اللهب الارقش ولا انثنى عما نهاه النهى عنه

ولا بالى بعرض خدش فذاك ان مات فسحقا له وان يعش عد كان لم يعش

لا خير في محيا امرئ نشره كنشر ميت بعد عشر نبش وحبذا من عرضه طيب

يروق حسنا مثل برد رقش فقل لمن قد شاب ذنبا ملكت يا مسكين او تنقش

فاخلص التوبة تطفئ بها من لهب النار اللظى ما احتوش وعاشر الناس بخلق رضا

ودار من طاش ومن لم يطش ورش جناح الحر ان حصه زمانه ما كان من لم يرش

وانجد الموتور ظلما فان عجزت عن انجاده فاستجش وانعش اذا ناداك ذو كبوة

عساك في الحشر به تنتعش وهاك كاس النصح فاشرب وجد بفضلة الكاس على من عطش

قال فلما فرغ من مبكياته وفض لنشاد اباته نهض صبي قد شدن واعرورى البدن

وقال يا ذوي الحصاة والانصات لحلى الوصات قد وعيتم الانشاد وفهمتم

الارشاد بين نوامكران يقيل ويصلح المستقيل فلبثت نبرق من نشره لا نعدل عنه

بعطيته فوالذي يعلم الاسرار ويغفر الاوزار ان سري كما ترون وان نجي لمستوجب

الصون فاصبوت يرتقم العون قال فهذا الشيخ فيما يعطف عليه القلوب ويستجلب له

المطلوب حتى استطعمه واستوهب نقده فلما ان نزع الكيس ارصلت نبس وتجلد

تبتبس ولم يحل الشيخ لمقام بعدما انصاع الغلام فاستزع الايدي للتقاء ثم نحا

نحو الانكفاء قال الراوي فاريحنا الى ان انجحد واهل مرجه فتبعته وهو يتشدق

سمعه ولا يفتق رتق صمته فلما امن المفاجي وامكن التناجي لفت جيده لي ثم سلم

تسليم لبشاشته علي ثم قال ارأيتك ذكاء ذاك الشويدن قلت اي والمومن المهيمن

قال انه فتى السروجي ومخرج الدر من اللجي فقلت اشهد انك لشجرة ثمره وسقط

شرارة فصدق كهانتي واستحسن ابانتي ثم قال هل لك في بدار البيت لتنازع

كاس الكميت فقلت له ويحك اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم فافتر افترار

متضاحك ومر غير حافل ثم بدا له ان يراجع لي وقال الخفاء وعلى الصرف

تصرفا الراح عنك الاسي وتروح القلب لا تكتئب وقل لمن لامك فيما بدع

عنك الهم فذلك انتب ثم قال اما انا فسانطلق الى حيث اصطبح واغتبق واذا

كنت لا تصحب نداماي من طرب فلست لي بصحب ولا طريقك لي بطريق فخل سبيلي

ونكب ولا تتعرض ولا تستعتب ثم ولى مدبرًا ولم يعقب قال الحارث بن همام

فالتهبت وجدًا عند انطلاقه ووددت لو لم الاقه المقامة [illegible]

حكى الحارث بن همام قد ترامت بي مرامي النوى ومسارح الهوى أن صرت ابن كل تربة

واخا كل غربة الا اني لم اكن اقطع واديا ولا اشهد ناديا الا لاقتباس الادب المسلي

عن الاشجان المغلي قيمة الانسان حتى عرفت لي هذه الشنشنة وتناقلتها عني الالسنة

وصارت اعلق بي من الهوى ببني عذرة والشجاعة بآل ابي صفرة فلما القيت جراني بحران

واصطفيت بها الخلان والجيران اتخذت انديتها معتمري وموسم تفكاهي وسمري

فكنت اشهدها صباح مسا واظهر فيها على ما سر وسا فبينا انا في ناد محشود ومحفل

مشهود اذ جثم لدينا ثم سلم علينا تحية ملق بلسان ذلق ثم قال يا

بدور المحافل ونجوم النوافل قد بين الصبح لذي عينين وناب العيان مناب عدلين

فماذا ترون فيما تبصرون احسنوا العون ام تشاؤون ان تدعون فقالوا والله

لقد نفثت ودمت ان تنبط فغضت فناشدهم الله عما ذا استهم حتى استوجب

رفقهم فقالوا كنا نتناضل بالالغاز كما يتناضل يوم البراز فما لك ان شئت

من الفضول والحق هذا الفضل بمط الفضول فلمحه ليس القوم وخزره بالشزر

اللوم واخذهو يتنصل من هفوته ويستدم على نوهته وهم مضبون على منافثته

ومليون دائي منابذته الى ان قال لهم يا قوم ان الاحتمال من كرم الطبع فعدوا

عن اللذع والقذع ثم هلموا الى ان نلغز ويحكم البز فسكن عند ذلك نوافدهم

الاحرى البحر لشم

واطفئت عقدتهم ورضوا بما شرط عليهم وطرا واقترحوا ان يكون اولهم فاستدنيا

يعقد شسع او يشد شسع ثم قال اسمعوا رفيتم الطيش وطيبتم العيش وانشد ملغزا

ملغزًا في مروحة الخيش نظم وجارية في سيرها مشمعلة، ولكن على اثر المسير قفولها،

لها سائق من جنسها يستحثها على انه في الاحتثاث رسيلها، ترى في اوان القيظ تنطف

بالندى، وتبدو اذا ولى المصيف نحولها، ثم قال وهاكم يا اولي الفضل ومراكز العقل

وانشد ملغزًا في حبل النخل نظم ومنتسب الى ام تنشا اصلها منها، تباشرها وقد كانت

تقر بهجر عنها، به يوصل الجاني ولا يلحى ولا ينهى، ثم قال ودونكم خبيئة العلم المكتّم

الظلام وانشد ملغزًا في القلم نظم ومأموم به عرف الامام، كما باهت بصحبته الكرام،

له اذ يرتوي طيشان صاد، ويسكن حين يعروه الاوام، ويذري حين يستسقي

دموعًا، يرق كما يروق الابتسام، ثم قال وعليكم بالواضحة الدليل الفاضحة ما بال

وانشد ملغزًا في الميل نظم وما ناكح اختين جهرًا وخفية، وليس عليه في النكاح سبيل،

متى يغش هذي يغش في الحال هذه وان مال بعل لم يجده يميل، يزيدهما عند

المشيب تعهدًا، وبرًا وهذا في البعول قليل، ثم قال وهذه يا ذوي الالباب وعيار

الآداب وانشد ملغزًا في الكلاب نظم وجان وهو موصول وصول لجانح،

غريب بارز عجيب لمن راسب طاف، تبيح دموع مصون ويهضم هضم متلاف،

ويخشى منه جدته ولكن ظلم جانب، قال فلما رشق بالخمس التي رشق قال يا قوم

تدبروا هذه الخمس واعقدوا عليها الخنصر ثم رايكم وضح الدليل والا تزودوا من الكيل

فاستفزت القوم شهوة الزيادة على ما اشتروا من البلادة فقالوا ان دونها

دون حدتك ليعجزنا عن سبرها فنا ما سمت عشرًا من عندك فاهتز اهتزاز

من نَجَحِ سهمه واخزل الخصم ثم افتتح النطق بالبسملة وانشد ملغزا في المُكحُلة نظم

ومسرورةٍ مغمومةٍ طول دهرها * وما هي تدري ما السرور ولا الغم * تُقرَّب احيانا

لاجل جنينها * وكم ولد لولاه طُلِّقت الام * وتُبعَد احيانا وما طال عهدها * وابعاد

من لم يحلّ عهده ظلم * اذا نفر الليل استلذّ وصالها * وان طال فالاعراض عن

وصالها نعم * لها ملبسٌ بادٍ انيق مبطّنٌ * بما يرتدي لكن يزدري لحكم * ثم كشف

عن انيابه الصفر وانشد ملغزا في الظفر نظم ومرهوب انشابه وما يرى الا بهيم *

يرى في العشر دون الحرز ... سمع ... والعجب * ثم تحادر العزيت وانشد

ملغزا في طاقة الكبريت نظم وما محقورة تُدني وتُقصى * وعامتها اذا انكرت بلد *

لها راسان مشتبهان جدا * وكل منهما للاخر ضد * تعذّب ان هما خضبا ولكن *

اذا عدم الخضاب فلا تعدّ * ثم تمخّط تمخّط القرم وانشد ملغزا في سيلان الكرم نظم

وما شيء اذا انسد يحول عنه رشدا * وان هو زال او ضاع اثار التيه حيث بدا *

نكى العرف ولا ... ولكن بئس ما ولدا * ثم اعتضد عصا التسيار وانشد ملغزا في الطيار

نظم وذي طيشٍ شقه مائل * وما عابه بها عاقل * يُرى ابدا فوق علّيّة * كما يعتلي

الملك العادل * تساوى لديه الحصا والنضار * وما يستوي الحق والباطل * واعجب

اوصافه ان تطرقت * كما ينظر الكيس الفاضل * تراضى الخصوم به حاكما * وقد عرفوا انه مائل *

فانطلقت الافكار تهيم في اودية الاوهام وتجول جولان السهام الى ان طال الامد

وحصل الكمد فلما راهم يتحددون ولا يستانسون النهار بالمنى قال يا قوم الام

الا تنظرون فحتام تنظرون الى ما بان لكم من استخراج الحب واستسلام لعبي فقالوا

انا لله لقد عوضت وضيّعت الشرك فنقصت لحكم كيف شئت وخر القوم واصيبت

ففرض عن كل معنى فرضا واستخلاصهم منهم نصائح نخ الاثقال ووسم الاغفال وحاول

الاحفال فعلق بردنه القوم وقال الا البسة بعد اليوم فاستغنيت قبل

الانطلاق وهبها منعة الطلاق فاطرق حتى قلنا مريب ثم انشد والدمع يصيب

نظم سروج مطلع شمسي وربع لهوي وانسي ؛ لكن حرمت نعيمي بها ولذة نفسي

واعتضت عنها اغترابا امر يومي وامسي ؛ مالي مقر بارض ولا قرار لعنسي ؛ يوما بنجد

ويوما بالشام اضحي وامسي ؛ ازجي الزمان بقوت منغص مستخس ؛ ولا ابيت وعندي

فلس ومن لي بفلس ؛ ومن يعش مثل عيشي باع الحياة ببخس ؛ ثم انه اخضل خلاصة

النفس وودعنا باقي الارض فناشدناه ان يعود واستنبنا له الوعود فلا والله

ما رجع ولا الاثر عيب عنه خبر [illegible]

اخبر الحارث بن همام قال لحقني بالبين المطوح والسير المبرح الى ارض يضل بها الخريت

ويفرق فيها الصاحب فوجدت ما وجد الحائر الوجه ورايت ما كنت منه احيد

الا اني تثبت قلبي المتوقد ولسان مقوم الجهود وسرت سير الضارب بقدح

المستسلم وانا بين مخد وذميل واجازة ميل بعد ميل الى ان كادت الشمس

تجب والضياء تحتجب وبعث لاظلال الظلام واقتحام جيش حام وهل اذرع الكفت

الذيل وارتبط ام اعتدّ للسيل واختبط وبينا انا اقلب العزم وامخض الحزم

فرأيت شيخا جال مسنده يجيل فرجته جنته سبج وقصبه منبع فدا الفتى
كهانة والركوبة عبابه والموج قذا زمل بجاده والتحف ببرداده فجلست عنده اسمر
حتى هب من نعاسه فلما ازدهر سراجه ولحت بي فجاه نفر كانهم المريب
وفي المخول ام الذيب فقلت بالخابط ليل ضل المسالك فاصغ لي انتج لك فقال
ليبهجنك هنالك فرحتاج لم لله امك فاسرى عند ذلك اشتياقي وسرى الحزن
الى الماق فقال عند الصباح يحمد القوم السرى فهل بعد كما ارى فقلت انى
لك لاطوع من حذائك واوفق من غذائك فضع بحبتي وتخنخ بعجوتي ثم احملنا
مجدين وارتحلنا متطين ولم نزل نجاذب السهر ونغاضي الكرى الى ان بلغ الليل
غايته ورفع الفجر رايته فلما اسفر الصباح ولم يبق الا واضح توسمت رفيق رحلتي
وسمير ليلتي فاذا هو ابو زيد مطلب الناشد ومعلم الراشد فتهادينا تحية المحبين
اذا التقيا بعد البين ثم تباثثنا الاسرار وتناثثنا الاخبار وبعيري يخطم من الكلال
وراحلته تزف زفيف الرال فعجبت اشتداد اسرها وامتداد صبرها واحببت ان استشف
جوهرها واستعلم من ابن خبرها فقال ان لهذه الناقة خبرا احلو المذاقة مليح السياقة
فان احببت استماعه فانخ وان لم تشا ولا تنخ فانخت لقوله نضوي واهديت
السمع لما يروي فقال اعلم اني استعرضتها بحضرموت وكابدت في تحصيلها الموت
فما زلت اجوب عليها البلدان واطس بها الظران الى ان وجدتها عبر اسفار
وعدة قرار لا يلحقها العناء ولا تواهقها وجناء ولا تدري ما الهناء فرصتها

بها النجم والشجر واطلقتها على البر السّرة فتوق ان ندّت متنذّة وما لي سواها فجعته
فاستشعرت الاسف واستشرفت التلف ونسيت كل رزء سلف ومكثت ثلاثا
لا استطيع انبعاثا ولا اطعم النوم الا احتثاثا ثم اخذت في استقراء المسالك وتفقد
المسارح والمبارك وانا لا استشفي منها نجحا ولا استشفي باستامرها وكلما ادركت
مضاءها في السير وانتزاءها للمبارات لطير اعزي الادكار واسهو عن الافكار فبينما
انا في حال بعض الاحياء اذ سمعت من شخص شبعه صوت مجرد من ضلت له مطية
حضرمية وطية جلدها قد وسم وعرقها قد حسم وزمامها قد ضفر وظهرها كان
قد كسر ثم جبر تزين الماشية وتفين الناشية وتقطع المسافة النائية وتعل
ابدا للك مدا بيته لا يعثو بها الونا ولا يعترضها الوجا ولا تعصي فتهين عصا قال [illegible]
فجذبني الصوت الى الصايت وبشرني بدرك الفايت فلما افضيت اليه وسلمت عليه
قلت له سلم المطية وتسلم العطية فقال وما مطيتك عفرت خطيئتك فقلت ناقة
جثتها كالهضبة وذروتها كالقبة وحلبها ملء العلبة وكنت اعطيت بها عشرين
اذ حللت بيبرين فاستزدت الذي اعطى حين انها اخطى قال فاعرض عني حين سمع
صفتي وقال لست بصاحب لقطتي فحذفت بتلابيبه واصررت على تكذيبه وهممت
بتمزيق جلابيبه وهو يقول يا هذا ما مطيتي بمطيتك فاكفف من غربك وعد عن
سبك والا فقاضني الى حكم هذا الحي البري من الغي فان اوجبها لك فتسلمها وان زواها
عنك فلا تتكلم فلم ار دواء لضيقي ولا مساغ غصتي الا ان اتي الحكم ولو لكم فانحطا

الى الشيخ وكيف استصحبه اخو العصبة وتبيّن منه سكون الطائر وان ليس بالجائر فاندفع

انظار الم وانا الموصاحبي برهة لا نبرم امرا حتى اذا نشلت كنانتي ونضبت من القصص

لبانتي اجزنا بغلامين شبّ الوزن محدقة الى سلك الحرث وفي لهذه التي عرفت

وانّها وصفت فان كانت هي التي اعطى بها عشرين وها هو من المبرئين فقد كذب

في تحوله وكبر ما افتراه المتّهم الا ان يمد قذاله ويتبيّن مصداق ما قاله فقال الحكم

اللهمّ غفرا ويجعل يقلب النعل بطنا وظهرا ثم قال اما هذه النعل فنعلي واما عطفك

ففي رحلي فانهض لتسلم ما انالك وافعل الخير بحسب ما املك فنهضت وقلت اسلم يا ابيت

العين ذي لحم والطائفين العاكفين في الحرم انك نعم من بحكم وحبره فرح

الاعاريب حكم فاسلم ودم دوام الشام واليمن فجاب من حبر ربه ولا عقد يعتمر

وقال اغرب عنا بغير شكر الحمد يا ابن عم اذلك استوجب شكرا بالترم شر الانام

اذا استقضى ظلم ثم من استرعى فلم يرع الحرم فذان والكلب سوا في القيم ثم انه

نفذ بمن بقي من سلم التاترات ولم يبق على فرحت اجرّ ذيل الطرب واقول

يا للعجب قال الحارث بن همام فقلت له تالله لقد اطرفت وهربت بما عرفت

فناشدتك الله هل لقيت اعجز منك بالبغي واحسن للالفاظ صياغة فقال اللهم

نعم فاسمع وانعم كنت عرضت حين انفقت ان اتخذ ظعينة لتكون معينة

فحين تعذّر الخطب وكاد الامر يستتب فكرت فكر المتحرّز من توهم المتأمل كيف

مسقط السهم وتبيّنت انى ناجي لها العتب وانقلب العزم المذبذب الى جعبت علي

على ان اتخيّر واشاور اقلّ من تعرّفني فوصفت لقلة اطلابها وعلّت الشهب

اذنابها عندرت عن درك المعرفة وابكرت ابتكار المصيف فانتحى لي بارع في وجهه

في شافع فتيمنت بمنظره البهيج واستنصحت رايه في التزويج فقال اوَتبغيها

عوانًا ام بكرًا تعاني فقلت اختر لي ما ترى فقد القيت اليك حبل العرى فقال

الى الثيبين وعليك التبيين فاسمع ما انبيك بعد دفن ما عانيك اما البكر

فالدرّة المخزونة والبيضة المكنونة والثمرة الباكورة والسلافة المذخورة

والروضة الانف والطوق الذي ثمن وشرف لم يدنسها لامس ولا استغشاها

لابس ولا مارسها عابث ولا وكسها طامث ولها الوجه الحيي والطرف الخفي

واللسان العيي والقلب النقي ثم هي الدمية الملاعبة واللعبة المداعبة والغزالة

المغازلة والملحة الكاملة والوشاح الطاهر القشيب والضجيع الذي يشبّبك ولا يشيّب

واما الثيب فالمطية المذللة واللهنة المعجلة والبغية المسهلة والطبّة

المعللة والقرينة المحببة والحليلة المتقربة والصناع المدبّرة والفطنة

المجرّبة ثم انها عجالة الراكب وانشوطة الخاطب وقعدة العاجز ونهزة

المبارز عريكتها لينة وعقلتها هينة ودخلتها مبيّنة وخدمتها مزيّنة

واقسم لقد صدعت في الفنين واطلبت الهائين فبايّتهما هام قلبك

وعلى ايّهما قام تنكيرك قال ابو زيد فرايته جذيلة يتقيها المراجم وتتقى منها

المحاجم الا اني قلت له كنت سمعت ان البكر اشدّ حبًا واقلّ خبًا فقال

لعمري قيل هذا ولكن كم من قول اذى ويحك اما في المرأة الأيِّمة المئناث
والمطيّة البطيئة الإذعان والزندة المتعسّرة الاقتداح والقلعة المستصعبة
الافتتاح ثم ان مؤونتها كثيرة ومعونتها يسيرة وعشرتها صلفة ودالّتها
مكلفة ويدها خرقاء وفتنتها صمّاء وعريكتها خشناء وليلتها ليلاء وفي
رياضتها عناء وعلى خبرتها غشاء وطالما اخزت المنازل وفركت الغازل
واحفظت الهازل واضرعت الفتى البازل ثم انها التي تقول انا ألبس
واجلس واطلب من يطلّق ويحبس فقلت له فما ترى في الثيّب يا ابا الطيّب
قال ويحك أترغب في فضالة المآكل وثمالة المناهل واللباس المستبذل والوعاء
المستعمل والذوّاقة المطّرفة والخرّاجة المتصرّفة والوقاح المتسلّطة والمحتكرة
المتسخّطة ثم كلمتها كنت وصرت وطالما بُغي عليّ فنُصرت وشتّان بين اليوم
والأمس وهيهات القمر من الشمس وان كانت حنّانة البروك او الطامح الهلوك
فهي الغلّ القمل والجرح الذي لا يندمل فقلت له افترى ان اترهّب واسلك هذا
المذهب فانتهرني انتهار المؤدّب عند زلّة المتأدّب ثم قال ويلك أتقتدي
بالرهبان والحق قد استبان اف لك ولوهن رايك وتبًّا لك ولا فكّك
اتراك ما سمعت بان لا رهبانية في الاسلام او لا حدّثت بمناكح نبيك
عليه افضل السلام ثم اما تعلم ان القرينة الصالحة تربّ بيتك وتلبّي صوتك
وتغضّ طرفك وتطيّب عرفك وبها ترى قرّة عينك وريحانة انفك وفرحة

وزجرت قلبك وخلدك كراهة وصيته بوجهك وفؤادك فكيف بعثت من سفر الرسائل

وصغرت لشأنه قلبين وشرعت الحصنين وحطبت لمال الطالبين والله لقد سكرني نبأها

سمعت من قبلك ثم أعرض إعراض المغضب وتنزى تنزي المغضب فقلت له تالله لقد نطق

مختبرا وتدعي مختبرا فقال أظنك تدعي لجبرة التجلد خبرة وتستخف من المهن

لم يجا الله طلك ولا أثبت قربك ثم رحت عنه مراح الحزبان وبت من مساورة الصبابة

قال الحارث بن همام فعلمت أنه من أنبت الأبيات لحيد عنك وللتيك فأغرب

في الضحك وطرب طربة المنهمك ثم قال أعرّ من العسل ولا أسل فأخذت أسهب في

مدح الأدب وأفضل ربه على ذي النشب وهو ينظر إلي نظرة المستجهل ويغضي إغضاء

المستهل فلما أسرفت في العصبية للعصبة الأدبية قال لي صه واسمع مني وافقه

شعر يقولون إن جمال الفتى وزينته أدب راجح وما إن يزين سوى المكثر

ومن طود سؤدده شامخ فأما الفقير فخير له من الأدب القرص والكامخ وأي جمال

له أن يقال أديب معلم أو ناسخ ثم قال سيضح لك صدق لهجتي واستناد حجتي

وسرنا لا نألو جهدا ولا نستطيب جهدا حتى أتينا إلى قرية غرب عنها الخير

فدخلنا لها للارتياد وكلانا منفض من الزاد فما لبثنا أن لقينا الحط والمناخ المختط

إذ لقينا غلام لم يبلغ الحنث وعلى عاتقه ضغث فحياه أبو زيد تحية المسلم وسأله

وقفة المتفهم فقال نعم تسأل وتقل لله قال أيباع ههنا الرطب بالخطب قال

لا والله قال ولا البلح بالملح قال كلا والله قال ولا الثمر بالتمر قال هيهات والله

قال ولا الصاحب بالصاحب قال اسكت عافاك الله قال ولا الدهن بالمعز الدهين
قال اخ يذهب بك وشلك الله قال ولا التراب بالقرابد قال لقد من هذا اضحكت الله
فاستحلى ابو زيد تراجع السؤال والجواب والتقابل من هذا الجراب ولمح الغلام ان الشوه
مطين فقال لا حسبك يا شيخ فقد عرفت فنك واستبنت انك لتخذ الجواب حبيه
واكنف برضيه اما بهذا المكان فلا يشترى الشعر بشعيره ولا النثر بنثاره ولا
القصص بقصاصه ولا الرسالة بغسالة ولا حكم لقمان بلقمه ولا اخبار الملاحم بلحمه واما
جيل هذا الزمان فما فيهم من يميح اذا اصيح له المديح ولا من يجيز اذا انشد له الاراجيز
ولا يغيث اذا اطربه الحديث ولا يمير ولو انه امير وعندهم ان مثل الاديب كالربع الجديب
وان لم يجد الربيع ديمه لم تكن له قيمه ولا ذاتت به بهيمه وكذا الاديب ان لم يعضده نشب
فنهوضه حزنه حطب ثم انسد بعد ووليه بجد فقال لي ابو زيد اعلمت ان الادب
قد بار وولت انصاره الادبار بنوب لعين البصيره وسلمت بحكم الضروره فقال
دعنا الان من الملاح وخذ في حديث الصلاح واعلم ان الاحجاج لا يشبع منه فما
التدبير فيما يسك الرمق ويطفي الحرق فقلت الامر اليك والزمام بيديك قال ارى
ان ترهن سيفك للشبع جوعك وضعفك فناولنيه واقسم لا تغلب الطلو بما
تلتقم فاحسنت به الظن وقلدته السيف والرهن فما لبث ان ركب ناقة الوفض
الصدق والصدا فمكثت مليا ارتقبه ثم نهضت اتتبعه فكنت كمن ضيع اللبن
في الصيف ولم اظفر ولا بالسيف المقامة الثالثة بعد الاربعين البكرية
حكي

حكى الحارث بن همام قال عشوت في ليلة داجية الظلم فاحمة اللمم الى نار تضرم
قصدت ودنوت
على علم وتخبر عن كرم وكانت ليلة جوها مقرور وجيبها مزرور ونجمها مغمور
وغيمها مركوم وانا فيها اصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء فلم ازل اتضرب بين
واقول طوبى لك ولنفسي الى ان نصّ لي الوقد الى سنى ارقاني الى ناضر بعده
يحييني ويبش لمجيئه نظم حييت من خابط ليل سار هداه بل هداه ضوء النار
الى رحيب الباع رحب الدار مرحبا بالطارق الممتار من جاء جعد الكف بالدينار
ليس بمزور عن الزوار ولا بمغنام القرى جبار اذا اقشعرت تربة الاقطار
وضنت الانواء بالامطار فهو على عسر الزمان الضاري جم الرماد مرهف الشفار
لم يخل في ليل ولا نهار من حرقة وانقداح وار ثم تلقاني ببحباحه وصافحني
براحة اريحي واقتادني الى بيت عشاره منحور واعشاره مسجور وولائده تمور وصلاته
تتمد باكثار اصناف فتجلبهم جالبي وعلوا اني لي وهم يجتنون فاكهة
الشتاء ويمرحون مرح ذوي الفتاء واجدت ما اجدتم في الاصطلاء ووجدت
بهم وجد الثمل بالطلاء ولما ان سري خصري واستريح حصري ابنا بموائد كالهالات
دورا والروضات نورا وقد شحنت بالاطعمة الولائم وحمين من العائب اللائم
فنضنا ما قيل في البطنة ودابنا الاعنان فيها من الفطنة حتى اذا اكتلنا
بصاع الحطم واشفينا على خطر التخم تعاودنا مستوبل الغمر ثم تبوأنا مقاعد
السمر واخذ كل منا يشول بلسانه وينشر ما في صوانه ما عدا شيخا مشتهيا

فوداه مطلولا بداه فاتربص حجرة ولو سعنا بحرة فغاظنا تجنبه الملتبس ومن
المعتقدة صدموثيته الا انا الثاله القول وحشينا في المسئلة العولى وكلما سما
ان يمنض كما نضنا او يمض كما افضنا اعرض لعراض العليم عن الاولى لان لا
ان هذا الا اساطير الاولين ثم كانت الحمية هاجسه والنفس الابية ناجسه فلفف
وانجلف وخلع الصلف وبذل ان يتلافى ما سلف ثم استرجع جمع الشارد ونفخ
كالسيل العارم وقال عندي لعاجيب ارويها بلا كذب عن العيان فكنوني
ابا العجب رايت يا قوم اقواما غذاؤهم بول العجوز وما اعني ابنة العنب
بل العجوز لبن البقرة والعجوز ايضا من اسماء الخمر وسنين من الاعراب مخمام
ان يشتو واخروا يغني من السغب لحوقا القطعة من جراد وكاتبين وما خطت
اناملهم حرفا ولا قروا ما خط في الكتب الكاتبون الخارزون بها الكتب السقا
والمزادة اذا خرزها وكتب البغلة والناقة اذا جمع بين شفريها بحلقة او سير وانشد
شعر لا تامنن فزاريا خلوت به على قلوصك واكتبها باسيار وناعقين عقابا
في مسيرهم على تكبهم في المبيض والبليب العقاب الراية وكانت راية النبي صلى
الله عليه وآله تسمى العقاب ومنتدين ذوي بذل تيت لهم سبيلة فانثنوا منها
الى الحرب النبيلة الجيفة ومنه نبل البعير اذا مات وادبح ومصرهم البيت
العتيق وقد حجت جثيا بلا شك على الركب مع حجيجا جثيا اي غلبت بالحجة
محادلين جاثين على الركب وجثي جمع جاث ونسوة بينا ادجن من حلب صحى

صحبت كاظمة من غيرها نعب · كاظمة في هذا الموضع كاظمة العتب · وصلت بين ترابا

من ارض كاظمة · واصبحوا حين لاح الصبح في حلب · اي اصبحوا يحلبون اللبن ·

وفي دربين سنى ما ساء صنعهم · او قصروا فيه قالوا الذنب للحطب · القادر الطابخ والقدر

المطبوخ في القدر · وبانقا لم يلامس ظاغيث شاهدة ولم يسل من لعب · الكرع

الذي قد ترعرع في امر البلوغ والنسل ههنا العدو ومنه قوله تعالى من كل حدب ينسلون

والعيش منه في العلم · وشابا عن محض المشيب بان في العبد وهو محض اللبن المشوب ·

الشائب ههنا مانح اللبن والمشيب اللبن الممزوج ويقال فيه مشوب ومشيب

· ثم رضيعا لبان لم يفد فيه راسه في تجاذب بين السبب · التجاذب الجذب ما لم تكن معه المد

فان خللت فهي الهوج والسبب ههنا الحبل ومنه قوله تعالى فليمدد بسبب الى السماء

· ومد لها ندة حتى اذا حصدت صارت غبراء يهواها اخو الطرب ·

الغبراء السكر المتخذ من الذرة وفي الحديث اياكم والغبيراء فانها خمر العالم وتسمى

ايضا السكركة · وركضنا وهو مغلو على وزن · قد نغلوا ايضا وما ينغلق من حبب ·

المغلو ههنا العطشان وغلّ اي عطش · وذا ابيطرق يقتاد راحلة مستعجلا

وهو ما سور اخو كرب · الماسور الذي يجد الاسر وهو احتباس البول ·

وما لنا ما ماشينا فهو مطيته به وما لي الذي قد فدت من ريب · الحالس

الاثن نجدا والماشي الذي كثرت ماشيته وفسر بعضهم قوله تعالى ان امشوا كانه

دعا لهم بالنماء وكثرة الماشية وما بها احد من الكلفين ذا ارب · فانجيتم فكم

فالحائك من عجب · الحائك الذي اذا مشى جرّ السكينة وتنحّ بين ركبتيه · وصادعًا

بالقنا من غير ان سلفت كفاه يومًا بسح ولا ورثت · القنا ارتفاع الانف وعدس

وسطه وصدع به اى كشفه · وساعيًا في مسرات الانام يرى · افراحهم مآتما كالقلم

والكتب · افراحهم امثالهم بالدين ومنه قوله عليه السلام لا افرح في الاسلام مفرح

ومعرّها بمنطابلة الحالة · وما الرقي حديث الخلق من اريب · لخلو عهدها الكذب

ومنه قوله تعالى ان هذا الا خلق الاولين · وذا استطالة كقصبة الرمح فامنه

صادفته متى يشكو من الحدبة · الحدب ما ارتفع من الارض · وذا ذمام ووفت

بالعهد ذمته ولا ذمام له في مذهب العرب · الذمام الاول العهد والثاني جمع

ذمة وهي البئر القليلة الماء · بالمذهب المسلك اى عالم بالبيد اذ قليلة الماء

· وذا اقوى ما استبانت قط لينته ولينه مستبان غير محتجب · اللين النخل

الدقل ومنه قوله تعالى ما قطعتم من لينة · وسليمًا وفي محلها عن مكروث بما ادّى

بل يراه افضل القرب · المحل الحصير المتخذ من فحال النخل · وعاذرًا مولاه من

ظلّ بعينه مع التلطف والمعذور في صحب · العاذر الخاتن والمعذور المختون

· وبلدة ما بها ماء لمغترف والماء يجري عليها جري منسرب · البلدة الفرجة

بين الحاجبين وتسمى ايضًا البلجة · وقرية دون الخوص القطا سمحت · بعلم

عيشهم من خلس السلب · القرية بيت النمل والتلم النمل الكثير · وكوكبًا

يتوارى عند رؤيته الانسان حتى يرى فاضع الحجب · الكوكب التكثير البياض

من التي تحدث في العين والانسان ههنا انسان العين . ورب ثرٍ قومت مالا

لخطر وبعض طلحها بالمال لم يطب . الرقة مقدم الانف . وصفحة من بيضا

خالص شربت بعد الكاس بقراط من الذهب . النضار ههنا شجر النبع وعن

ابرهيم النخعي لا باس بان يشرب في قدح النضار . ومستجيش اخشاشا ليدفع ما

اظل من اعاديه فلم يجب . الخشاش [illegible] عليهم دروع واسلحة . وطالما قرب

كلب في خفة ثور ولكنه ثور بلا ذنب . الثور القطعة من الاقط . وكم راى ناظري

مثلا على جبل . وقد ثورك فوق الرحل والقتب . الفيل الرجل الفايل الراي .

وعاينت مقلتي عينين ماؤها يجري من الغرب والعينان من حلب .

والعينين المقلتان والغرب مجرى الدمع . وكم لقيت بعرض البيد مشتكيا .

وما اشتكى قط في جلد ولا تعب . المشتكي المتخذ شكوة وهي القربة الصغيرة

. وكنت ابصرت كرارا للاعير . [illegible] تنظر من عينين كالشهب . الكرار الكبير

تحمل عليه الراعي اداته . وكم نزلت بارض لا نخيل بها . وبعد يوم رايت البرني ا لقلب

البرجع البرة وهي [illegible] حديث العهد بالمطر والقلب جمع قليب . وكم رايت با قرطا

القلا طيفا تصير في [illegible] الحصى . الطيف القطعة من الجراد . وكم شاخ

في التبار ايهام مخلدين وصن بحجر من العطب . الخلد الذي ابطا شيبه .

وكم بدا لي وحش يشتكي سغبا . فمنطي ذلو امضى من الغضب . الوحش الرجل

الجايع . وكم دهاني مستنجح مخادعني . وما انخل ولا اخلف بالادب .

المسنّى المجالس عن نجوة وهي المكان المرتفع الذي تظن انه نجاؤك . وكم انحت

قلوصي بحث جسدة تطلّ ما شئت من عُرُب ومن عُرُبٍ المخبئة القفير والعرب

جمع عروب وهي المحببة الى زوجها . وكم نظرت الى من شعرها عنبر ودمعه مسحل

القطر كالسحب . سرّا اي قطع سرته وسترة ولستجا بهي بعد القطع السرة

. وكم رأيت قبصاص شرها اجبر حتى انثنى وهي الاعصار والعصب . القمص الزابر

الكثيرة القماص . وكم ازار لواني الدهر انشمر لحق لبند حنت اليه مضطرب .

الازار ههنا المرأة ومنه قول الشاعر فدى لك من اخي ثقة ازاري . وقيل عني

بالازار نفسه . هذا وكم من انا بن مجتبية عنفه ومن مليح تلهى ومن محتنب .

فان فطنتم للحن القول بان لكم صدقي ودلكم على رطبي . وان شدهتم فان

العار منه على من لا يميز بين العود والحطب . قال الحارث بن همام فطفقنا

نخبط في تقليب مرتضينا ونال بمعاريضه وهو يلهو بنا لهو الخلي بالشجي و يقول

ليس بعشك فادرجي الى ان تعسر النتاج واستحكم الارتتاج فالقينا اليه المقادة

وخطبنا منه الافادة فوقفنا بين الطمع واليأس وقال الا ياس قبل الابساس

فعلمنا انه مرتهن بحسب الشكم وموشى لحكم فساء ابا متوا ان نعتريها العرم

او نخيب بالرغم فحصرنا انه عبيدية نحلة سعيدية وقال لخذها ملاكًا

فلا تنزوا اصابتي بنا الا فقال اشهد انها ستنتشر اخو حيرة وارجية

حامية ثم قابلنا بوجه نشره ليشف وبصرة ترتق وقال يا قوم ان

ان الليل قد اجلوذ والنعاس قد استحوذ فافزعوا الى المراقد واغنموا راحة الراقد قبل

تشربوا نشاطا وتبعثوا نشاطا فتعوا ما انتشر ويتسهل لكم المعبر فتستعين

كل ما راه ويوسد وسادة كراه فلما دمست الاجفان واغفت الضيفان وثب

الى الناقة فرحلها ثم اعتكلها ورحلها وقال مخاطبا لها نظم سروج يا ناق

سيري وخدي وادلجي واوبي واستبقي نحو بطاح مرعاها النجدي

فتنعي حينئذ ولتعدي وقامي ان تهمي وتخدي ابر فذلك النوق جري

واجهدي وافري اديم فدفد فدفد واقتني بالنسج عند المورد ولا تخطي

دون ذاك المقصد فقد حلفت حلفة المجتهد بحرمة البيت الرفيع العماد انك

ان احللتني في بلدي حللت مني محل الولد قال فعلمت ان السروجي الذي اذا

باع انباع واذا املا الصاع انصاع فلما انبلج صباح اليوم وهب النوام من

النوم اعلمتهم ان الشيخ حين اغشاهم السبات طلقهم البتات وركب الناقة وفات

فاخذهم ما قدم وما حدث وتنسوا ما طاب منهم وما خبث ثم انشعبنا في كل شعب

وذهب بحث كل كوكب تفسيره للشيخ الامام الاوحد ابو محمد قد فسرت حتى

كل الغز بحثه ولم اتعد على من يقراه كشف الغز وقد بقيت الفاظ اشتملت عليها هذه

المقامة يما التبس تفسيرها على بعض من يقع اليه فاحببت ايضاحها لكي تنجلي

الشبهة وكلفة الفكرة ومحمة البحث والمسئلة فاما قوله الاسعاف والغوث

ولم عشوت الى نار يعني منقوتها فقصدتها فان لم تقصدها قلت عشوت عنها

كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا اي ومن يعرض وقوله وكنت
اصبر من عنز جرباء والعنز الجرباء هذان مثلان يضربان لمن يبلغ منه البرد وذلك
لان الحرباء تدور مع الشمس ابدا ويستقبلها بعينها ولذلك شبه ابن الرومي الرقيب
بالحرباء في قوله نظم ما بالها قد حسنت ورقيبها ابدا قبيح اقبح الرقباء ما ذاك
الا انها شمس الضحى ابدا يكون رقيبها الحرباء والعنز الجرباء لانها تدفى في الشتاء لقلة
شعرها وذكر بعضهم ان العنز الجرباء تصحيف للمثل الاول وقوله تخور وارزمت الجلى
المكتنز شحما الكثير لحما وقوله عشاره تخور واعشاره نعتوا العشار النوق الحوامل
واحدتها عشراء وهي التي قد اتت عليها في الحمل عشرة اشهر ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع
والاعشار البرمة العظيمة كانها شعبت لعظمها يقال برمة اعشار وجفنة اكسار وثوب
اسمال وبرد اخلاق وحبل ارمام ووصف الجماعة منها كوصف الواحدة وقوله فاكهة
الشتاء كني بها عن النار وهو قول بعض المحدثين النار فاكهة الشتاء فمن يرد اكل
الفاكهة شاتيا فليصطل ان الفواكه في الشتاء شهية والنار للمقرور افضل فاكل
وقوله مواقد كالهالات يعني دارات القمر واحدها هالة ودارات الشمس تسمى الطفاوة
وقوله مشوش القمر يعني المنديل يقال مش يده بالمنديل اي مسحها وهو قول امرئ القيس
نظم نمش باعراف الجياد اكفنا اذا نحن قمنا عن شواء مضهب وقوله شبهها
فؤاده اي صار من الشيب في لون الاشهب وهو قول امرئ القيس ايضا نظم قالت الحسناء
لما جئتها شاب بعدي راس هذا واشهب وقوله ربض حجرة يعني ناحية ويقال في

في المثل لمن يشارك في الرخاء ويجانب عند البلاء يرتع وسطا ويربض حجرة وقوله
فاسمر يعني جمع السامر يعني السمار لان السمار اسم للجمع كالحاضر اسم للحي النازلين على الماء
وكالباقر اسم لجماعة البقر وقال بعض اهل اللغة هو اسم للبقر مع رعاتها واشتقاق
السامر من السمر وهو ظل القمر مأخوذ من السمرة فلما كان غالب احوال السمار انهم
يتحدثون في ظل القمر اشتق لهم اسم منه والى هذا يرجع قولهم لا افعله السمر والقمر
وقوله ليس بعشك فادرجي هذا مثل يضرب لمن يتعاطى ما لا ينبغي له والعش ما يكون
في شجرة فان كان في حائط او كهف جبل فهو وكر وقوله الايناس قبل الابساس
هذا مثل ايضا ومعناه انه ينبغي ان يؤنس الانسان ثم يكلف واصله ان حالب الناقة
يؤنسها حين يروم حلبها ثم يبس بها الحالب والابساس ان يقول لها بس بس لتسكن
فتدر واذا كانت الناقة تدر على الابساس سميت بسوس وقوله يرغب في الشكم
الشكم ما اعطيته على سبيل المجازاة فان اعطيته مبتدئا فهو الشكد ومنه قول
الراجز نظم شكمي عبيد فكنا لا شكمه الخبز والتمر بقار عندي كالارض همها
استودعت نوبتي وقوله ساء ابا مثوانا يعني الضيف لانه ثوى بنا وثوى بنا ونوى
وقوله ناقة عبيدية قيل هي منسوبة الى فحل نجيب اسمه عبيد وقيل بل هي منسوبة
الى فخذ من مهرة يقال لهم بنو عبيد ابن الآمري على وزن العامري وكانت مهرة
وعبيد يتخذان نجائب الابل فنسبت اليهما وقوله حلة سعيدية هي منسوبة
الى سعيد بن العاص فكان رسول الله صلى الله عليه وآله كساه وهو غلام حلة خشب

حبسها اليه وقوله لا نرزأ اضيافنا فتيلا اى لا نرزأهم شيئا ولو قل والاصل في
الفتيل ما يحمله النملة بفيها وقوله شنشنة اخزمية اشار به الى المثل الذي ضربه جد
حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن اخزم الطائي حين نشأ حاتم ونبل
اخلاقه حتى اخزم في الجود فقال شنشنة اعرفها من اخزم وتمثل عقيل بن علفة
به حين قال ان بني ضرجوني بالدم من يلق آساد الرجال يكلم شنشنة اعرفها
من اخزم ومن يكن ذا اود يقوم ومن ادعى ان هذا المثل له فقد وهم وسها فيه وقوله
اجلوذ اى اسرع في الذهاب ومثله اخروط وقوله وشالى الناقة وحملها يعني شد
عليها الرحل وبه سميت الراحلة لانها فاعلة بمعنى مفعولة كقوله تعالى في عيشة راضية
اى مرضية وكقوله سبحانه من ماء دافق اى مدفوق والراحلة تقع على الناقة والجمل
ودخول الهاء فيها للمبالغة مثل داهية وراوية وعلامة وقوله ارحلها اى اركبها وفي
الحديث ان النبي صلى الله عليه واله سجد فركبه الحسن عليه السلام فابطأ في سجوده فلما قضى صلاته
قال ان ابني ارتحلني فكرهت ان اعجله وقوله ورحلها اى ازعجها واشخصها واخذ بها
في الرحل ومنه الخبر يخرج عند اقتراب الساعة نار من قعر عدن ترحل الناس الى المحشر
تقيل معهم حيث ما قالوا وتبيت حيث ما باتوا وقوله وادلج واوجف واسرى
الادلاج ان يسير الليل كله والاسم منه الدلجة بفتح الدال والادّلاج بالتشديد
ان يسير من آخره والاسم منه الدلجة بضم الدال وقيل ان الدلجة بفتح الدال وضمها
بمعنى والتأويب سير النهار وحده والاسئاد ان يسير ليلا او نهارا والسرى ان يسير

تشرب دون الري وقوله فتخذتم ما قدم منه وما حدث يقال ذلك لمن يشكو عليه

الهم والدال من حدث بفتح في هذا الموضع وضمه لتوافق لفظها لفظة قدم فان افردت

وجب فتح الدال منها ومثله قولهم هنأني ومرأني بحذف الالف من مرأني اذا ذكر

مع هنأني فان افرد لم يجب ان تقول امرأني الشيء وكذلك يقولون رجس نجس

فيكسرون النون من نجس ويسكنون الجيم منه لمزاوجة لفظة رجس فان افردت

قلت نجس بفتح النون والجيم كما في قوله تعالى انما المشركون نجس وقوله ذهبا تحت كل

كوكب هذا المثل يضرب لمن يختلف في السفر طرقهم وتتباين سبلهم . المقامة

الخامسة والاربعون وتعرف بالرملية حكى الحارث بن همام قال كنت احدثت

عن اولي التجارب ان السفر مرآة الاعاجيب فلم ازل اجوب كل تنوفة واقتحم

كل مخوفة حتى اجتليت كل اطروفة فمن احسن ما اجتليته واغربها استملحته اني

حضرت قاضي الرملة وكان من ارباب الدولة والصولة وقد ترافع اليه في

بال وذات جمال فاسهب الشيخ بالكلام وتبيان المرام فتعذر الفتاة من الافصاح

وتحسرت عن اللثام ثم نضت عنها فضلة الوشاح وافتتحت بلسان السليطة الوقاح

نظم يا قاضي الرملة يا ذا الذي . في يده التمرة والجمرة . اليك اشكو جور بعلي الذي .

لم يحج البيت سوى مرة . وليته لما قضى نسكه . وخف ظهرا او درى اجره . كان

على رأي ابي يوسف . في وصلة الحجة بالعمرة . هذا على اني مذ ضمني . اليه لم اعص له

امره . تمره اما الفقر حلوة . رضى واما فرقه مره . من قبل ان اخلع ثوب الحياء

في طاعة الشيخ اجدر. فقال له القاضي قد سمعت ما عزته اليه وتوعدتك عليه

فاجب بما عراك والا فقد ان تراك. فقرأت نجيا الشيخ على نفثان زنجي يتبوع

متثائر. وقال شعر: اسمع عداك الذم قول امرئ. يوضح فيما رابها عذره. والله

ما اعرضت عنها قلى. ولا هوى قلبي في غير منده. وانما الدهر عدا صرفه فابتزنا

البلغة والنضرة. فنزلي قفر كراحتها. ووجهي ذات بني غبرة. مذ بني الدهر

هجرت الدجى. هجران عرس اخرجتا ذره. وملت عن حرثي لا رغبة عنه ولكن

اتقي بذره. فلا تلم من هذه حاله. واعطف عليه واحتمل هجره. فلما استشاطت

المراة من مقاله واستعرت لحجاج جداله قالت له ويلك يا مرقعان يا من هو لا طعام

ولا الطعان الحصين بالولد ذرعا ولكل اكول مرعى فاشدد لحمك واخسأ سمعك

وسفهت نفسك وسعت باب عرسك. فقال لها القاضي اما انت فلو جادلك

لخنساء لا تنشد عنك خنساء. واما هو فان كان صدق في زعمه ودعوى عدمه

فلذي هم يتقيه ما يشغل عن ذي بنيه. فاطرقت تنظر ازورارا ولا ترجع حوارا حتى

قلنا قد راجعها الخفر وحاق بها الظفر. فقال لها الشيخ تعسا لك ان زخرفت

وكتمت ما عرفت. فقالت ويحك وهل بعد النافرة كتم او بقي لنا على سر ختم

وما فينا الا من صدق وهتك صونه اذ نطق فليتنا لا فينا البكم ولم نات الحكم

ثم التفت يوشحها وتباكت لافتضاحها وجعل القاضي يعجب من خطبهما ويعجب

ويلوم لهما الدهر ويؤنب ثم احضر من الورق الفين وقال ارضيا بهما [illegible]

ثم تعاطيا التنازع بين الالفين فشكراه على حسن التراح وانطلقا وهما

كالماء والراح وطفق القاضي يعجب من سمرهما وثنائي شيخهما اثنى على ادبهما ويقول

هل من عارف بهما فقال له بعض اعوانه وخاصة خلصائه اما الشيخ فالسروجي المشهور

بفضله واما المرأة فقعيدة رحله واما تحاكمهما فمكيدة من فعله واحبولة من حبائل

ختله فاحتفظ القاضي مما سمع وتلهب كمن جدع ثم قال للواشي بهما قم فردهما

ثم احضرهما وسقهما فنهض يقفو مدرجهما ثم عاد يضرب اصدريه فقال له القاضي

اظهرنا على ما بثثت ولا تخف ما استخبثت فقال لما ولت استقري الطرق

واستفتح الغلق الى ان ادركتهما مصحرين وقد قطعا ناطقة البين فرغبتهما

في العلل وكلفتهما تبتيل الامل فاشرأب قلب الشيخ ان ييأس وقال الفراق

بغراب كبير وقالت هي بل العود احمد والفرصة تحمد فلث بين الشيخ سفهه

رأيها وعزها جبرا انها اصلت دلالها ثم انشأ يقول لها نظم دونك صُحى

فاقضي سبلة واعفي من التفصيل الجملة طيري عن نفرته من نخلة وطلقتها

بشر سلة وحاذري العود اليها ولو سئلها بالطورها الابلة تحرما للصلاة

يرى يسقعه منها العملة ثم قال لي لقد عنيت مما رايت فارجع من حيث

وقل لمرسلك ان شئت نظم دع بذل لا تعتجلك بالاذى فتجي مثل

ال الوكد مصدع ولا تغضب عن نبذ سائل فما هو في سوق التسال

بمبتدع وان نلت فسلوانك من خديعة فلك شيخ الاسعرين فاخدع

فقال القاضي لله دره فما احسن نحوه واملح نحوه ثم امر ان يصحب ابن برد ثوب

وصرة من العين وقال لبرة بشر من لا يرى الا النفاق الى ان ترى الشيخ والفتاة

قبل بدءها بهذا الحبا وبين لهما انخداعه للادباء قال الراوي فلم ار في الاغتراب

كهذا العجاب لا سمعت بمثله من حاسب **المقامة السادسة والاربعون الحلبية**

حدث الحارث بن همام قال نزع بي الى حلب شوق غلب وطلب يا له من طلب وكنت

يومئذ خفيف الحاذ حثيث النفاذ فاخذت اهبة السير وخففت نحوها خفوف

الطير ولم ازل مذ حللت ربوعها وارتبعت ربيعها افاني الايام فيما يشفي الغرام

ويروي الاوام الى ان اقفر القلب من قلوبهم واستطار غراب البين بعيدهم

فاعتزمت ان اتلو الحلو والمر لحلو بان اتصدى لاصحاب يعقبها واسبر فاعتر

اهل بعضها فاسرعت اليها اسراع النجم اذا انقض للرجم حتى حين جئت يوما

دوح بينما لي طرفي شيخا مذاما قد قرب اليه مقعد عشرة صبيان صنوان

وغير صنوان فطاوعت في قصد لحرص لا اجبر به ادبا حمص فنبذت حياه وانبته

وجئت باحسن ماحبيته فجلست اليه لابلو جنا نطقه واكتنه كنه حمقه فالبث ان

اشار الى كبرا صبيته وقال له انشد الابيات العواطل واحذر ان تماطل

فجثا جثوة ليث وانشد من غير ريث **نظم** اعدد لحسادك حد السلاح واورد

الامل ورد السماح وصارم اللهو ووصل المها واعمل الكوم وسمر الرماح

واسع لادراك محل سما عماده لا لادراع المراح والله ما السؤدد حسو الطلا

الطلا · ولا مراد لحمد يشيد رداح · واها لحر صدره واسع · وهمه ما سر اهل الصلاح ·

مورده حلو لسؤاله · وماله ما سألوه مطاح · ما اسمع الآمل ردا ولا · ماطله والمطل

لؤم صراح · ولا اطاع اللهو لما دعا · ولا كسا راحا له كأس راح · سوده اصلاحه سره ·

وردعه اهواءه والطماح · وحصل المدح له علمه · ما مهر الحور مهور الصحاح · فقال له احسنت

يا بدير يا راس الدير ثم قال للثاني المشبه بصنوه ادن يا نويره يا قمر الديره فتناوله

فدنا طاعة حتى حل منه مقعد المتعاطى فقال له املل الابيات العرائس وان لم تكن النفائس

فبرى القلم وقط ثم اصلح اللوح وخط · شعر · فتنتني فجننتني تجني · بتجن يفتن غب

تجني · شغفتني بجفن ظبي غضيض · غنج يقتضي تغيض جفني · غشيتني بزينتين

شفتني · بزي يبث بين نبتي · فتظنيت تخيبني بحرتي · بنث بشفتي تجنب

ظني · نغبت في غش تجب بزينتين · جنيت بين شفتي صغفي · فتنت في تجنبي

تنشفني · بنشيج بشجي بين فتن · فلما نظر الشيخ الى ما حبره · وتصفح ما زبره قال

له بورك فيك من طلا · كما بورك في لا ولا · ثم هتف اذرب يا قطرب · فاقترب منه

فتى يحكي نجم دجنة · او تمثال دمية · فقال له ارفع الابيات الاخياف · وتجنب

الخلاف · فاخذ القلم ورقم · نظم · اسمح فبث السماح زين · ولا تخب آملا تضيف ·

ولا تجز رد ذي سؤال · فتن ام في السؤال خفف · ولا تظن الدهر يمحى ·

ما الظن بي ولو تقشف · واعلم بخفض الكرام بغضي · وصدهم في العطاء تقشف ·

ولا تخن عهد ذي وداد · ثبت ولا تبغ ما ثبت · فقال له لا شلت يداك

ولا كلّت مُدّاك ثمّ نادى يا عنتشم يا عطرهنتم فلبّاه غلام كأنّه غُرّة صُبح وجود ب

فقام فقال له اكتب الأبيات المتائم ولا تكن المتشائم فتناول القلم المثقف من غير

ان يتوقف وكتب ولم يتوقف نظم زينب زينت بقدّ يقدّ وتلاه ويلاه

نهدٌ يهدّ جندلتني بها وظرف وطرف ناعس ناعش بجدّ يجدّ قدّها مدّها

وناهت وباهت واعتدت واغتدت بخدّ يخدّ فارقتني فارّقتني وشطّت

وسطت ثمّ تمّ وجدٌ وجدّ فدنتْ فُديتْ وحنّت وجنّت مغضبًا مغضبًا

بودٍّ بودّ فلمّا نظر الشيخ بتأمّلها سطره وتقلّب فيه نظره فلمّا استحسن خطّه

واستصحّ ضبطه قال له لا شلّ عشرك ولا استحبت لشرك ثمّ اهاب بفتى فتان

يسفر عن نهار بستان فقال له انشد البيتين المطربين المشبهين لطرفين

اللذين اسكتا كل نامت وامنا ان يعززا بثالث فقال له اسمع لا وُقر

سمعك ولا هُزم جمعك وانشد من غير تلبّث ولا تريّث نظم سم سمةً تحسن

آثارها واشكر لمن اعطى ولو سمسمه والمكر مهما استطعت لا تأته لتقتني السؤدد

والمكرمه فقال له اجدت يا زُغلول يا ابا الغلول ثمّ نادى وضّاح يا ياسين

ما يُشكل من ذوات السين فهينم ولم يتأنّ واستدعى يا عن نظم تقبّل الرشا

وسَعَ الكف منبثةً سبّاها ان هاخطا وان دنسا فهكذا السين في شسب

وباسطه والسخ والبخس وابشر واقتبس قبسا وفي تغشّيت باللّيل الكلام

وفي مستطر وشموس واتخذ جرسا وفي فريس ورند فارس فخذ الصواب مني

متى يكن للعلم مقتبسا فقال له احسنت يا غُنيش يا صاحب الجيش ثم قال يا عنبسه

مبين الصادات الملتبسة فوثب وثبة شبل مثار ثم انشد من غير عثار نظم بالصاد

تكتب قد بصت دراهما يا امل واحرص لسمع تخبر وصفت ابصق والصماخ

وصنخة والقص بهو الصدر واقتص الاثر وتخصص مقبشه وهي قرصة وقد

ارعدت منه الفريصة للخوف وقصرته هذا اي حبسته وقد ناطح المغاري

وهو صيد منظر وقرصته والحجر في رصد اذا حصنت اللسان وكل هذا مسطر

فقال له رعيا لك يا بني فلقد فزت بمعنى ثم استنهض ذا جثة كالبيذق وعمة

كالسوذق وامره ان يقف بالمرصاد ويسرد ما يجري على السين والصاد فنهض

ينعب بوبه ثم انشد سيرا يسيره نظم ان شئت بالسين فاكتب ما ابينه

وان تشأ فهو بالصادات يكتب معص ونقص وسطار وملص وسالغ

وصراط الحق والصقب المعص الوجع المعترض في الجوف وهو سكن العين واعقص

عصر العصب والسطار الشفرة ويقال لها السطار ايضا الملص الذي يسقط

من يدك ولا تشعر به والسالغ الذي استنان ذوات الظلف والسقب القرب والسا معان

مصر والسويق وصلاق وعن كل هذا فصح الكتب الساغ لحاجب الفم والمسلاق

الشديد الصوت ومنه قوله تعالى سلقوكم بالسنة حداد فقال له احسنت يا حيقة

يا مين بقرة ثم نادى يا نغفل يا ابا نفل فلباه فتى احسن من بيضة في روضة

فقال له ما عندك من هجاء الافعال التي اخرها حرف اعتلال فقال له اسمع لا صم صداك

ولا تسمعنّ بما قال ثم انشد واسترشد نظم اذا الفعل يوما غمّ عنك هجاؤه فالحق

به تاء الخطاب ولا تقف. فان كان قبل التاء ياء فكتبه بياء والا فهو يكتب بالالف

ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي تعداه والمهموز في ذاك يختلف. فطرب الشيخ

لادائه ثم عوّذه وفدّاه ثم قال هلمّ يا خصب الرباع يا ابا نبقة البقاع فاقبل فتى احسن

من نار القرى في عين ابن السرى فقال له اصدع ببيان الظاء من الضاد لتصدع

اكباد الاضداد فاهتز لقوله واهتش ثم انشد بصوت اجش نظم ايها السائل

عن الضاد والظاء لكيلا تضله الالفاظ. ان حفظ الظاءات يغنيك فاسمعها

استماع امرئ له استيقاظ. هي ظمياء والمظالم والاظلام والظلم والظبى واللحاظ

والعظا والظليم والظبي والشيظم والظل واللظى والشواظ. والتظني واللفظ

والنظر والتقريظ والقيظ والظما واللماظ. والحظ والنظم والظهر وجاحظ

والناظرون والايقاظ. والتشظي والظلف والعظم والظنبوب والظهر والشظا

والشناظ. والاظافير والمظفر والمحظور والحافظون والاحفاظ. والحظيرات

والمظنة والظنة والكاظمون والمغتاظ. والوظيفات والمواظب والكظة

والانتظار والالظاظ الوظائب من الزوائب. ووظيف وظالع وعظيم

وظهير والفظ والاغلاظ. الوظيف ما دون الرسغ نظم ونظيف والظرف والظلف

الظاهر ثم الفظيع والوعاظ. وعكاظ والظعن والمظ والحنظل والقارظ

والاوشاظ. المظ رمان البر والقارظ جاني القرظ وهو نبات نظم يبغ

ومدبغ به وسوف بصاظ معروف والاوشاظ الحانات والاخلاط نظم وظراب الظران

والشظف۔ الباهظ والجعظري والجواظ۔ الظراب الربى الصغار واحدها ظرب والظران

الحجارة المحددة واحدها ظرر والشظف البؤس وسوء العيش والجعظري المنتفخ بما

ليس عنده والجواظ الفاجر وقيل الاكول المختال۔ والظرابين والعناظب واحد العنظب

ثم الظبان والارعاظ۔ الظرابين جمع ظربان وهي دابة لا يطاق ضوها يجمع ايضا

على ظرابي بحذف النون والعناظب جمع شاذ والعناظب كو والعناشب العنظب

ذكر الجراد والظبان ياسمين البر والارعاظ جمع رعظ وهو مدخل النصل في السهم

نظم والشناظي والدلنظى والظاب۔ والظبظاب والعنظوان والجعاظ۔ الشناظي

نواحي الجبل والدلنظى الدفع والظاب الصخب وقد تبدل البا منه ميما وقيل ان الظاب

والظام اسمان لسلف الرجل والظبظاب الداء والعنظوان نبت يقال له ابر قلبته

والجعاظ الاكمن وقيل انه المتشحط عند الطعام۔ والشناظير والتعاظل والعظلم

والبظر بعد والانعاظ۔ الشناظر جمع شنظير وهو السيء الخلق والتعاظل التزام

الجراد والكلاب عند السفاد والعظلم الخطمي۔ هي هذه سوى النوادر فاحفظها

لتقفو اثار الحفاظ۔ واقتصر فيما صرفت منها لك۔ فتفسير فاصلح كفظ ونطوا۔

فقال له الشيخ احسنت لا فض فوك ولا بر من يجفوك فوالله انك مع الصبى النغق

لاحفظ من الارض واسمح من نابح العرض ولهذا اوردتك ورفعتك لمالي وقفتكم

سفحنا العوالي فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون قال الحارث بن همام

فعجبت لما ابدا من براعته ومجونه وتربيته واظهر من حذاقته ومجانته ولم يزل

يصري بصعفه ويصوب ويهز عطفه ويقف وهو كمن ينظر في غلماء او يسري في

ظلماء فلما استرابت فطنتي واستبان تلهّي حملق الي وتبسم وقال لم يبق قرينتهم

فبهت لتمويه كلامه وعجبت لانبعاث ابتسامه وجعلت اللوم على ذي بقية النوكى

ونحن حرفة الحمقى فكان وجها اسعف رمانا او اشرب سوادا الا انه انشد وما تمادى

نظم نخرت حمص وهذي الصناعة لا روق حظوة اهل الرقاعة فاصطفى الدهر

منه التتيح ولا يوطن المال الا بقاعة ولا الحى اللب من دهره سوى بالعجب

وبطء بقاعة ثم قال اما ان التعليم اشرف صناعة وارفع بضاعة وانجح شفاعة

وافضل براعة وربه ذو امرة مطاعة وهيبة مشاعة ورعية مطواعة يتسيطر

تسيطر الامير ويترتب ترتيب الوزير ويحكم حكم قدير ويتشبه بذي ملك كبير لولا

انه يخرف في مدة يسيرة ويتسم بحمق شهير وينقلب بعقل صغير ولا ينبئك مثل خبير

فقلت له بالله انك لابن الايام وعلم الاعلام والساحر اللاعب بالافهام المذلل

له سبل الكلام ثم لم ازل معتكفا بناديه ومعترفا من سيل واديه الى ان غابت الاعلام

الغر ونابت الاحداث الغير ففارقته ولعيني العبرة

المقامة السابعة والاربعون الحجرية

حكى الحارث بن همام قال احتجت الى الحجامة وانا بحجر اليمامة فارشدت الى شيخ

يحجم بلطافة ويشف عن نظافة فبعثت غلامي لاحضاره وارصدت نفسي لانتظاره

فابطأ بعدما انطلق حتى خلته قد ابق او ركب طبقا عن طبق ثم عاد عود المخفق سعيه

مسعاه الكل على من لا فقلت لرويك ابطا انه وصلود ثم زعم ان الشيخ اشغل من

ذوات النحيين ووجوب يحرب حنين نعيت اللبني الى الحجا، وجرنت بين اقدام الحجام

ثم رايت ان لا عشيت على من باتى الكيف فلما شهدت موسمه وشاهدت ميسمه

رايت شيخا هيئته نظيفة وحركته خفيفة وعليه من النظارة الطوائف ومن الزحام حلائف

وبين يديه فتى كالصعدة مستهدف للحجامة والشيخ يقول له اراك قد بذذت

قبل ان تبرز طاسك ووليتني قذالك ولم تقل لي ذا لك ولست ممن يبيع نقدا

بدين ولا يطلب اثرا بعد عين فان انت رضخت بالعين نجحت في الاخدعين وان كنت

ترى الشح اولى وحب المال في النفس احلى فاقرا عبس وتولى وانزع عني ولا ملام

فقال الفتى والذي حرم صوغ المين كما حرم صيد الحرمين اني لافلس من ابن يومين

فثق بسبيل المعنى وانظرني الى حين فقال الشيخ ويحك ان مثل الوعود كغرس

العود هو بين ان يدركه العطب او يتهدده بعد الرطب فما يدريني ااحصل من وعدك

جنى ام احصل منه على جني ثم ما الثقة بانك حين تبعد تستحي مما تعد وقد صار

الغدر كالتحجيل في حلية هذا الجيل فاريحني بالله من التعذيب وارحل الى حيث يعوي

الذيب فاستوى الغلام اليه وقد استولى الخجل عليه وقال والله ما يخيس بالعهد

الا خسيس ولا يرد عذب الغدر الا الوضيع القدر ولو عرفتني لما اسمعتني

لكنك جهلت فقلت ووجب ان تتجمل فيلبث فعافى العزيز وقال

واحسن قول من قال نعم ان الغريب الطويل الذيل ممتهن فكيف حال غريب ما له قوت

لكنه ما يثبت من الحرم حجة فالمسك يفتق والكافور يعوق وطالما اصلي النار وفرق

حجر غضى ثم انطلق الحجر وطلبنا فوت بالوثب فقال الشيخ ويلك ايها الكاذب ودعواه هلك

اهنت في موقف نحر بقلى بحسب ابتهام موقف جلد بكشط وتقنا بشرط وهبك

كما اتهمت وسلم ان لك البيت يحصل بذلك حجم فذلك لاولاده ولولاه ابان انك

على عبد مناف اولخالك دار عبد المدان فلا تطلب ما لست له بواجد ولا تضرب في

حديد بارد وبناء اذا باهيت بجودك لا بجدودك وبمحصولك لا باصولك وبصفاتك

لا برفاتك وباعلاقك لا باعراقك ولا تطع الطمع فيذلك ولا تتبع الهوى فيضلك

ولله القائل ولا بد من نظم بيتها استنم فالعود يحمي عوده قويما ويعتاه اذا ما الثوى

النوى ولا تطع الحرص المذل وكن فتى اذا التهبت احشاؤه بالطوى طوى وعاف

الهوى المردي فكم من محلق الى النجم لما ان اطاع الهوى هوى واسعف ذوي القربى

فيقبح ان يرى على من الى الحر اللباب انضوى ضوى وحافظ على من لا يخون اذا نبا

زمان ومن يرعى اذا ما النوى نوى وان تفتقد فاصبح على الضر فالفتى اذا ما علقت

اظفاره بالشوى شوى واياك والشكوى فلم ير ذا نهى شكا بل اخو الجهل الذي

ما نوى عوى فقال الغلام للنظارة الا للعجيبة والطرفة الغريبة ايفتنا في السماء

واست في الماء ولفظ كالصهباء وفعل كالحصباء ثم اقبل على الشيخ بلسان سليط

وغيظ مستشيط وقال اف لك من صائغ بالشان رواغ عن الاحسان آمر

بالبر ويعق عقوق الهر فان يك سبب نعتك نفاق صنعتك فرعاها الله

الله بالكساد واشماد الحسّاد حتى افرغ من حجام ساباطه واضيق رزقه من ثم حجامه فقال

له الشيخ بل سلّط الله عليك بثر الفم وتبيّغ الدم حتى تلجأ الى حجّام عظيم الاشتطاط

ثقيل الاشتراط كليل المشراط كثير المخاط والضراط لتعلما بين الفوائد تشكو الى غير

معصمك ويتناول استفتاح بابه ضُربت اضربه عن رجيع الكلام وليحفز القيام وتعلم الفهم

انه لا اجيا اسمع الغلام يجنح الى سلمه ويذل ان يذعن لحكمه والا يبغي لجاعل جعله

واني الغلام المشي بداآه والهرب من لقاآه وما الا في حجاج وسباب ولزاز وجذب

الى ان خنع الفتى من الشقاق ولم يدر سورة الاشفاق فعرا حينئذ لونا رد

خده وانحطا لامرضه وطرة واخذ الشيخ يعتذر من فرطاته ويعتق من عثراته

وهو لا يصغي الى اعتذاره ولا يفتر عن استعبابه الى ان قال له فداك عمك وخالك ما نعرك

اما انا مدام الاعوال ما تعرف الاحتمال اما تسمع بما قال واختبطوا من قال نظم

آخذ بحلمك ما تركب ذو سفه من ان تغيظك واصفح ان جنى جان. فالحلم افضل

ما ازدان اللبيب به والاخذ بالعفو احلى ما جنى جان. فقال له الغلام اما انه

لو ظهرت على عيشي المنكد لعذرت في دمعي المنهمر ولكن هان على الاملس ما لاقى

الدبر ثم كأنه نزع الى الاستحياء فاقلع عن البكاء وفاء الى الارعواء وقال للشيخ

قد صرت الى ما اشتهيت فارتجع ما اوهبت فقال هيهات شغلك شعار جبهاي

فشم بارق سؤالي ثم انه نهض يستقري الصفوف ويستجدي الوقوف وينشد

في ضمن ما يطوف نظم اقسم بالبيت الحرام الذي يهوي اليه الزمر المحرمة

لو أن عندي قوت يوم لما مست يدي المشرط والجرة ولا ارتضت نفسي الدنية

لم تزل تسمو الى المجد بهذا السمت ولا اشتكى هذا الفتى غلظة مني ولا شاكسني

حمة لكن صروف الدهر غادرتني اتخابط في الليلة المظلمة واضطرني الفقر الى موقف

من دون خوض اللظى المضطرمة فهل فتى تدركه رقة علي او تعطفه مرحمة قال الحارث

بن همام فكنت اول مناد لبلواه ومرق لشكواه فنفحته بدرهمين وقلت لا كما انا لكا

ذامين فابتهج بباكورة جناه وتفاءل بها لغناه ولم تزل الدراهم تنهال عليه حتى التأم

حتى اذا اعيش خضرا وصير جرا فادركه الفرح عند ذلك وهش هنالك

وقال للغلام هذا ريع انت بذره وحلب لك شطره فهلم لنقتسم ولا تختصم فقاسمه

بينهما شق الابلمة ونهضا متفقي الكلمة فلما انتظم عقد الاصطلاح وهم الشيخ بالرواح

قلت له قد تبوع دمي وتقلقل اليك قدمي فهلا تحاجيني وتكشف ما

دهمني فصوب طرفه وصعده ثم ارذ لذا الى وانشد نظم كيف رايت خدعتي

وختلي وما جرى بيني وبين نجلي حتى انتشبت فانزل الفضل ارعى بها من المحل

بعد المحل بالله يا بهجة قلبي قل لي هل ابصرت عيناك قط مثلي ونفح بالرغبة كل

ختل وسبى بالسحر كل عقل ونجى الجد بما الهزل ان يكن الاسكندري قبلي

فالطل قد يبدو امام الوبل والفضل للوابل لا للطل قال فتبهتني ارجوزته

عليه ولو تيقن انه شيخنا المشار اليه فقرعته على الابتذال والاحتفاء بالارذال ولم

يبل بما قرع بل قال الحنا لجتني الحاف الوقع ثم فاصلني مفاصلة الهان والقالي

وانطلق كمن سعى بعد ان قال الشيخ الامام الاوحد ابو محمد القاسم بن علي رحمة الله عليه

فلما رصعت هذه المقامة بضعة عشر مثلا من امثال العرب فها انا افسر منها ما الم

بالتبس على من يقتبس فاما قوله بطة فهو مولى لعايشة بنت سعد بن ابي وقاص

وكانت بعثته الى المدينة ليقتبس لها نارا فتوجه الى مصر واقام بها سنة ثم جاءها بعد

سنة وهو يشتد ومعه جمر فتبدد فقال تعست العجلة واما ذات النحيين فهي

امراة من تيم الله بن ثعلبة حضرت سوق عكاظ ومعها نحيا سمن فاستخلاها خوات

بن جبير الانصاري ليبتاعهما منها ففتح احدهما فذاقه ودفعه اليها فامسكته باحدى

يديها ففتح الاخر وذاقه ودفعه اليها فامسكته بيدها الاخرى ثم غشيها وهي لا تقدر

على الدفع عن نفسها لحفظها فم النحيين وشحها على السمن فلما قام عنها قالت لا هناك

فضرب بها المثل لمن شغل وهي في هذا المثل مفعولة لانها شغلت واكثر الامثال

التي على افعل تاتي من فعل الفاعل واما قوله انت في السماء واست في الماء فهذا المثل

يضرب لمن يتكبر مقالا ويصغر فعالا واما قوله افرغ من حجام ساباط فيذكر انه كان

حجاما ملازما ساباط المداين يحجم الجند بدانق نسيئة ويمر عليه الوقت

لا يعرج فيه احد عليه فكان عند تمادي عطلته لكيلا يقرع بالبطالة

فما زال يحجمها نوبة بعد نوبة حتى ان نزف دمها فماتت واما قوله يشكو الى غير

مصمت فهو مثل يضرب لمن لا يكترث لشان صاحبه ولا يعبا باسرار شكايته

لانه اذ لو اشتكاه لصمت وامسك عن الكلام ومنه قول الراجز يخاطب جملا له انك

ولا تشكوا الى مصمت فاصبر على حمل الثقل او مت ونحو هذا المثل هان على الاملس ما لاقى

الدبر وقد تضمن هذه المقامة ايضا واما قوله شغلت شعابي جدواي فالمراد به انه

ليس بفضل عني ما اصرفه الى غيري والشعاب النواحي واحدها شعب وقوله كل الحذا

يحتذي الحافي الوقع معناه ان المجهود يقنع بما يجده لو قنع ان تصيب الحجارة القدم

فوقها واما البعير الوقع فهو الذي يكثر اثار الدبر بظهره المقامة الثامنة والاربعون تعرف

بالحرامية روى الحارث بن همام عن ابي زيد السروجي انه قال ما زلت مذ رحلت عنسي

وارتحلت عن عرسي وغرسي احن الى عيان البصرة حنين المظلوم الى النصرة لما اجمع عليه

ارباب الدراية واصحاب الرواية من خصائص معالمها وعلمائها ومآثر مشاهدها وشهدائها

واسال الله تعالى ان يوطئني ثراها لافوز بمراها وان يمطيني قراها لاقتري قراها

فلما احلنيها الحظ وسرح لي فيها اللحظ رايت بها ما يملأ العين قرة ويسلي عن الاوطان

كل غريب فغلست في بعض الايام حين نصل خضاب الظلام وهتف ابو المنذر بالنوام

لاخطو في خططها واقضي الوطر من توسطها فاداني الاختراق في مسالكها والانصلات

في سككها الى محل موسوم بالاحترام منسوب الى بني حرام ذات مشاهد مشهودة وحياض

مورودة ومبان وثيقة ومغان انيقة وخصائص اثيرة ومزايا كثيرة فيها ما

شئت من دين تدين به وجيران تنافسوا في المعاني فشغفوا بما بات المثاني ومعنون

بنبات المثالث ومصطلح بخابس المعاني ومطلع على مخابر عان وكم من قارئ

فيها وقارئ احترا بالجفون والجنان وكم من معلم للعلم فيها وناطل للندى يحلو البحار

الحان. ومغنىً ما زال يُعنى به اتاريب الغوالي والاغاني. فضلا ان شئت فيها
من عيطل. واما شئت فاذن من الرنات. ودونك صحبة الاكياس فيها. او الكاسات
منعلق العنان. فقال فبينا انا انعض طرفيها واستشف رونقها اذ لحت عندي اول
مراح وطلائل الرواح شيخا اشيبه اطرابه مزدهرا اطوابه وقد احدق به اهله
ذكر حروف الليل وجودوا في حلبة الجدل فنحوت نحوهم لاستمطر نوءهم لا لاقتبس
نجومهم فلم يك الا كقبسة العجلان حتى ارتفعت الاصوات بالاذان ثم ردفت
التأذين بوجه الامام فقويت طيّ الكلام وحلّت حُبا القيام فشُغلنا
بالتثويب عن استمداد الفوت وبالتجرد عن مشنة الجود فلما قضينا صلاة
الفرض وكاد الجمع ينفضّ ومحل الانتشار في الارض انبرى من الجماعة كهل املق
البراعة لزم السمت حسن دلالة اللسن فصاحة الحسن فقال يا جيرتي
الذين اصطفيتهم على اعيان بلدتي وجعلت حلتهم دار هجرتي واتخذتهم كرشي
وعيبتي واعددتهم لحضرتي وغيبتي اما تعلمون ان لبوس الصدق ابهى
الملابس الفاخرة وان فضوح الدنيا اهون من فضوح الاخرة وان الدين
امحاض النصيحة والارشاد عنوان العقيدة الصحيحة وان المستشار مؤتمن
والمسترشد بالنصح قمن وان اخاك هو الذي عذلك لا الذي عذرك
وصديقك من صدقك لا من صدّقك فقال له الحاضرون ايها الخل الودود
والخدن المودود ما سر كلامك الملغز وما شرح خطابك الموجز وما الذي

بغية منا بالعجز ولو أعجزنا الذي حبانا بمحبتك وجعلنا من صفوة أحبتك ولا
ندخر عنك نصحاً ما نألوك نصحاً فقال جزيتم خيراً ووقيتم ضيراً فإنكم من لا
يشقى بهم جليس ولا يحيد عنهم تلبيس ولا يحجب عنهم مظنون ولا يطوى دونهم
مكنون وها أنا أبثكم ما حل في صدري وأستفتيكم فيما عيل له صبري اعلموا أني كنت
عند صلود الزند وصدود الجد أخلصت مع الله سر العقد وأعطيته صفقة
العهد على أن لا أسبأ مداماً ولا أعاقر ندامى ولا أحتسي قهوة ولا أكتسي نشوة
فسولت لي النفس المضلة والشهوة المزلة أن نادمت الأبطال وعاطيت الأرطال
وأضعت الوقار وارتضعت العقار وامتطيت مطا الكميت وناسيت التوبة
كالميت ثم لم أقنع بما أتيتكم المرة في طاعة الحبة حتى عكفت على الخندريس في
يوم الخميس وبت صريع الصهباء في الليلة الغراء وها أنا بادي الكآبة لرفض
الإنابة نامي الندامة لوصل المدامة شديد الإشفاق من نقض الميثاق معترف
بالإسراف في عقب السلاف فما ترون هل كفارة تعرفونها تباعد عن ذنبي وتدني
إلى ربي فقال أبو زيد فلما حل الشوط نفثه وقضى الوطر من اشتكاء بثه
ناجيت نفسي يا أبا زيد هذه نهزة صيد فشمر عن يد وأيد فنهضت من
مجثمي انتهاض الشهم وانخرطت من الصف انخراط السهم وقلت شعر
أيها الأروع الذي فاق مجداً وسؤدداً والذي يبتغي الرشاد ليحوي به غداً
إن عندي علاج ما بت منه مسهداً فاستمعها عجيبة غادرتني ملدداً

انا من ساكني سروج ذوي النسب والهدى * كنت ذا ثروة بها وطاعًا مسوّدا * مربعي

مألف الضيوف وما لي لهم سدى * اشتري الحمد بالنهى واوطي العرض بالجدا * لا ابالي

بنفس طاح في البذل والندى * اوقد النار باليفاع اذا النكس اخمدا * وبابي المأوى

ملاذا ومقصدا * لم يلم بابه صدٍ فانثنى يشتكي الصدى * لا ولا رام قابس قدح زندي

فاصلدا * طالما ساعد الزمان واصحبت مسعدا * فقضى الله ان يغير ما كان عوّدا

بوّا الروم ارضنا بعد ضعفن تولدا * فاصطبا حريم من صاد فوه مرحدا * وحووا

كلما استسر بها لي وما بدا * فطوحت في البلاد طريدا مشردا * اجتدي الناس بعد

ما كنت من قبل مجتدا * ورب خاصة اموق لها الردى * والبلاء الذي به شمل

انسي بددا * اسبا ابنتي التي اسرها الفتدا * فاسبر معي وسد الى نصري يدا

واجرني من الزمان فقد جار واعتدا * واعن على فكاك ابنتي من يد العدا * فبذا تمحو المأثم

عن من تردى * وبه تقبل الانابة ممن تزهدا * وهو كفارة لمن زاغ من بعدما اهتدا

ولئن كنت مرشدا فلقد صفت مرشدا * فاقبل النصح والهداية واشكر لمن هدا

واسمح الان بالذي يسنى لتحمدا * قال ابو زيد فلما اتممت هنديتي ولعم المسول

صدق كلمتي اغراه القرم الى الكرم بمواساتي وبعثه الكلف بحمل الكلف في فكاك

فرضخ لي على الحاضرة ونضح لي بالعدة الوافرة فانقلبت الى وكري فرحا بنجح مكري

قد حصلت من صوغ المكيدة على سوغ الثريدة ووصلت من نحوك القصيدة

الى لوك العصيدة قال الحرث بن همام فقلت له سبحان من ابدعك فما اعظم خدعك

فاستغرب في الضحك ثم انشد غير مرتبك عش بالخداع فانت في دهر بنوه
كاسد بيشة وادر قناة المكر حتى تستدير رحا المعيشة وصد النسور فان تعذرت
صيدها فاقنع بريشة واجن الثمار فان تفتك فرض نفسك بالحشيشة وارح فؤادك
ان نبا دهر من الفكر المطيشة فتغاير الاحداث يؤذن باستحالة كل عيشة

المقامة التاسعة والاربعون الساسانية حكى الحارث بن همام قال بلغني
ان ابا زيد حين ناهز القبضة ولين مهاد الهرم النهضة احضر ابنه بعدما استجاش فهمه
وقال له يا بني انه قد دنا ارتحالي من الفناء واكتحالي بمرود الفناء وانت بحمد الله
ولي عهدي وكبش الكتيبة الساسانية من بعدي ومثلك لا تقرع له العصا ولا ينبه
بطرق الحصا ولكن قد نيط بالادكار وجعل صيقلا للافكار واني اوصيك بما
لم يوص به شيث الانباط ولا يعقوب الاسباط فاحفظ وصيتي وجانب معصيتي
واحذُ مثالي واقتف امثالي فانك ان استرشدت بنصحي واستصبحت بصبحي
طاب معاشك وطال انتعاشك وامرع خانك وارتفع دخانك وان تناسيت
سورتي ونبذت مشورتي قلّ رمادُ اثافيك وزهد اهلك ورهطك فيك
يا بني اني جربت حقائق الامور وبلوت تصاريف الدهور فرايت المرء بنشبه لا
بنسبه والتفحص عن مكسبه لا عن حسبه وكنت سمعت ان المعايش امارة وتجارة وزراعة
وصناعة فمارست هذه الاربع لانظر ايها اوفق وانفع فما احمدت منها معيشة ولا
استرغدت فيها عيشة اما فرص الولايات وخلس الامارات فكاضغاث احلام

الأحلام والبغي المنتسج بالظلام وناهيك عشرة جبابرة الظلام وأما صنايع التجارة
فعرضة للمخاطرات وطعمة للغارات وما أشبهها بالطيور الطيارات وأما التقاط
الضياع والتصدي للازدراع فمهلكة للأعراض ومورد غايته عن الارتكاض
وقلما خلا ربها من إذلال أو رزق نوع بال وأما حرف ولي الصناعات فغير
فاضلة عن الأقوات ولا نافعة في جميع الأوقات ومعظمها معصوب بشيبة
الحيوة ولم أرَ ما هو بارد المغنم لذيذ المطعم وافي المكسب صافي المشرب إلا الحرفة
التي وضع ساسان أساسها ونوّع أجناسها وأضرم في الخافقين نارها وأوضح
لبني عمه منارها فشهدت وفاء بها معلنًا واعترفت سيماها ميسمًا إذ كانت
الشجرة التي لا تبور والمنهل الذي لا يغور والمصباح الذي يعشو إليه الجمهور ويستصبح
به العمي والعور وكان أهلها أعز قبيل وأسعد جيل لا يرهقهم مستحث ولا
يقلقهم سلّ سيف ولا يخشون حد لاسع ولا يهابون لدانٍ ولا شاسع
ولا يرهبون من برقٍ ولا رعدٍ ولا يحفلون بمن قام وقعد أبدانهم مترفهة
وقلوبهم مرفهة وطعمهم معجلة وأوقاتهم غير مؤجلة أينما سقطوا لقطوا وحيث
ما انخرطوا اخترطوا لا يتخذون أوطانا ولا يتقون سلطانا ولا يمتارون عمًّا
تغدو خماصًا وتروح بطانًا فقال له ابنه يا أبتِ لقد صدقت فيما نطقت ولكنك
وفقت فيما نمقت فبيّن لي كيف أصطلف ومن أين يؤكل الكتف قال يا بني إن
الارتكاض بابها والنشاط جلبابها والفطنة مصباحها والمجون صلاحها فكن

اجول من ظرب واسرى من جندب وانشط من ظبي مقمر واختل من ذئب متمر
وافدح زند جدك بجدك واقرع باب عيشك بسعيك وجب كل فج وخض كل
لج وانتجع كل روض والق دلوك الى كل حوض ولا تسأم الطلب ولا تمل الدأب
فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا ساسان من طلب جلب ومن جال نال واياك
والكسل فانه عنوان النحوس ولبوس ذي البوس ومفتاح المتربة ولقاح المتعبة
وشيمة العجزة الجهلة وشنشنة الوكلة التكلة وما اشتار العسل من اختار الكسل
ولا ملأ الراحة من استوطأ الراحة وعليك بالاقدام ولو على الضرغام فان جراءة
الجنان تطلق العنان وتنطق اللسان وبها تدرك الحظوة وتملك الثروة
كما ان الخور صنو الكسل وسبب الفشل ومبطاة للعمل ومخيبة للامل ولهذا قيل
ان في المثل مثلات في المثل من جسر ايسر ومن هاب خاب ثم ابرز باقى لكويد
ابي زاجر وجرأة ابي الحرث وختل ابي جعدة وحرص ابي عقبة ونشاط ابي ثاب
ومكر ابي الحصين وصبر ابي ايوب وتلطف الجيغرون وحيلة الحفرة وتلون ابي براقش
ولخلب بصوغ اللسان والخدع بسحر البيان وارتد السوق قبل الجلب وامر
الضرع قبل الحلب وسابق الركبان قبل المنتجع ومهد لجنبك قبل المضجع واتخذ
مصبرتك للعيافة وانعم نظرك في القيافة فان من صدق توسمه طال تبسمه
ومن اخطات فراسته ابطات فريسته وكن يا بني خفيفا لكل قليل الثقل
واقنعا عن العلل فانما من الوبل بالطل وبالعظم وقنع بالحقير واشكر على النقير ولا تقنط

١

تقنط عند الرّد ولا تستبعد روح الصلة ولا تيأس من روح الله انه لا ييأس من
روح الله الا القوم الكافرون واذا تخيّرت بين درّة منقودة ودرّة موعودة
فمل الى النقد وفضّل اليوم على الغد فانّ للتاخيرات آفات وللعزائم بدوات وللعدات
معقّبات وبينها وبين انجازها عقبات واىّ عقبات وعليك بصبر اولى العزم وبُعد
ذوى الحزم وجانب حَرن السخط وتخلّق بالخلق السّبط وقيّد الدّرهم بالرّبط
وشُب البذل بالضّبط ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كلّ
البسط ومتى نبا بك بلد او نابك فيه كمد فبتّ منه املك واسرع عنه
رحلك فخير البلاد ما حملك ولا تستثقلنّ الرّحلة ولا تكرهنّ النقلة فان اعلام
شريعتنا واشياخ عشيرتنا اجمعوا على انّ الحركة بركة والطراوة سفتجة
وزروا على من زعم انّ الغربة كربة والنقلة مثلة وقالوا هي تعلّة من
اقتنع بالوشلة ورضى بالحشف وسوء الكيلة واذا ازمعت الاغتراب
واعددت له العصا والجراب فتخيّر الرّفيق المسعد قبل ان تصعد فانّ
الجار قبل الدار والرّفيق قبل الطريق نظم خذها اليك وصيّة لم يوصها
قبلي احد عزّها حاوية خلاصات المعانى والزّبد نحلتها تفيح من
محض النّصيحة واجتهد فاعمل بها مثلك على اللبيب الرّشد حتى يقول
النّاس هذا الشّبل من ذاك الاسد ثمّ قال له يا بنىّ قد اوصيت واستقصيت
فان اهتديت فواهاً لك وان اعتديت فآهاً منك والله خليفتى عليك

وارجو ان لا اخلف خلقي فيك فقال له ابنه يا ابه لا وضع عرشك ولا رفع نعشك
فلقد قلت سددا وعلمت رشدا ونحلت ما لم ينحل والد ولدا ولئن
امهلت بعدك ولا ذقت فقدك فلأنا دبن بآداب الصالحين ولأقتدين
بآثار الراجحة حتى يقال ما اشبه الليلة بالبارحة والغادية بالرائحة فاهتز
ابو زيد لجوابه وابتسم وقال من اشبه اباه فما ظلم قال الحارث بن همام فأخبرت
ان بني ساسان حين سمعوا هذه الوصايا الحسان فضلوها على وصايا لقمان
وحفظوها كما تحفظ ام القرآن حتى انهم ليرونها الى الآن اولى ما لقنوه الصبيان
وانفع لهم من نحلة العقيان **المقامة الخمسون البصرية** حكى الحارث بن همام
قال اشعرت في بعض الايام هما برح بي استعاره ولاح علي شعاره وكنت
سمعت ان غشيان مجالس الذكر يسرو غواشي الفكر فلم ار لاطفاء ما بي من جمر
الا قصد الجامع بالبصرة وكان اذ ذاك مأهول المساند مشفوه الموارد
يجتنى من رياضه ازاهر الكلام ويسمع في ارجائه صرير الاقلام فانطلقت
اليه غير وان ولا لاو على شان فلما وطئت حصاه واستشرفت اقصاه
تراءى لي ذو اطمار بالية فوق صخرة عالية وقد تعصبت به عصب لا يحصى
عديدهم ولا يبادى حديدهم فابتدرت قصده ونويت ورده ورجوت
ان اجد شفائي عنده ولم ازل اتنقل في المراكز واتخطى للاكز والواكز
الى ان جلست تجاهه وحيث امنت اشتباهه فاذا هو شيخنا السروجي

حتى لا ريبَ فيه ولا لبسَ يُخفيه فتشوّقتُ بمرآه همّي وارفضّت كتيبةُ غمّي دون

رأيتُ وبصرتُ بمكانه قال يا أهلَ البصرة رعاكمُ الله ووقاكم وقوّى تقاكم

فما أضوعَ ريّاكم وأفضلَ مزاياكم بلدُكم أوفى البلاد طُهرةً وأذكاها

فطرةً وأفسحُها رُقعةً وأمرعُها نُجعةً وأقومُها قِبلةً وأوسعُها دِجلةً

وأكثرُها أنهاراً ونخلةً وأحسنُها تفصيلاً وجملةً دهليزُ البلدِ الحرامِ وقُبالةُ

البابِ والمقامِ وأحدُ جناحي الدنيا والمِصرُ المؤسَّس على التقوى لم يتدنّس

ببيوتِ النيران ولا طِيفَ فيه بالأوثانِ ولا سُجِدَ على أديمه لغير الرحمنِ

ذو المشاهدِ المشهودةِ والمساجدِ المقصودةِ والمعالمِ المشهودةِ والمشاهدِ

المزورةِ والآثارِ المحمودةِ والخططِ المحدودةِ به مُلتقى الفُلكِ والرِّكابِ

والحيتانِ والضِّبابِ والحادي والملّاحِ والقانصِ والفلّاحِ والناشبِ

والرامحِ والسارحِ والسابحِ وله آيةُ المدِّ الفائضِ والجزرِ الغائضِ وأمّا

أنتم فمن لا يختلفُ في خصائصهم اثنانِ ولا يُنكرها ذو شنآنٍ دهماؤكم

أطوعُ رعيّةٍ لسلطانٍ وأشكرُهم لإحسانٍ وزهّادُكم أورعُ الخليقةِ

وأحسنُهم طريقةً على الحقيقةِ وعلماؤكم علّامةُ كلِّ زمانٍ والحُجّةُ في كلِّ أوانٍ

ومنكم مَن استنبطَ علمَ النحوِ ووضعَه والذي ابتدعَ ميزانَ الشعرِ واخترعَه

وما من فخرٍ إلا ولكم فيه اليدُ الطولى وإن شئتم فأنتم أحقُّ به وأولى

ثم أنتم أكثرُ أهلِ الأرضِ مؤذّنين وأحسنُهم في النُّسكِ قوانين وبكم

اطنبوا في التقريظ وعرفتم التسجيع في النثر الشريف ولكم اذا قرن الطالع

وهجع الهاجع تذكار يوقظ النائم ويؤنس القائم وما ابنم تنزجر ولا

ينزع نومه في برد ولا حر ولنادينكم بالاسحار دوي كدوي الريح في البحار

وبهذا اسلكم صنع التنزل واخبر المنبي من قبل ويبين ان دويكم بالاسحار

كدوي النحل فبشرى لكم ببشارة المصطفى ومن اهل الذكر وان كان دنعنا وقد

بين من الاشفاق انه خرج لسانه محظم بيانه حتى جرع بالاضطار وفرق

بالاضطار فنفس نفس من قيد الشرد او صنيت بهرابن اسد ثم قال اما

انتم يا اهل البصرة فمنكم الا العلم المعروف ومن العرفة والعروف واما

انا فمن عرفني فانا ذاك ومن لم يعرفني فساصدقه

صفتي انا الذي انجد واتهم وايمن واشام واصحر وابحر وادلج واسحر

نشات بسروج وربيت على السروج ثم ولجت المضايق وقحمت المضائق

وشهدت المعارك ولبست الترائك واقتدت الشوامس واقتحمت المعاطس

واذبت الجوامد وامعت الجلامد سلوا عني المشارق والمغارب والمناسم

والغوارب والمحافل والجحافل والقبائل والقنابل واستوضحوا من نقلة

الاخبار وحداة الاسفار وحداة الركبان وحزاة الكهان لتعلموا

كم فج سلكت وحجاب هتكت ومهلكة اقتحمت وملحمة الحمت وكم الباب

خدعت وبدع ابتدعت وفرص اختلست واسد افترست وكم خلق غا

غادرته لمّا وكان من استحجر بالرقى والنجرة حتى تصدع واستنبطت

زلاله بالخدع ولكن فرط ما فرط والغصن رطيب والفود غربيب

وبرد الشباب قشيب فاما الآن وقد استشن الاديم وتأود القويم

واستنار الليل البهيم فليس الا الندم ان نفع وترقيع الخرق الذي اتسع

وكنت رويت في الآثار المسندة والاخبار المعتمدة ان لله تعالى في كل يوم

نظرة وان صلاح الناس كلهم لجديد وسل الحكم الاعز والتوحيد فقصدكم

أنضي الرواحل واطوي المراحل حتى حللت هذا المقام فيكم ولا منّ لي عليكم اذ ما سعيت

الا لحاجتي ولا بغيت الا اراحتي ولست ابغي اعطيتكم بل استدعي ادعيتكم ولا

اسألكم اموالكم بل استنزل سؤالكم فادعوا الله بتوفيق التائب واعداد

للمتاب فانه رفيع الدرجات مجيب الدعوات وهو الذي يقبل التوبة عن عباده

ويعفو عن السيئات ثم انشد نظم استغفر الله من ذنوبي افرطت فيهن

واعتديت كم خضت بحر الضلال جهلا ورحت في الغي واغتديت

وكم اطعت الهوى اغترارا واختلت واغتلت وافتريت وكم خلعت

العذار ركضا الى المعاصي وما ونيت وكم تناهيت في التجري الى الخطايا

وما انتهيت فليتني كنت قبل هذا نسيا ولم اجن ما جنيت فالموت

للمجرمين خير من المساعي التي سعيت يا رب عفوا فانت اهل للعفو عني

وان عصيت قال الراوي فطفقت الجماعة تمده بالدعاء وهو يقلب وجهه

في السماء الى ان دمعت اجفانه وبدا تجفانه فصاح الله اكبر بانت امارة الاستجابة
وانجابت غشاوة الاسترابة فجزيتم بالفضل البصرة جزاء من هدي من الحيرة
فلم يبق في القوم الا من سر بسروره ومنح له بميسوره فتقبل عفوهم واقبل
يهرف في شكرهم ثم انحدر من الصخرة يؤم شاطئ البصرة واعقبته الى حيث
صالبنا وامنا التجسس والتحسس علينا فقلت له لقد اعربت في هذه النوبة
فما ابهت في التوبة فقال اقسم بعلام الخفيات وغفار الخطيات ان شاني لعجاب وان
دعائي لمستجاب فقلت بين ابتهالك اذ ذاك ما هي حالك فقال وابيك لقد
قمت بينهم مقام المريب الخادع ثم انقلبت بقلب المنيب الخاشع فطوبى لمن صغت قلوبهم
اليه وويل لمن باتوا يدعون عليه ثم ودعني وانطلق واودعني القلق فلم ازل اعاني الفكر
واتشوق الخبرة ماذكر وكلما استنبثت خبره من الركبان وجوابة البلدان كنت
كمن حاور عجماء او نادى صخرة صماء الى ان لقيت بعد تراخي الامد وتنائي الكمد ركبا
قافلين من سفر فقلت هل من مغربة خبر فقالوا عندنا الخبر اغرب من العنقاء واعجب
من نظرة الزرقاء فسالتهم ايضاح ما قالوا وان يكيلوا لي كما اكتالوا فحكوا انهم الموا
بسروج بعدما فارقها العلوج فراوا ابا زيد ها المعروف قد لبس الصوف وام الصفوف
وصار بها الزاهد الموصوف فقلت اتعنون ذا المقامات قالوا انه الآن ذو الكرامات
فحفزني اليه النزاع وقلت انها فرصة لانتفاع فارتحلت رحلة المعد وسريت نحوه
سير المجد حتى حللت بمسجده وقرارة متعبده فاذا هو قد نبذ صحبة اصحابه وانتصب

في محرابه وهو ذو عباءة مخلولة وشملة موصولة فهبته مهابة من ولج على الاسود بن المنذر

من سيماهم في وجوههم من اثر السجود ولما فرغ من سبحته حياني بمسبحته من غير

ان نغم بحديث ولا استخبر عن قديم ولا حديث ثم اقبل على اوراده وتركني اعجب

من اجتهاده واغبط من يهد الله من عباده ولم يزل في قنوت وخشوع وسجود وركوع

واخبات وخضوع الى ان اكمل الخمس وصار اليوم امس فحينئذ انكفا الى

بيته واستصحبني من قرصه وزيته ثم نهض الى مصلاه وتخلى بمناجاة مولاه حتى اذا

التمع الفجر وحق للمتهجد الاجر عقب تهجده بالتسبيح ثم اضطجع ضجعة المستريح وجعل

يرجع بصوت فصيح نظم خل ادكار الاربع . والمعهد المرتبع . والظاعن المودع .

وعد عنه ودع . واندب زمانا سلفا . سودت فيه الصحفا . ولم تزل معتكفا .

على القبيح الشنع . كم ليلة اودعتها . مآثما ابدعتها . لشهوة اطعتها . في مرقد

ومضجع . وكم خطى حثثتها . في خزية احدثتها . وتوبة نكثتها . للملعب ومرتع .

وكم تجرأت على . رب السموات العلى . ولم تراقبه ولا . صدقت فيما ادعي .

وكم غمطت بره . وكم امنت مكره . وكم نبذت امره . نبذ الحذا المرقع .

وكم ركضت في اللعب . وفهت عمدا بالكذب . ولم تراع ما يجب . من عهده

المتبع . فالبس شعار الندم . واسكب شآبيب الدم . قبل زوال القدم .

وقبل سوء المصرع . واخضع خضوع المعترف . ولذ ملاذ المقترف .

واعص هواك وانحرف . عنه انحراف المقلع . الام تسهو وتني . ومعظم العمر فني .

فيما يحضر المثنى ولست بالمرتدع ، اما ترى الشيب وخط وخط في الراس خطط ،
ومن يلح وخط الشمط بفوده فقد نعي ، ويحك يا نفس احرصي على ارتياد
المخلص ، وطاوعي واخلصي واستمعي النصح وعي ، واعتبري بمن مضى
من القرون وانقضى ، واخشي مفاجات القضا وحاذري ان تخدعي ، وانتهجي
سبل الهدى ، وادكري وشك الردى ، وان مثواك غدا في قعر لحد بلقع ،
اها له بيت البلى ، والمنزل القفر الخلا ، ومورد السفر الالى ، واللاحق المتبع ،
بيت يرى من اودعه ، قد ضمه واستودعه ، بعد الفضاء والسعه ، قيد ثلاث
اذرع ، لا فرق ان يحله ، داهية او ابله ، او معسر او من له ملك كملك تبع ،
وبعده العرض الذي ، يحوي الحيي والبذي ، والمبتدي والمحتذي ، ومن رعى ومن رعي ،
فيا مفاز المتقي ، وربح عبد قد وقي ، سوء الحساب الموبق ، وهول يوم الفزع ،
ويا خسار من بغى ، ومن تعدى وطغى ، وشب نيران الوغا لمطعم او مطمع ،
يا من عليه المتكل ، قد زاد ما بي من وجل ، لما اجترحت من زلل في عمري المضيع ،
فاغفر لعبد مجترم ، وارحم بكاه المنسجم ، فانت اولى من رحم ، وخير مدعو دعي ،
قال فلم يزل يرددها بصوت رقيق ، ويصلها بزفير وشهيق ، حتى بكيت لبكاء عينيه
كما كنت من قبل ابكي عليه ، ثم برز الى مسجده بوضوء تهجده ، فانطلقت ردفه وصليت
مع من صلى خلفه ، فلما انفض من حضر ، وتفرقوا شغر بغر ، اخذ يهينم بدرسه
ويسبك يومه في قالب امسه ، وقد خمن ذلك برئ ازنان الرقوب ويبكي ولا

ولا بكاء يعقوب حتى استبنت أنه لحق بالأفراد وأشرب قلبه هوى الانفراد

فخطرت ببالي عزمة الارتحال وتخليته والتخلي بتلك الحال فكأنه تفرّس ما نويت

أو كوشف بما أخفيت فزفر زفرة الأوّاه ثم قرأ فإذا عزمت فتوكّل على الله

فاستجليت عند ذلك صدق المحدّثين وأيقنت أن في الأمة محدَّثين فأمسكت

عن نجواه حتى فرغ من ورد ضحاه ثم دنوت إليه كما يدنو المصافح وقلت أوصني

أيها العبد الصالح فقال اجعل الموت نصب عينك وهذا فراق بيني وبينك

فودّعته وعبراتي يتحدّرن من المآقي وزفراتي يتصعّدن من التراقي

وكانت هذه خاتمة التلاقي قال الشيخ الإمام الأوحد أبو محمد القاسم بن

علي بن محمد الحريري هذا آخر المقامات التي أنشأتها بالاغترار وأمليتها بلسان

الاضطرار وقد ألجئت إلى أن أرصدتها للاستعراض ونادت عليها

سوق الأغراض هذا مع معرفتي بأنها من سقط المتاع ومما يستوجب أن

يُباع ولا يبتاع ولو غشيني نور التوفيق ونظرت لنفسي نظر الشفيق

لسترت عواري التي لم يزل مستورًا ولكن كان ذلك في الكتاب

مسطورًا وأنا أستغفر الله مما أودعتها من أباطيل اللغو وأضاليل

اللهو وأسترشده إلى ما يعصم من السهو ويُحظي بالعفو إنه أهل

التقوى وأهل المغفرة وولي الخيرات في الدنيا والآخرة والحمد لله

تعالى حمدًا يضاهي فضله ويشاكل نعمته والصلاة على نبيه المصطفى

محمد وآله اجمعين باحسن الشفعاء قد فرغت من تسويد هذه

النسخة الشريفة المنيفة في يوم الثلثا من شهر جمادى الاولى

وكتبتها للولد الاعز الارشد

صبغة الله بن سيد علي فتح الحسيني الحسني

راجيا من الله تعالى ان يجعله من العلماء

العاملين ويغفر لي ولوالدي

بفضله واحسانه